دعوة الحق

خطوات
على طريق الدعوة

أحمد محمد جمال



بسم الله الرحمن الرحيم



المقـــدمـــة

نحمد الله تبارك وتعالى حمداً كثيراً مباركا فيه ، ونصلي ونسلم على نبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ـ وبعد :

فقد بدا لي أن أسجل خطواتي الداخلية والخارجية على طريق الدعوة الاسلامية ، وما ساهمت به مع كثير من الدعاة والعلماء الأفاضل من جهود تتمثل في بعض المحاضرات أو الدروس أو الحوارات عبر مؤتمرات أو ندوات فكرية إسلامية ، أو دورات عقدتها رابطة العالم الاسلامي في بعض الدول الأفريقية .

وكذلك بعض المحاضرات أو الندوات .. التي ساهمت فيها بأحاديث في موضوعات تربوية واجتماعية وفكرية وأخلاقية داخل المملكة في الجامعات أو المؤسسات العلمية والأمنية والدينية .

واخترت لها اسم (خطوات على طريق الدعوة) إذ أن جميع الموضوعات التي تحدثت عنها خلال المؤتمرات والندوات .. هي ــ في حقيقتها ــ دعوة إلى الله ورسوله وكتابه .. ومن أجل إقامة المجتمع الاسلامي السليم القويم في كل بلد إسلامي .

فآمل أن يتقبل الله ذلك خالصاً لوجهه الكريم ، وأعتذر عما قد يكون فيه من خطأ أو سهو ، وأستغفر الله منه إنه هو الغفور الرحيم .

أحمد محمد جمال

ذو الحجة ١٤٠٨هـ

أغسطس ١٩٨٨م

الفصل الأول

خطوات إلى خارج المملكة



لئلا تكون فلسطين أندلساً أخرى

في الطريق إلى تونس ..

قبل نحو عشرين عاما ــ أو تزيد قليلا ــ كنت في زيارة تونس مع وفد صحافي سعودي يضم الاخوة الأساتذة عباس غزواي الذي كان مديرا للاذاعة ، وغالب أبو الفرج الذي كان مديراً لشؤون الصحافة ، وعبد الكريم الجهيمان وعمران العمران ، ممثلي صحف المنطقة الوسطى ، وشيخ الصحافة أو أحد شيوخها المرحوم الأستاذ فؤاد شاكر ، وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم الآن ، فمعذرة لهم ، وعفواً منهم .

وكان من برنامج الزيارة الاجتماع بالرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ، وحضور احدى جلسات مجلس النواب ، والتجول في بعض المدن والمآثر التونسية ــ وكان الأستاذ محمد بن قارة ، من موظفي السفارة التونسية بجدة ، مرافقا ودليلا للوفد خلال الزيارة ، وهو نعم الرفيق والدليل .

ومما كتبته بعد عودتي من تونس ، في جريدة «الندوة» التي كان يملك امتيازها أخي الأستاذ صالح محمد جمال ، ما تحدث به إلى الوفد الرئيس الحبيب بورقيبة حول مأساة فلسطين ، وقد كانت وجهة نظره أن يأخذ العرب والفلسطينيون من إسرائيل ما تيسر وما يتقرر ، ثم يطالبوا ببقية حقوقهم ، على ضوء المبدأ القائل : «خذ وطالب» أما الاستمرار في الرفض فمؤداه ضياع الحقوق ، وفوات الفرص .

وقد أعلنت يومذاك في مقالاتي عن رحلة تونس هذا المبدأ البورقيبي : «خذ وطالب» ودعوت الساسة العرب ، والزعامات

الفلسطينية للأخذ به ، ثم في مقالاتي السياسية بجريدة «الشرق الأوسط» خلال السنوات الخمس الأخيرة .

أكتب هذه المقدمة تمهيدا للتعقيب على مقالة الأخ الفاضل الأستاذ عماد الدين أديب في «الشرق الأوسط» يوم ١٥ /٦ /١٤٠٦ ـــ ٢٤ /٢ /١٩٨٦ بعنوان «فلسطين لن تكون أندلسا أخرى» .

.. فقد كتبت أنا بعد عودتي من تونس مقالا بعنوان «لئلا تكون فلسطين أندلسا أخرى» وتحدثت خلاله عما حدثني به أخ تونسي كان يرافق الوفد الصحافي السعودي ، من أنه توجد في بعض مدن تونس أسر مهاجرة من الأندلس العربية الاسلامية بعد زوال ملك العرب عن أسبانيا ، وإن أحفاد هذه الأسر يحتفظون بمفاتيح دورهم هناك على أمل عودتهم إليها .

وقلت في حديثي للاخوة الفلسطينيين : حذار من هذا الأمل الكاذب وحذار من هذا التفويت للفرص المتاحة للعودة ولو إلى جزء من الوطن السليب ، ولتضعوا أقدامكم على أية قطعة من وطنكم ، على أي جزء من بلادكم ، وفي أى غرفة من دوركم .. فالمهم أن نبدأ وأن ندخل ، وأن نأخذ اليسير ثم نطالب بالكثير .

وآلان ـــ وبعد تطورات المأساة إلى أسوأ من العهد الذى حذرت فيه من أن تكون فلسطين أندلسا أخرى هل كنت في تحذيري على حق ؟ أم أن الأستاذ عماد الدين سيكون على حق غدا ؟

لا أدري .. لا أدري فقد عمنا الضياع والشتات ، وعميت علينا الأنباء ، وذهبت الأضواء ، وافتقدنا الرجاء .

ذكريات الرحلة :

بعد أن كتبت كلمتي تحت عنوان : «لئلا تكون فلسطين أندلسا أخرى» ؟ ونقلت فيها بعض ذكرياتي عن رحلتي إلى تونس ، ووجهة نظر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة نحو المأساة الفلسطينية ، رجعت إلى مذكراتي عن الرحلة فوجدت السطور التالية تتحدث عن المأساة ذاتها :

● غادر الوفد الصحافي الاذاعي السعودي مطار جدة ، مساء الأربعاء ١٢ /١٠ /١٣٨٠هـ وكان في وداعه السفير التونسى الأستاذ محمد المطوي ورافقه في الرحلة الملحق الصحافي والثقافي الأستاذ محمد بن قارة ، وهو يعمل الآن في المجمع الفقهي الاسلامي بجدة ، سكرتيرا لأمينه العام السيد الحبيب بلخوجة .

● قدمنا إلى بيروت ليلا ، وتناولت العشاء في فندق كارلتون مع الأستاذ عبد الحميد خوجة القائم بأعمال السفارة التونسية في لبنان والزميل ابن قارة .

● كانت السماء ممطرة ليلة مقدمنا إلى بيروت وصبيحتها ، وكان الجو رائعا أخاذا . وقد غادرنا مطار بيروت صباح الخميس ١٣ /١٠ /١٣٨٠هـ على طائرة نفاثة تابعة لشركة (ايرفرانس) . وكان في وداع الوفد الصحافي السعودي المواطن السيد محمد أحمد موصلي ، وقد أكرمنا بلطفه كثيرا .

● في الطائرة إلى روما ، قرأت عددا من الصحف اللبنانية (الحياة ، والأنوار ، وبيروت المساء ، والجريدة) وأعجبنى في الأخيرة مقالها الافتتاحي (٣٠ /٣ /١٩٦١) الذي تناولت فيه

قضية فلسطين تعليقا على قضية الجزائر والمفاوضات التي أعلن عن إمكان إجرائها بين الحكومة الجزائرية المؤقتة وبين الفرنسيين ، فقالت «الجريدة» : «إن قضية فلسطين يمكن حلها على مثل الأساس الذي تعالج به قضية الجزائر ، ولكن ذلك يتطلب تضامنا عربيا ، وتوضيحا للأماني العربية ، وتوفير عناصر واقعية تمهد السبيل للتفاوض على حل قضية فلسطين» .

وأرجو أن نتأمل كلمات «التضامن العربي وتوضيح الأماني العربية ، وتوفر العناصر الواقعية التي تمهد السبيل لحل القضية» فهذا ما أصبحنا ـــ نحن العرب ـــ في احتياج شديد إلى إدراكه وفهمه ولزومه ، إذا كنا جادين في طلب رفع الكرب الخالد عن صدور إخواننا الفلسطينيين المشردين .

فلابد ـــ وقد أشرت إلى هذا كثيرا في تعليقاتي السياسية السابقة ـــ من تضامن بين الزعماء العرب ، ومن توضيح الأماني العربية وتحديدها ، ومن قيام عناصر «واقعية» ! نعم واقعية تدرك حقا مبلغ المأساة ، وتتلمس على ضوء واقعيتها الطرق الممكنة ، والأهداف الميسرة لحلها .

هذا بعض ما وجدته في مذكراتي عن رحلتي ـــ مع الوفد الصحفي الاذاعي ـــ إلى تونس حول المأساة الفلسطينية ، حيث رافقتنا خلال الطريق ، وقبل أن نصل إلى تونس .

وستظل همنا الدائم ، وشغلنا اللازم حتى يبدلنا الله بهمنا همة ، وبفرقتنا وحدة ، وبحيرتنا قرارا نتخذه صادقين .

● في صباح الجمعة ١٣ / ١٠ / ١٣٨٠هـ زرت مع بعض

زملائي مدينة الفاتيكان في روما ، ورافقنا في هذه الزيارة الأستاذ توفيق عبد النبي السكرتير الأول للسفارة التونسية في روما ، والزميل محمد بن قارة ، وقد وقفنا على قصر الفاتيكان القديم ، الذي تحول — عبر التاريخ — إلى سجن ثم إلى متحف ومعرض أثري ، وساحة الفاتيكان التي يتجمع فيها الزوار من خارج إيطاليا وداخلها ، ليطل عليهم البابا ، وقيل لنا هناك : هذه كنيسة سانت بيير الكبرى ! وكان زينا العربي لافتا لأنظار زوار الفاتيكان من أوروبا وأمريكا .

● في جولتنا — بعد ذلك — بروما شربنا القهوة والشاي في مقهى يقوم في ساحة القريخة . وقد سميت كذلك لأن الموقع رائع جدا بخضرته ومرتفعاته ، وأزهاره وورروده ، وهو بذلك مبعث بل مثار لقرائح الشعراء .

● سعدنا ليلة الجمعة — في فندق برتزلو — بزيارة السفير السعودي الأستاذ عبد الرحمن الحليسي ، وبعض موظفي السفارة الأستاذين طه الدغيتر وماجد برزنجي ، وفي صباحها سعدنا بزيارة السفير التونسي السيد نجيب البوزيري وتناولنا الغذاء في مطعم مطار روما على مائدة الأستاذ الحليسي الذي تفضل فرافقنا إلى باب الطائرة في لطف وكرم مشكورين .

● بذل الأستاذ طه الدغيتر والأستاذ توفيق عبد النبي — مع الاحتفاظ بحق الزميل ابن قارة — جهودا كبيرة في مقدمنا إلى روما وفي مخرجنا منها في طريقنا إلي تونس فهما جديران بكثير من الشكران .

● في روما أصغيت إلى بعض الأحاديث السياسية حول

الجزائر وموقف إيطاليا منها .. وقد سررت حين علمت أن بعض مظاهرات جرت في روما مطالبة بحل القضية الجزائرية !

● قدمنا إلي تونس ليلة السبت ١٤ /١٠ /١٣٨٠ ، وكان في استقبال الوفد الصحافي السعودي كبار موظفي السفارة السعودية ، السادة حمود الزين ، وشفيق الصبان ، ورواف الرواف ، ومندوبون عن وزارة الخارجية ووزارة الأنباء في تونس ، وفي مقدمتهم الأستاذ محمود الباجي ، وهو صديق قديم لي التقيت به في باكستان أثناء انعقاد «الندوة العالمية للاسلاميات» في جامعة البنجاب عام ١٣٧٧هـ والأستاذ الشاذلي زوكار ، وهو صديق كريم أيضا كان يعمل ملحقا صحافيا بسفارة تونس في جدة .

● اشترك الوفد الصحافي الاذاعي السعودي مع الرئيس بورقيبة في افتتاح بعض الانجازات الاصلاحية ، وتأكدت لنا زعامة الرئيس التونسي ، واقعيا كما أبصرناها ، ولمسناها .

وقد أثار دهشتنا أن الحزب الشيوعي في تونس معترف به قانونيا وسألنا أنا والزميل الأستاذ عباس غزاوي أحد كبار موظفي الديوان السياسي للحزب الدستوري — وكنا نزوره حينئذ — كيف يؤذن لحزب شيوعي بالعمل في تونس ؟

واستمعنا إلي جواب «المسؤول الكبير» في الحزب الدستوري الذي هو حزب الحكومة ، لأن مؤسسه ورئيسه هو الحبيب بورقيبه رئيس الجمهورية ، وهو أن سياسة تونس لا تؤمن بمقاومة الشيوعية عن طريق السجن والقتل ، ولا بالمنع والحظر ، والمصادرة والمراقبة ، فهذه وسائل أثبتت التجارب في

بعض الدول فشلها وعدم جدواها ، وقال : «إننا نقاوم الشيوعية عمليا ، وهي لا تجد لها مجالا في مجتمعنا ما دمنا نفوت عليها فرص الحرمان والتعطل والتشرد بين مواطنينا ، بهذه الانجازات الاقتصادية التي شاهدتموها بأعينكم في تونس» .

وأعود بقارئي الكريم – الآن – إلى بعض المشاهدات والزيارات في تونس .

• زرنا في صباح السبت جامعة الزيتونة ، وهي إلى جانب كونها مدرسة قديمة عظيمة تخرج فيها العلماء الأعلام عبر تاريخها الطويل ، فهي تضم مكتبة نفيسة من المخطوطات النادرة مثل المحكم لابن سيناء (٢٤ ج) وهو معجم لغوي ، وتفسير ابن عطية ، شيخ القرطبي . ويرجع تاريخ إنشاء الجامعة إلى عام ٤١٤هـ أنشأها عبد الله بن الحجاب في عهد أمير المؤمنين المعتز بالله العباسي .

• شوارع تونس نظيفة جدا ، ونظام مرور السيارات فيها يعتمد على السائقين والمنبه ممنوع ، ومراقب المرور وجنوده لا وجود لهم إلا قليلا .

• في ضواحي تونس عدد من عيون المياه المعدنية الصحية وإلى جوارها حمامات للاستشفاء بهذه المياه .

• المرتفعات والربوات أكثر اخضرارا وازدهارا وتنظيما وجمالا من أمثالها في لبنان . والسياح يتدفقون إليها من كل أنحاء أوروبا وأمريكا ، وصدق من سماها تونس الخضراء .

• والحدائق العامة في تونس رائعة وواسعة في مختلف الشوارع والميادين والضواحي ، وقد أحيلت بعض مقابر اليهود

إلى حديقة عامة في قلب تونس .

● متحف الثورة يضم بعض قاعاته وثائق تاريخية مصورة لكفاح زعماء تونس . وفي مقدمتهم الرئيس بورقيبة ، وجهاد الشعب التونسي أيضا ، وقد رأينا المائدة الأثرية التي وقع عليها الصادق باي سنة ١٨٨١م معاهدة باردو باحتلال فرنسا لتونس ، وهي ذات المائدة التي وقع عليها منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا وثيقة استقلال تونس عام ١٩٥٥م .

وفي احدى قاعات المتحف صورة تذكارية للسيد علي البهلوان أحد المجاهدين التونسيين — رحمه الله — وهو يخطب في المركز العام للاخوان المسلمين بالقاهرة . ويبدو فيها الأساتذة محمد محمود الصواف ، وسيد سابق ، وعبد الحكيم عابدين ، وسعد الدين الوليلي[1] .

---

(١) هذا ما كتبته في أعقاب عودتي من تونس سنة ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م — ولكن حدث بعد ذلك أحداث مؤسفة في تونس تنكر خلالها الرئيس بورقيبة للاسلام وأباح الفطر في رمضان ، ومنع النشاط الاسلامي ، وعاقب زعماءه وأعضاءه بالإعدام والاعتقال ، وجمّد نشاط جامعة الزيتونة .

ثم لطف الله بتونس وشعبها المسلم فقيض لها زعيما جديدا هو السيد زين العابدين بن علي .. الذي [illegible] على الحكم بلطف ، وتولى رئاسة الجمهورية في سنة ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م) ، وأعاد لتونس وجهها الاسلامي ، وللشعب التونسي [illegible] — نسأل الله له الثبات والتوفيق ولنصرته [illegible]

حوار في مجمع البحوث الاسلامية

كان هذا أول بعث تبعثني إليه رابطة العالم الاسلامي سنة ١٣٩١هـ ، على عهد أول أمين لها ، وهو المغفور له الشيخ محمد سرور الصبان ــ رحمه الله ــ ثم تتابعت بعده البعوث في العهد نفسه ، ثم في عهد الشيخ محمد صالح القزاز ، ثم في عهد الشيخ محمد علي الحركان ــ رحمه الله ــ .

حكومة إسلامية واحدة :

بعض الشباب العربي .. الذين يأسفون لوضع الدول العربية والاسلامية ، من افتراق واختلاف ، وهزيمة أمام الأعداء ، وعجز تجاه الأزمات والمشكلات ــ يحلمون بحكومة إسلامية واحدة ــ تضم كافة الدول والحكومات والشعوب في العالم الاسلامي ، على غرار ما كان في العهود الأولى منذ إشراق رسالة الاسلام على الدنيا ، وخلال العهود الراشدة ، وبعض عهود الأمويين والعباسيين .

ومن حق هؤلاء الشباب المسلمين الطيبين : أن يحسنوا الظن بحكوماتهم وشعوبهم ، وأن يتمنوا قيام دولة إسلامية واحدة .. تحكم العالم الاسلامي بشريعة الله تبارك وتعالى ، فترد إلى الشعوب المسلمة عزتها وكرامتها ، وقوتها ووحدتها ، وقدرتها على مواجهة أعدائها بما يستحقون من عقاب شديد .

ولكن «الواقع» المؤسف الذي يعيشه المسلمون اليوم لا يجعل تحقيق هذا الحلم الجميل ممكنا ولا ميسورا .

وقد أثار هذا الحلم الذي يحلمه الشباب المسلم اليوم ذكرى مؤتمر إسلامي عقده مجمع البحوث الاسلامية في مصر — في القاهرة خلال محرم وصفر سنة ١٣٩١هـ وحضرته ممثلا لرابطة العالم الاسلامي مع الصديق العزيز الأستاذ محمد صفوت سقا أميني — على عهد أمينها الأول المرحوم محمد سرور الصبان .. وتكلم أعضاء الوفود الاسلامية في الجلسة المسائية كل باسم بلده ، وتحدثت باسم المملكة العربية السعودية ورابطة العالم الاسلامي حيث مهبط الوحي وقبلة المسلمين ، ومركز الاشعاع الاسلامي ، ثم أشرت إلى اجتماع المنظمات الاسلامية العالمية بمكة المكرمة ، في الفترة ما بين ١٥ — ١٩ ذى الحجة ١٣٩٠هـ وما اتخذته من قرارات وتوصيات مهمة حول قضايا المسلمين ومشكلاتهم ، ودعوته إلى وحدة الصف الاسلامي لمواجهة الأعداء المتربصين بالاسلام والمسلمين الدوائر ، وكان جدول الأعمال يتضمن بحث موضوعات إسلامية علمية مختلفة : كالوحدة الاسلامية ، والشهيد في الاسلام ، وإنسانية الاسلام ، والحرب النفسية في الاسلام ، وطريقة العرض والنشر في الاسلام ، ونحو اقتصاد إسلامي ، والعنصرية كأساس في قيام دولة إسرائيل .

وقد أثيرت — في المؤتمر — فكرة الوحدة الاسلامية على أساس إقامة حكومة واحدةفي العالم الاسلامي ! وكان لي تعقيب على هذه الفكرة : بأن هذا (أولا) ليس ضروريا لتوحيد أمر المسلمين ، (وثانيا) لن يكون ممكنا .. بل هو مستحيل بدليل عدم إمكانية اتفاق الزعماء المسلمين — وعددهم

محدود ــ على أمر واحد ... كما هو مشاهد في كل مؤتمراتهم واجتماعاتهم .

• وقلت أيضا ــ في تعقيبي على الفكرة ــ إن من الممكن أن يتفق زعماء العالم الاسلامي على مناهج إسلامية موحدة في شؤون التعليم والإعلام والاقتصاد والدفاع .

وهذا ما قامت من أجله جامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، ومع ذلك لا نجد «للوحدة» المطلوبة الممكنة أثرا في قراراتها فضلا عن انجازاتهما العملية ! فكيف ننتظر دولة إسلامية واحدة .

الشهيد في الاسلام :

.. وطرحت قضايا وأبحاث أخرى في مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية في القاهرة وكان لي تعقيبات ومناقشات لهذه الأبحاث .

• عقبت على موضوع ــ الشهيد في الاسلام ــ فقلت : إن الأبحاث العديدة التي ألقيت في المؤتمر خلت جميعها من التعريف الاسلامي الصحيح (للشهيد) وهو كما جاء في الحديث النبوي : سئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ؟ والرجل يقاتل حمية ؟ والرجل يقاتل للمغنم ؟ والرجل يقاتل ليرى مكانه ؟ أيهم في سبيل الله ؟ فقال : (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) .

• وعقبت على موضوع الاقتصاد الاسلامي وما أشار إليه صاحب البحث عن موضوع الزكاة ، فقلت : إن الزكاة مهملة

فعلا في العالم الاسلامي ، ولو أنها كانت تؤدي كما فرضها الاسلام لما تسللت إلى العالم الاسلامي المذاهب الهدامة .. التي ترفع شعارات إنصاف العمال ، وإغناء الفقراء ، ولما وجدت هذه المبادىء سبيلا إلى قلوب هاتين الطبقتين في البلاد الاسلامية ، ثم أشرت بصفة خاصة إلى ما يفتى به بعض العلماء من أنه لا زكاة على أجور العقار ، وهو أمر غير صحيح .. لأن العقار أصبح يشكل ثروة طائلة متداولة بين الناس كأي تجارة أخرى تجب فيها الزكاة .

التقارب الاسلامي المسيحي :

● وعقبت على مندوب النمسا الدكتور اسماعيل بالك الذي ألقى كلمة في المؤتمر يدعو فيها إلى التقارب بين اليهودية والمسيحية من جهة والاسلام من جهة أخرى ، وقال مبررا دعوته هذه إن المسيحية بدأت تتخفف من قيودها وتكاليفها التقليدية .. الأمر الذي يجعل التقارب بينها وبين الاسلام سهلا .. فقلت : إنه لن يكون أي التقاء بين هذه الأديان الثلاثة لأن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز : ﴿**إن الدين عند الله الاسلام**﴾[1] ويقول أيضا : ﴿**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[2] هذا من الناحية العقائدية ، أما من الناحية التاريخية الواقعية فقد ابتلى المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ بمؤامرات اليهود ومكائدهم ضد الاسلام

---

(١) سورة آل عمران ١٩

(٢) سورة آل عمران ٢٥

والمسلمين ، وإذا كنا تناسينا هذا التاريخ اليهودي الأسود في الماضي فحسبنا أننا نعيش اليوم مأساة التآمر الصليبي اليهودي الشيوعي على المسلمين في كل مكان وبخاصة في فلسطين !

وحسبنا قول الله عز وجل : **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾**[3] .

وكانت للوفود زيارة إلى السويس ، وقد أدت الوفود صلاة الجمعة ، فتحدثت — بعد الصلاة — بكلمة وجيزة قلت فيها : أيها الاخوة كنتم تستمعون قبل صلاة الجمعة إلى قارئ المسجد وهو يتلو عليكم هاتين الآيتين **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾**[4] وأريد أن أذكركم بالمعاني الجليلة ، والاشارات الكريمة ، التي تضمنتها الآيات ، وهي باختصار شديد : أن نلتمس العون والنصر من الله عز وجل وألا نستغيث بشرق ولا غرب في معركتنا مع أعداء الاسلام والمسلمين .

من ذكريات المؤتمر :

.. وكان لمؤتمر مجمع البحوث الاسلامية — بالقاهرة — ذكريات تتصل بحاضر المسلمين اليوم ، ولذلك أكتب عنها هنا من قبيل التذكير :

● كان من توصيات المؤتمر بعد اجتماعه ومباحثاته : دعوته

---

(٣) سورة البقرة /١٢٠ .
(٤) سورة الأنفال /٩ و ١٠ .

إلى «إنشاء مصرف إسلامي يخلو من المحظورات الشرعية» يعني : الربا .

والمهم في هذه الذكرى : إن المؤتمر أحس بحاجة المسلمين إلى بنوك إسلامية ، وإن ما تمناه أو أوصى به في اجتماعه قد تحقق فعلا على يد الأمير محمد الفيصل .. فانتشرت الآن المصارف الاسلامية في مصر والسودان وبعض دول الخليج العربي ، بل اقتدت المصارف الأوروبية بها فافتتحت فروعا وأقساما تتعامل بمقتضى الشريعة الاسلامية في منح القروض والاستثمار والايداع إلخ .

● ومن ذكريات المؤتمر أنى تعرفت على شخصيات إسلامية عديدة خلال الاجتماعات وخلال الموائد التى كانت تقام للأعضاء ــ من هذه الشخصيات الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ــ الآن ــ ومنها الأستاذ محمد نيازي عميد كلية الشريعة في كابل بأفغانستان قبل الانقلابات الشيوعية التي ابتليت بها .. وقد اعتقل الأستاذ نيازي في العهد الشيوعي واستشهد مع المستشهدين من علماء الاسلام في أفغانستان ــ رحمه الله ــ .

● ومن الذكريات أيضا : أني لاحظت أثناء تناول الوفود للطعام على احدى الموائد المقامة لها أن بعض الأعضاء من رجال الدين وحملة العمائم على رؤوسهم يأكلون طعامهم بأيديهم الشمال على الطريقة العصرية الحديثة ــ أى بالشوكة والسكين ــ فقلت لهم : يا أصحاب الفضيلة .. يمكنكم أن تجمعوا بين السنة الاسلامية في تناول الطعام باليمين .. مع

استعمال الشوكة والسكين حيث تقطعون بالشمال ، وتتناولون الطعام باليمين .. خلافا للطريقة الافرنجية ، وها أنا أمامكم أفعل ذلك .. أقطع بالشمال وآكل باليمين .

ومازلت ألفت أنظار من يجاورني في الموائد – اليوم – فأراه يأكل بالشمال ويقطع باليمين إلى أنه من الممكن الجمع بين السنة والتمدن العصري ، لأن المسلم يجب عليه أن يحافظ على آداب دينه ، وعادات قومه ، وفي الوقت نفسه لا بأس عليه أن يأخذ بالأساليب العصرية الحضارية بعد التوفيق بين هذه وتلك .

● ومن ذكريات المؤتمر : أن اختيار الوفود وقع على شخصي الضعيف وكنت أصغرهم سنا حينذاك – لالقاء كلمتهم الختامية فقلت بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه : (.. شكراً لجمهورية مصر العربية ، ومجمع البحوث الاسلامية ووزارة الأوقاف وشؤون الأزهر على كرم الضيافة والترحيب بعقد هذا المؤتمر الاسلامي الذي جمع اخوانا من اليابان شرقا إلى المغرب غربا ، ومن طاشقند شمالا إلى اليمن جنوبا ليتدارسوا بينهم القضايا التي تشغل بال العالم الاسلامي ، وتهم أبناءه جميعا في اطار المنهج الاسلامي الرشيد) ثم دعوت إلى توحيد الجهود بين المنظمات الاسلامية لتحقيق التضامن الاسلامي الذي هو واجب كل مسلم داع لحق الاسلام ، وسألت الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا الاجتماع بين علماء المسلمين اجتماعا مرحوما ، وأن يكون تفرقهم بعده تفرقا معصوما من الاختلاف والافتراق .

من ذكريات الدعوة في إسبانيا

في ١٥ /٨ /١٣٩٤هـ انعقد مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين في اسبانيا بدعوة من الجمعية الاسلامية في غرناطة ـــ وقد انتدبتني رابطة العالم الاسلامي وزميلي الدكتور محمد العروسي عبد القادر المدرس بجامعة أم القرى لتمثيلها في اجتماعات المؤتمر الطلابي العالمي .

وهذه الجمعية يرأسها الدكتور الأخ رامز الاتاسي ويعاونه زميله الدكتور الأخ نزار الصباغ ، وكلاهما من خيرة الشباب العربي السوري في اسبانيا ، ونشاطهما في الدعوة والعقيدة الاسلاميتين بين الشباب والطلاب هناك ، نشاط موفور ومشكور .

وكان قيام الجمعية الاسلامية هذه في غرناطة عام ١٩٦٦م حين أعلنت الحكومة الاسبانية حرية الأديان .

ونشاطات الجمعية تشمل : العبادة .. حيث تقام الجمعة ، والأعياد وصلاة التراويح في رمضان ـــ وينشط تبادل اللقاءات والزيارات مع المسلمين الزائرين ومع الاسبان أيضا ، وتوثيق العلاقات الاجتماعية لمصلحة الدعوة الاسلامية ـــ وتسجيل عقود الزواج وشهادات اعتناق الاسلام ..

كما تقوم الجمعية بنشر الوعي الصحيح بين الطلاب والشباب .. وتوزيع الكتب الاسلامية ، وشرح الفكر الاسلامي للأسبان بصفة خاصة إلى جانب الاهتمام بالتربية الأخلاقية ، وتذكير الشباب والطلاب الوافدين إلى أسبانيا بواجباتهم والتزاماتهم السلوكية للمحافظة على شخصياتهم الاسلامية .

أما الموضوعات التى ناقشها المؤتمر فأهمها ..

- الدعوة والتبليغ في أسبانيا ..
- التعرف على الفرق والمذاهب الهدامة في أسبانيا ، وكيفية مواجهتها .
- التنسيق بين الجمعية في أسبانيا والمؤسسات الاسلامية الأخرى في العالم .

وقد تحدث في المؤتمر الدكتور مهدي بن عبود — والدكتور عبد السلام الهّراس — والأستاذ فتحي يكن .. في موضوعات إسلامية تهم الشباب والطلاب الذين انعقد المؤتمر من أجلهم .. وكانت محاضرتي في موضوع (الشباب والدعوة الاسلامية) .

وكان المهم ، بل الأهم : ما دار من نقاش بين المحاضرين ، وما وجهّه الطلاب والشباب من أسئلة وماعرضوه من مشكلات .. وما أجاب به المحاضرون .

وكانت — بحق — ندوة شبابية طلابية نافعة ناجحة ، حيث التف الشباب بالمحاضرين ، ونفضوا بين أيديهم ما في صدورهم من مشكلات وشبهات .

وهي — في نظري — أمتع وأنفع ندوة شبابية طلابية شهدتها حتى اليوم ، وحبذا لو كانت ندواتنا ومراكزنا الشبابية تنشط على هذه الصورة الحيوية من لقاءات ، واجتماعات مع رجال الفكر الاسلامي .. تسودها رحابة الصدور ، وصدق النصيحة ، ومودة التفاهم على حل المشكلات الشبابية والشبهات الفكرية والأخلاقية .

وكان اشتراك الرابطة مُهِمًّا وذا أثر فَعًّال في المؤتمر ، وذلك

لأن المؤتمرين والحضور جميعاً كانوا يرون فى (السعودية) رائدةً للعالم الاسلامي والعربي، كما ينظرون إلى الملك فيصل حفظه الله كقائد رشيد للمسلمين ، بل كأمير للمؤمنين ـــ بل كأب للجميع .. لا يدخر وسعاً مادياً وسياسياً وأدبياً في سبيل عزة الاسلام ، وقوة المسلمين .

ولقد استمعت ـــ بصفة خاصة وفي حديث خاص ـــ إلى الدكتور مهدي بن عبود .. وهو يعلق آمال المسلمين الكبيرة فى عنق جلالته ، ويقول إنه الرجل الاسلامي الوحيد الذي تتجه إليه الأنظار والأفكار لتوحيد كلمة المسلمين وصفّهم تجاه الأعداء الالداء .



المرحوم محمد سرور الصبان
الأمين العام الأول لرابطة العالم الاسلامي

الأطلال العربية في إسبانيا

.. ولقد زار الوفد ــ بعد انتهاء المؤتمر بعض آثار العربية والاسلامية في غرناطة ــ واشبيلية ــ وقرطبة .. كقصر الحمراء في غرناطة ، والجامع الكبير في قرطبة ، وعجبنا كيف هان على الزعامات العربية يومذاك أن تتخاصم وتتصادم حتى كانت عاقبة خصامها وصدامها سقوط الدولة الاسلامية الرفيعة المنيعة هناك .

● وتذكرت قول زوجة أحدهم ــ وهو آخرهم ــ : «إبك مثل النساء .. على مُلْكٍ لم تحفظه مثل الرجال» ..

● كما تذكرت زيارتي لتونس قبل عشر سنوات تقريباً في وفد صحفي ضم الزملاء الأعزاء ــ فؤاد شاكر ــ رحمه الله ــ والأساتذة أحمد عبد الغفور عطار ، وغالب أبو الفرج ، وعباس غزواي ، وعمران العمران .. واجتماعنا ببعض أحفاد العرب الذين هاجروا من الأندلس بعد سقوط الدولة الاسلامية ، إلى تونس .. وما زالوا يحتفظون بمفاتيح دورهم ومنازلهم ومتاجرهم في أسبانيا .. حالمين بالعودة إليها !

● وقد عدت من تونس ، فكتبت مقالًا ــ عن رحلتي ــ في (الندوة) .. تحت عنوان «لئلا تكون فلسطين أندلساً أخرى» !! حذرّت فيه من التمادي في الاهمال والاغفال لقضية فلسطين ، ومن الاختلاف والانصراف في مواجهة اسرائيل .. لئلاّ تكون أندلسا أخرى .. فلا يكون لأهلها المهاجرين الآن

إلى بعض البلاد العربية إلا مفاتيح دورهم ، وأحلام عودتهم !!

وقد أزْعجني ، وآسفني وزملائي : أن تبقى ساحة أسبانيا باشبيليه محتفظة بصور على جدرها لملوك العرب وهم يسلّمون مفاتيح مدنهم ومقاليد دولهم إلى الحكام الأسبان .. في مذلةٍ وهوان !

وتمنَّيت لو أن الدول العربية والاسلامية الصديقة لأسبانيا ــ اليوم ــ طلبت إليها محو هذه الصور .. كدليل على صداقتها وحسن مودتها ، ولأن الدول العربية لا تحتفظ بصور فتوحها وغزواتها الاسلامية الغابرة .. لا خفية ولا علنا ، كما هو الحال في ساحة أسبانيا !

فالعرب الأوائل لم يكونوا كغيرهم من الشعوب الأخرى ــ غزاة طغاة غاصبين .. وإنما كانوا حملةً لمشاعل «العلم والعدل والاخاء والحرية والمساواة» عامة شاملة للمسلمين والشعوب التي حكموها على سواء .

وتمنيت ــ أيضاً ــ لو أن بعض الدول العربية الغنية اشتركت في تعويض أسبانيا بمقدار من المال ، في مقابل ابقاء الجامع الكبير ــ في قرطبة ــ عربياً اسلامياً ، وتحويله إلى مركز إسلامي ، أو جامعة اسلامية يؤمُّها الطلاب من كل مكان .

وقد وجهّ إليّ الأستاذ رفقي الطيب كممثل ــ يومذاك ــ لجريدة أخبار العالم الاسلامي التي تصدرها الرابطة في مكة السؤال التالي :

وحدة الأمة الاسلامية كيف تتحقق ؟

● من هذه الأرض المباركة أشرقت أنوار الهداية المحمدية ومنها انطلقت كتائب الجهاد .. ومن هده الأرض في عهدها الحديث خرجت دعوة التضامن الاسلامي الخيرة وتبلورت في كل ما يشهده العمل الاسلامي من توحد كلمة واجتماع شمل ، ولكن حتى تبلغ هذه الدعوة المباركة مداها وتحقق تأثيرها لابد لها من استراتيجية عمل وميثاق دعوة .. فما هي الأسس والقواعد التي تراها كفيلة بتحقيق ما تصبو إليه الأمة الاسلامية من وحدة ، وتضامن ، واتحاد كلمة ؟

قلت : إن استراتيجية العمل ، وميثاق الدعوة .. لن يتحققا إلا بعودة المجتمعات «الاسلامية» اليوم إلى مجتمعات إسلامية فعلا .. في أسرها وبيوتها ــ في مدارسها وجامعاتها ــ في متاجرها وأسواقها ــ في صحافتها وإذاعتها وتلفازها ــ في كل شأن من شؤونها .

يجب أن يحكم المسلمون «بما أنزل الله» في قضاياهم الشخصية والعامة .. وفي منازلهم ومتاجرهم .. وفيما يقرأون ويكتبون ويستمعون ويشاهدون ــ ويجب أن تعود (المرأة) في المحيط العربي والاسلامي .. إلى عقيدتها وشريعتها حين تتزوج وحين تتحجب وحين تلبس ، وحين تخرج وحين تتكلم ، وحين تستمتع .

وقد ذكرت (المرأة) لأنها المحور الذي يدور حوله أعداء الاسلام ، لفتنة المسلمين ، وشغلهم بالشهوات والملذات عن مهام الأمور ومعاليها ، وعن الأخطار المحدقة بهم المسددة

إليهم من هؤلاء الأعداء الألداء .

ولو أننا — رجال كلمة وتعليم واعلام — في العالم الاسلامي ، والعربي بصفة خاصة .. تفرغنا واهتممنا وأخلصنا (لقضية الشباب) ذكوراً وإناثا لصلح ما فسد من أمرنا ، وقوي ما ضعف ، واستقام ما اعوجَّ .. ولكان السبيل إلى عزة الاسلام وقوة المسلمين سهلًا ومضيئاً .

العدوان الصهيوني على بيت المقدس :

مازال الأستاذ رفقي الطيب — خلال هذه الذكريات منذ سنة ١٣٩٤ — يوجه إلى بعض المسائل عن قضايا العالم الاسلامي ومشكلاته — فهو يسأل السؤال التالي :

● بهذا العام يكون قد مضى على احتلال مدينة القدس الشريفة ثمان سنوات ، وعلى جريمة احراق مسجدها الأقصى المبارك خمس سنوات ، واليوم يفيد تقرير يقطر مرارة بعث به أمين مدينة القدس السيد روحي الخطيب أن الحفريات الآثمة وصلت إلى عمق ٢٠ مترا في جدار المسجد الأقصى .. وأن العدو الصهيوني الأثيم ماض في تنفيذ مخططاته الإجرامية الرامية إلى تهويد المدينة المقدسة بالكامل ، وإزالة كل صبغة إسلامية فيها — إن السؤال الفاجع المثخن بالأسى يقول : ما العمل ؟؟

— قضية (القدس) فرع من القضية الكبرى (فلسطين) ولابد من مواصلة العمل (للكل) وإن كان ذلك ينبغي ألا يمنع من

العمل الجاد لاسترداد الأراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في عام ١٩٦٧م ثم التفرغ لحل القضية .

.. وبكلمة واحدة : (الجهاد) العملي الصادق هو الحل الوحيد الحاسم (لأندلس) اليوم فلسطين !

ثم وجه الأستاذ رفقي سؤالا آخر في القضية نفسها وإن اختلف موضوعها — قال :

● بين هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ وانتصار العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ — ماذا كسبنا وماذا خسرنا ؟ ولماذا كانت الهزيمة على مثل ذلك الظلام ؟ ولماذا كان النصر يمثل هذا الألق ؟ .

— حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ كانت مرحلة من مراحل الانتصار على اسرائيل ، ولا ينبغي أن نظل عند هذه المرحلة ، ونكتفي بهذا دون متابعة بقية المراحل أو الخطوات الضرورية لاستكمال جلاء اسرائيل عن الجولان والضفة الغربية للأردن وفي مقدمتها (القدس) العزيزة ..

● يجب أن نستعجل مؤتمر جنيف .. لأن تأخيره في مصلحة اسرائيل .. نستعجله لنعرف ونطمئن هل سنظفر بحقوقنا كما وعدنا مجلس الأمن الدولي في قرارته (٢٤٢ و ٣٣٨ و ٣٣٩) أم أننا سننتظر طويلا حتى تستعد اسرائيل وتقوى شوكتها وتصبح قادرة على الاحتفاظ ببقية الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م أو على الأقل ألا تساومنا على القضية الكبرى والأولى (فلسطين) .

وهنا أقف قليلا .. لأسجل مأساة الواقع العربي خلال هذه

الفترة .. أي منذ ثمانية عشر عاماً تقريبا ــ فقد تطورت الأحداث في المنطقة العربية لمصلحة اسرائيل ، وما خشيناه وقع .. فقد اشتعلت الحرب الأهلية في لبنان ، ولم تزل مشتعلة حتى اليوم ، واستولت اسرائيل على الجنوب اللبناني ، وأمنت تسرب الفدائيين الفلسطينيين إلى داخل أراضيها كما كانوا يفعلون من قبل ، ثم نشبت الحرب الضارية بين إيران والعراق ، ولم تزل ناشبةً ضاريةً ، وبهذا انشغل العرب عن القضية الأولى والكبرى (فلسطين) ، ووجدت اسرائيل فرصةً جديدة .. لكي تضمن بقاءَها وسلامَها بينما العرب في خلافهم يمرحون ، وبصبرهم على الأزمات المتتابعة يفرحون .

مشكلات الشباب المسلم :

لما كان المؤتمر الطلابي الاسلامي ــ المنعقد في أسبانيا ــ مهتما بقضايا الشباب ومشكلاته وحاجاته ــ جاء سؤال الأستاذ رفقي الطيب حول الموضوع نفسه : (ما هي مشكلات الشباب في العالم الاسلامي ؟ وكيف نعالجها ؟) .

● قلت : في نظري إن الشباب المسلم يفتقد الرعاية الواعية والرقابة الكافية .. والحرص اللازم من ولاة أمور آباء ومعلمين وحكاماً على تجنيبه مهاوى التقليد الأعمى التى تتفتح أمامه عن طريق الكتب والمجلات والصحف والاذاعة والتلفاز والرحلات إلى خارج محيطه الخاص .. حيث التحلل من القيم والمبادىء الدينية والأخلاقية .

إن (الرعاية) الموجودة للشباب المسلم في بلاده وخاصة في

المدارس والجامعات ليست كافية لردعه عن الانهيار النفسي ؛ والانحدار الخلقي اللذين يعانيهما .. ولن يخلص منهما عن طريق الندوات والمحاضرات والمواعظ والنصائح ، وإنما يخلص منهما ــ كما أسلفت ــ بالتربية التطبيقية الحازمة في كافة مجالاته وعلاقاته وحركاته وسكناته .

مسؤولية الجامعات نحو الشباب :

ثم سألني الأستاذ رفقي السؤال التالي : (مارستم التدريس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة منذ سنة ١٩٨٧م ــ أى منذ إنشائها ومازلتم تمارسونه فيها وفي جامعة أم القرى بمكة أستاذاً لمادة الثقافة الاسلامية ــ فمن واقع التصاقكم بالجامعة .. ما هي رسالة الجامعات في نظركم ؟ وكيف تستطيع جامعاتنا أن تؤدي دورها وتقوم برسالتها على الوجه المطلوب ؟

● قلت : رسالة الجامعات «الرسمية» المتعارف عليها : هي الوصول بالطلاب إلى مستوى قوي ومتين ورفيع من المعرفة النظرية والتطبيقية ..

وهذا ما عملت وتعمل له الجامعات في العالم قديما وحديثا .

ولكننا نحن المسلمين ــ في مختلف أنحاء الدنيا ــ ينبغي أن تكون رسالة الجامعات عندنا : تزويداً بالعلوم ، وتمكيناً من الأخلاق في وقت واحد .

(فالعلم) في مفهوم الاسلام منذ جاءنا محمد ﷺ بالقرآن الكريم والسنة النبوية ــ ليس مجرد نظريات وأفكار للتعليم ،

أو للتلقين والحفظ وإنما العلم في الاسلام : معرفة وسلوك ، قول وعمل ، فكر وخُلق .

وبعد فهذه ذكريات عن «الدعوة» في المؤتمر الطلابي الاسلامي الذي انعقد في أسبانيا منذ سنة ١٣٩٤ ـ وهي ذكريات لا تخلو من فائدة التذكير بمشكلاتنا وقضايانا التربوية والسياسية والتأريخية .. التى مازالت قائمة حتى الآن مع الأسف الشديد .



المرحوم الشيخ محمد صالح قزاز
الأمين العام الثاني لرابطة العالم الاسلامي

ماذا عن الصومال ؟

ما أكثر ما تحدثنا عن اضطهاد الدول المسيحية والوثنية للأقليات المسلمة من مواطنيها ، وطالبنا بالموقف المثمر والمؤثّر الذي يجب أن تقفه الدول الاسلامية تجاه المظالم التي يعانيها المسلمون هناك ، وهو أن يكون الاستنكار رسمياً من قبلها عن طريق سفاراتها لدى تلك الدول المضطهدة لاخواننا المسلمين .

وأن نعجب مِن تلك الدول غير المسلمة كالهند ويوغوسلافيا وبلغاريا والفلبين وغيرها ــ فعجبنا أكبر من دولة مسلمة كالصومال ، بل وعربية ، وهي عضو في مجلس الجامعة العربية : أن يكون فيها اضطهاد للدعاة والعلماء المسلمين ، وسَجْنٌ وتقتيل وتشريد .

وقد كتب الأستاذ صلاح قبضايا رئيس تحرير «المسلمون» يوم ١١ /٩/ ١٤٠٧ ــ ٩ /٥/ ١٩٨٧ رسالة موجَّهة إلى الرئيس الصومالي محمد زياد بري يستنكر فيها الحكم الذي أصدرته الحكومة الصومالية في يوم ٨ إبريل ١٩٨٧ على مجموعة من الشباب الصالح بالصومال ــ بالاعدام لاتهامهم بالتآمر من أجل تطبيق الشريعة الاسلامية في بلادهم .

ويشير الأستاذ صلاح إلى برقية عاجلة وجهتها جمعية الاصلاح الاجتماعي في الكويت إلى كافة المنظمات الاسلامية في العالم العربي والاسلامي من أجل استنكار هذا الحكم

ـــ الاعدام ـــ على طائفة من شباب الدعاة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية في الصومال .

ثم طالب الأستاذ صلاح قبضايا الرئيس الصومالي أن يصدر بياناً رسميا مفصلا عن أسباب وحيثيات الحكم .. لأن هذا من حق المسلمين أن يعرفوه .

ولم أطلع ـــ بعد ذلك ـــ على ما حدث عقب هذه الرسالة ، وما بعثته المنظمات الاسلامية في العالم من رسائل إلى الرئيس الصومالي حول هذه المأساة .

وقد أحببت أن أعقب على هذه الحادثة المؤسفة بشيء من ذكرياتي عن الصومال .. فقد انتدبت سنة ١٣٩٤هـ من قبل رابطة العالم الاسلامي لزيارة الصومال لنعرف السبب الذي دفع بالرئيس الصومالي محمد زياد بري حينذاك إلى الاستيلاء على معهد التضامن الاسلامي الذي أقامته الرابطة في مقديشو . وكان الوفديتألف مني ومن الاساتذة الأجلاء : محمد المبارك ـــ رحمه الله ـــ ومحمد ناصر العبودي ـــ الأمين المساعد بالرابطة[1] ـــ ويحيى مطهر . ولم يأذن الرئيس الصومالي بمقابلتنا والتحدث معنا ، وكان الصومال في تلك الفترة يخضع للسيطرة الروسية وقد أعدم خلالها أربعة عشر عالماً إحراقاً بالنار .

ومع أن روسيا تخلت عن الصومال ـــ بعد ذلك ـــ وانضمت إلى أثيوبيا .. تساعدها على عدوانها وتحرّشها

---

(١) كان الشيخ ناصر يومذاك وكيلاً بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

بالصومال إلا أن السياسة المناهضة للفكر الاسلامي أو الدعوة الاسلامية مازالت قائمةً في هذا البلد الاسلامي الشقيق العريق .

وكان من ملاحظات الوفد ــ خلال رحلته إلى الصومال ــ استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية فى كتاباتها على جميع المستويات التعليمية والرسمية والشعبية على نحو ما فعلته تركيا في عهد مصطفى أتاتورك .

كما كنا نلاحظ خلال لقاءاتنا مع الوزراء والموظفين الصوماليين تعصُّبهم للتحدث معنا باللغة الصومالية مع أنهم يجيدون الكلام باللغة العربية .. ورأينا العناوين واللافتات والبيانات في مكاتب الوزراء والموظفين وفي المتاجر والشوارع ومختلف المؤسسات ــ مكتوبة باللغة الصومالية بالحرف اللاتيني ومعها ترجمة باللغة الانجليزية . وتساءلنا : لماذا لا تكون الترجمة باللغة العربية على الأقل ؟ ! إن لم يكن الأصل عربياً والترجمة صومالية ؟

تفاصيل الرحلة :

أعود إلى التفصيل ــ بعد الاجمال ــ لما سبق أن كتبته تعقيباً على كلمة الأستاذ صلاح قبضايا .. فاذكر انتداب رابطة العالم الاسلامي ــ في عهد أمينها الشيخ محمد صالح قزاز ــ أمد الله في عمره وأسبغ عليه ثوب العافية ــ لوفدٍ يتكوَّن مني ومن السادة الشيخ محمد ناصر العبودي ، والأستاذ محمد المبارك ــ رحمه الله ــ والأستاذ يحيى مطهر ــ وقد استغرقت الرحلة نحو أسبوع واحد حيث ابتدأت من يوم الأحد ٤ محرم

١٣٩٤هـ وانتهت بيوم الخميس ١١ /١ /١٣٩٤هـ .

وبعد عودتي كتبت تقريراً موجَّهاً لمعالي الشيخ محمد صالح قزاز الأمين العام للرابطة يومذاك ـــ اختار منه للذكرى الفقرات التالية :

قلت لمعاليه :

لا حاجة بي إلى ذكر زيارات الوفد وخطبه وندواته في بعض مدارس الصومال ومعاهده ومساجده .. التي ركَّز فيها على ضرورة التمسك بالاسلام عقيدة وتشريعا وسلوكا ، واعتباره الرابطة الوثقى بين الصومال البلد العربي المسلم وبين أشقائه من الأقطار العربية والاسلامية ـــ وما لقيه الوفد من تجاوب شعبيّ كبير مع خطاباته وزياراته ، يطمئن القلب ، ويبشر النفس بأن شعب الصومال مازال مسلماً ، ومازال فيه خير كثير ، واستعداد للحفاظ على الأخوَّة الاسلامية التي تشده إلى الشعوب الاسلامية ، وخاصة الشعب السعودي الذي يقوده إلى الخير ، ويمسك به على الحق جلالة الملك فيصل حفظه الله وزاده توفيقاً وعزماً[1] .

اتجاه الصومال إلى الاشتراكية
واستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني :

ولكني أريد أن أركِّز على الملاحظات المهمة التالية :

---

(١) كانت الرحلة إلى الصومال في عهد الملك فيصل رحمه الله ـــ وبموافقة جلالته على اختيار الوفد .. وذلك في خطاب رئاسة مجلس الوزراء رقم ٢٧٥٧٨ ١٩ ١١ ١٣٩٣هـ .

● أولا — التقى الوفد بوزير العدل والشؤون الدينية (السيد عبد السلام شيخ حسين) ووزير المعارف (السيد عبد الرزاق محمود أبو بكر) ووزير الصناعة (السيد عيدي قاسم) ووزير الاعلام (السيد اسماعيل علي) وكانت الأحاديث بيننا وبينهم تدور على اتجاه حكومة الصومال الثورية إلى تطبيق الاشتراكية، واستبدالها الحرف اللاتيني بالحرف العربي في كتاباتها على جميع المستويات التعليمية والرسمية والشعبية على نحو ما فعلته تركيا في عهد مصطفى أتاتورك.

وكنا نحذرهم من نفس العاقبة التي تعيش في مرارتها وخسارتها دول عربية وإسلامية اتخذت (الاشتراكية) الماركسية مذهبا اقتصاديا لها وبخاصة ليس في الصومال إقطاع ولا رؤوس أموال طاغية مذلة للطبقة العاملة. فلا داعي إلى تجربة مضرة بشعب الصومال العربي المسلم، والسعيد من اتعظ بغيره.

كما حذّرناهم عاقبة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي فى كتابة اللغة الصومالية.. من أنها ستؤدي إلى القضاء على التراث الاسلامي العريق في الصومال: قرآنا وسنة وفقها وتأريخا وحضارة، كما حدث في تركيا التي كانت تتزعم العالم الاسلامي كله قبل أن يحكمها أتاتورك ويحيلها إلى دولة علمانية ويرغم شعبها المسلم على استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، ويتجه نحو أوروبا اقتباسا لعاداتها وأخلاقها وأزيائها وسياستها.

● ثانيا — لاحظنا، أثناء زيارتنا للمتحف القومي، أن الخطابات الموجهة من سلاطين الصومال الغابرين إلى السلطات

الاستعمارية كانت مكتوبة باللغة العربية حرفا ومعنى . وذلك دليل على عراقة اللغة العربية في الشعب الصومالي ..

● ثالثا ــ وفي مقابل ذلك لاحظنا تعصُّب الوزراء والموظفين رجالا ونساء للتحدث معنا باللغة الصومالية ، مع أنهم يجيدون الكلام باللغة العربية .. كما لاحظنا العناوين واللافتات والبيانات في مكاتب الوزراء والموظفين وفي المتاجر والشوارع ومختلف المؤسسات مكتوبة باللغة الصومالية بالحرف اللاتيني ، ومعها ترجمة باللغة الانجليزية ! وتساءلنا : لماذا لا تكون الترجمة باللغة العربية على الأقل .. إن لم يكن الأصل عربيا والترجمة صومالية ؟

● رابعاً ــ أبدينا لوزير الاعلام ملاحظة على أن إذاعة الصومال لا تذيع باللغة العربية إلا القرآن وحديثاً دينياً ــ خلال ثلاثة أرباع الساعة فقط يوميا .. بينما تخصص بريطانيا وأمريكا وألمانيا وفرنسا ودول أوروبية أخرى ــ وهي ليست دولا عربية ولا إسلامية ــ ساعاتٍ طوالًا خلال الليل والنهار لبث برامج ومواد دينية وعلمية وثقافية باللغة العربية ، كما أنه لا توجد مجلات ولا صحف عربية في الصومال ما عدا صفحتين باللغة العربية أو ثلاثا من جريدة (الطليعة) التي تصدر أسبوعيا باللغة الصومالية والحرف اللاتيني ..

معهد التضامن الاسلامي :

كانت هناك قضية كلف الوفد بمناقشتها مع المسؤولين في الصومال وهي قضية «معهد التضامن الاسلامي» الذي أنشأته

الرابطة في مقديشو عاصمة الصومال .. وأمَّمته حكومة الثورة ــ وكان عذر المسؤولين هناك عن التأميم هو أن هذا قانون عام شمل كل المؤسسات التعليمية الأجنبية أمريكيةً وروسيةً وايطاليةً ومصريةً أيضاً . وتحدثنا مع المسؤولين الصوماليين طويلا عن قضية المعهد .. وانتهى الحوار بيننا على أن يؤسس معهد جديد باسم آخر وبإشراف وزارة العدل والشؤون الدينية عليه ، للخروج من طائلة القانون .. وكان رأيي :

(أ) أن يكون اسم المعهد الجديد «معهد مكة المكرمة للدراسات الاسلامية» ، قاصداً دلالة الاسم على أنه معهد سعودي ، وتذكيراً في الوقت نفسه بالرابطة الاسلامية ، وشدٌّ الشعب الصومالي إلى المملكة العربية السعودية بذكر إسم (مكة المكرمة) .

(ب) أن يكون مدير المعهد سعودياً تختاره الرابطة بالاتفاق مع الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة .

(ج) أن ينشأ في مقديشو داخل العاصمة : مركز ثقافي إسلامي يُزود بالكتب والمراجع والصحف والمجلات العربية والاسلامية والسعودية ، ويفتح يوميا لزيارة الشباب الصومالي ذكوراً وإناثاً للمطالعة والقراءة على أن تُخصص للنساء غرفة منفردة بعيدة عن غرفة الرجال .

وفي اعتقادي : أن هذا المركز الثقافي الاسلامي سيكون ذا أثر بعيد في شدّ الصوماليين إلى الاسلام والعروبة أمةً ولغةً وأخلاقاً . وربما كان أقوى تأثيراً من المعهد ، لأن للمعهد

أشباهاً ونظائر في الصومالي ومجاله محدود بالتدريس لمواد يوجد مثلها في كل المعاهد الأخرى .

وقد لاحظ الوفد أن «القسم العربي» من مكتبة الجامعة الوطنية في الصومال مهمل وصغير الحجم ولا توجد به كتب ومراجع عربية ذات قيمة أو أهمية .

ولذلك يرجى من الرابطة أن تهدي لهذه المكتبة كتباً ومراجع عربيةً وإسلامية للثقافة وليست للدعاية ، ويحسن أن يؤخذ رأى أعضاء الوفد في اختيارها .

كيف يقبل الصومال عضوا في الجامعة ؟

ثم طالبت الرابطة على ضوء تلك الملاحظات أن تهتم وتبادر إلى اتخاذ الاجراءات السريعة التالية :

● أولا ــ تنبيه المسئولين في جامعة الدول العربية إلى ضرورة اجراء حوار جاد مع حكومة الصومال قبل قبوله عضواً في الجامعة ــ حول انحرافه إلى استعمال الحرف اللاتيني ، بدلًا من الحرف العربي ، وأن الجامعة ليس فيها عضو غير عربي اللغة كتابةً وقراءةً وتعليماً حتى لبنان المسيحي لا يتكلم ولا يكتب ولا يتعامل إلا باللغة العربية ..

ثم تشترط الجامعة لقبول الصومال : أن يكتب باللغة العربية وأن يعمل على نشرها والتعليم بها في معاهده ومدارسه ، وأن يتعامل بها رسمياً وتجارياً داخلياً وخارجياً مع لغة أخرى .

● ثانيا ــ أن تمد الرابطة يد المساعدة المادية لعمارة وتجديد بعض المساجد القديمة في الصومال ، وتزويدها

بالمصاحف المناسبة بقراءة (أبي عمرو) وأن تهدي — كما أسلفت — كتباً قيمةً لمكتبة الجامعة الوطنية .

- ثالثا — إنشاء المركز الثقافي الاسلامي في مقديشو على النحو الذي ذكرته انفا .

وفي الختام سألت الله صادقاً أن توفق الرابطة لاستنقاذ الصومال من (ورطته) الاشتراكية واللاتينية التى ستبعده إن لم نتداركه عن حرم العروبة والاسلام .

تعقيب على الرحلة :

لو رجع قراء «الشرق الأوسط» إلى كلماتي الثلاث المنشورة بها عن رحلتي إلى الصومال يوم ٨/ ١١/ ١٤٠٧ — ٤/ ٧/ ١٩٨٧ ويوم ٢٢/ ١١/ ١٤٠٧ — ١٨/ ٧/ ١٩٨٧ ويوم ٢٣/ ١١/ ١٤٠٧ — ١٩/ ٧/ ١٩٨٧ لأدركوا أن رد السفير الصومالي على هذه الكلمات الثلاث المنشور يوم ٢٣/ ١/ ١٤٠٨ — ١٦/ ٩/ ١٩٨٧ كان ردا رسميا .. أى مجرد نفي ، وليس تعقيبا مفصلا على كل ما ورد بالكلمات الثلاث .. وقد أضاف إلى «النفي الرسمي» الذي تعوده قراء الصحف وعرفوا حقيقته — اتهاما مرسلا دون حجة أو دليل بأني أريد الاساءة إلى الصومال ، وإلى العلاقة الطيبة بينه وبين رابطة العالم الاسلامي إلخ[1] .

وكان على السفير الصومالي السيد عبد الرحمن عبدي أن

(١) نشر هذا الرد على تعقيب السفير الصومالي بجريدة الشرق الأوسط يوم ٧/ ٢/ ١٤٠٨هـ

يذكر أولا ــ وقبل أي تعقيب على كلامي ــ أن كتابتي كانت تعليقا على رسالة وجهها الأستاذ صلاح قبضايا رئيس تحرير جريدة «المسلمون» إلى الرئيس الصومالي محمد زياد بري يوم ١١/ ٩/ ١٤٠٧ ــ ٩/ ٥/ ١٩٨٧ يستنكر فيها الحكم الذي أصدرته الحكومة الصومالية يوم ٨/ ٣/ ١٩٨٧ على مجموعة من الشباب الصالح بالصومال بالاعدام لاتهامهم بالتآمر من أجل تطبيق الشريعة الاسلامية .. ويذكر الأستاذ قبضايا في رسالته أن المنظمات الاسلامية في العالم استنكرت ذلك ــ ثم طالب بأن يصدر الرئيس الصومالي بيانا مفصلا عن أسباب الحكم وحيثياته لأن هذا من حق المسلمين أن يعرفوه !

● فلماذا لم يرد السفير الصومالي على رسالة الأستاذ قبضايا .. التى كانت مفتاحا لمقالاتي الثلاث عن رحلتي للصومال وأسبابها ومشاهداتها .. التى لا تحمل حبة خردل من كذب أو تحامل أو تشويه لسمعة الصومال كما زعم السفير .

● ومن غرائب الرد : أنه لم ينف ما ذكرته عن استيلاء حكومة الصومال على معهد التضامن الاسلامي الذي أنشأته الرابطة في مقديشو .. في حين كان مسموحا في تلك الفترة بقيام مؤسسات ثقافية وصحية لروسيا وفرنسا .

● ولم ينف كذلك ما ذكرته عن إلزام الدولة لموظفيها بالتحدث معنا ــ أى وفد الرابطة ــ باللغة الصومالية ، وأن لوحات مكاتب الوزراء والموظفين كانت مكتوبة باللغة الصومالية ثم بالانجليزية وليس للعربية فيها أى أثر ــ مع أن الصومال عضو في جامعة الدول العربية . والمفروض أن يكون عربيا في

كل مظاهر الدولة والشعب ومخابرهما . أما أن يكتفي بأن تكون الدراسة في المدارس باللغة العربية .. فهي مسألة غريبة وعجيبة !

● ولم ينف السفير الفاضل ما أوردته في كلماتي عن حوار الوفد لبعض الوزراء الصوماليين عن اتجاه الحكومة الصومالية لتطبيق الاشتراكية ، واستبدالها الحرف العربي في الكتابة بالحرف اللاتيني .. وإنما قال سعادته : «إن اللغة الصومالية لم تكتب في يوم من الأيام بحروف عربية ، وهي لأول مرة ظهرت في الوجود كتبت بحروف لاتينية» مع أني أثبت في كلماتي أن الوفد خلال زيارته للمتحف القومي رأى الخطابات الموجهة من سلاطين الصومال السابقين إلى السلطات الاستعمارية مكتوبة باللغة العربية حرفا ومعنى .. وهو دليل على أن اللغة العربية عريقة في الشعب الصومالي .. وإلا لما استحق عضوية جامعة الدول العربية !

● ولم ينف سعادة السفير أيضا ما ذكرته في كلماتي من أن إذاعة الصومال لا تذيع باللغة العربية إلا القرآن الكريم وحديثا دينيا خلال ثلاثة أرباع الساعة يوميا ، كما لا توجد صحف ولا مجلات باللغة العربية إلا بعض صفحات من جريدة (الطليعة) الأسبوعية التي تصدر باللغة الصومالية والحرف اللاتيني .

● ونسي أو تناسى سعادة السفير الصومالي ما قلته في مقدمة ملاحظاتي .. «من أن الوفد لقي تجاوبا شعبيا كبيرا مع خطاباته وزياراته .. يطمئن القلب ويبشر النفس بأن شعب

الصومال شعب مسلم ، ومازال فيه خير كثير واستعداد للحفاظ على الاخوة الاسلامية .. » إلخ ونسي السفير أن يذكر كلمة الحق والخير والحب التي ذكرتها عن الشعب الصومالي ، وذهب يتهمني بالقصد السيء . وحسبي أن أختتم تعقيبي عليه بقول الله عز وجل : **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾** .



المرحوم الشيخ محمد علي الحركان
الأمين العام الثالث لرابطة العالم الاسلامي

نعم .. نريد العودة إلى الوراء !!

دعيت إلى حديث عن تطبيق الشريعة الاسلامية في الدول العربية ، وما تواجه به هذه الفكرة من معارضات .. ومن اقتراح بتطبيقها تدريجياً لا جملة واحدة .. وكان هذا الحديث في احدى الدول العربية سنة ١٣٩٥هـ .

أيها الاخوة الأعزاء ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد : —

يواجه رجال الدعوة الاسلامية وبخاصة الدعاة إلى تطبيق نظام الحكم الاسلامي في بعض الدول العربية التي تعيش فيها أغلبية مسلمة — يواجهون صعوبات .. وعقبات واتهامات من أعداء العودة إلى حكم الاسلام .. على اختلاف مذاهبهم الضالة وحججهم الداحضة .

ولنضرب مثلا — احدى الدول العربية الكبرى — قامت فيها دعوة جريئة إلى العودة للحكم بالشريعة الاسلامية ، وتطبيق الحدود والعقوبات الشرعية على المجرمين من لصوص وزناة وقتلة ومرتدين عن الاسلام ..

فكانت هناك في مواجهة هذه الدعوة الفاضلة العادلة : اعتراضات ثلاثة :

● (أحدها) يزعم أصحابه أن في الحدود والعقوبات الاسلامية قسوة وشدة ، فهم مشفقون على منتهكي الأعراض ، وسفاكي الدماء ، وسارقي الأموال .. من إنزال العقوبات العادلة الزاجرة

بهم .. ردعاً لهم ، وعبرةً لغيرهم .

● والاعتراض (الثاني) ينادي حَمَلته : بأن العودة إلى نظام الحكم الاسلامي تخلّف ورجعية وتأخّر عن ركب الحضارة السيار إلى الأمام .. إلى التقدم العلمي والتكنولوجي .

● والاعتراض (الثالث) أن تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية في هذا البلد العربي الكبير الذي يدين معظم شعبه بالاسلام ـــ من شأنه : التفريق بين الأكثرية المسلمة والأقلية النصرانية ، وإضعاف الوحدة الوطنية التي تجمع شمل الطائفتين :

أما الاعتراض الأول ـــ فقد تحدثنا في الرد عليه كثيرا ، وقلنا باختصار :

ـــ أولا : إن الحكم بما أنزل اللهواجبٌ وفريضة .. لا عذر لأمة ولا لدولة في العالم العربي والاسلامي في استبدال القوانين البشرية بشريعة الله العادلة ، وان الله الذي شرع هذا الشرع أدرى بما يصلح الناس من أحكام وعقوبات ، وقد أثبتت تجارب التأريخ بالنسبة للحكومات الاسلامية السابقة واللاحقة صلاحية النظام الاسلامي للحكم ، وأنه حقق حين طُبِّق : العدل والأمن فى المجتمع .

ـــ وقلنا (ثانيا) باختصار أيضا : ـــ إن الدول والمجتمعات الغربية والعربية التي لا تطبق فيها أحكام مماثلة لأحكام الشريعة الاسلامية في الأموال الشخصية والجرائم ـــ عانت وما تزال تعاني من تزايد الانحراف الأخلاقي ، والاعتداء الاجرامي على النفوس والأعراض والأموال ، وواقع هذه الدول والمجتمعات شاهد حي ناطق بما يجري فيها من إلحادٍ وفساد .

وردنا على الاعتراض الثاني ــ وهو اتهام الدعاة إلى تطبيق الشرع الاسلامي في البلاد العربية التي تخضع للقوانين البشرية ــ بأنهم دعاةٌ إلى الرجعيةِ والتخلّفِ والعودةِ إلى الوراء ..

ردنا على هؤلاء : أننا نقولهم لهم : نعم .. نحن نريد أن نرجع بالمجتمعات العربية التي تدين أكثرية شعوبها بالاسلام ــ إلى الوراء ، نريد أن نرجع إلى عهود الحكومات الاسلامية التي كان ينادي حاكمها الأول ﷺ : (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ــ ولا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم ــ ولو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**) !

ــ نريد أن نرجع إلى الوراء .. إلى عهد الحاكم الاسلامي الثاني أبي بكر رضى الله عنه ــ الذي كان يقول لشعبه : (أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) !

ــ ونريد أن نرجع إلى الوراء إلى عهد الحاكم الاسلامي الثالث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ الذي كان يقول لأمته : (من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقوّمه ــ ورحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا) وكان يتجوّل ليلًا ونهاراً بين منازل رعيته ليرى جائعاً فيطعمه ، أو مريضاً فيسعفه ، أو صاحب حاجة فيقضيها له .. حتى رأى ذات يوم يهودياً يسأل الناس فأخذ بيده إلى بيت المال وخصصّ له مرتباً يقيه مذلة السؤال .

ــ ونعم .. نريد أن نعود إلى الوراء .. إلى عهد الحاكم

الاسلامي[1] الذي لم تجد الزكاة في عهده مصرفاً لها لأن الناس قد استغنوا ، فجعل يصرفها في عتق الرقاب ، واعفاف الشباب بإهدائهم مهور زوجاتهم .

ياهؤلاء : إن رجعيتنا خير وعدل وأمن ورحمة وعزة لأنها رجعيَّة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ : ﴿**ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾ وليست كرجعية غيرنا من الأمم الأخرى .. جهلًا وسفهاً وتخلّفاً حتى جاء أسلافنا فعلمُّوهم وأدبَّوهم ، ثم جئنا نحن في أعقاب الزمن فهجرنا حضارتنا العربية ، وثقافتنا الاسلامية .. فكان من حاضرنا ما نرى من تخلّف وضعف وهزيمة !

إن رجعتنا إلى الوراء .. ليست كرجعة أوربا إلى عهود الظلمات ، وحرق العلماء ، ومحاكم التفتيش . وإنما هي عودة إلى الحرية والكرامة والعدالة ، إلى عقيدة التوحيد الصافية ، إلى الحضارة الاسلامية التي كان يستنكر الخليفة ــ في ظلها البارد الكريم ــ أن يعتدي ابن عامله في مصر على فتى قبطي فيقول لأبيه : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) .

أما الاعتراض الثالث ــ فالجواب عليه هو هذا (التأريخ) الاسلامي قديماً وحديثاً .. هل رأى أو سمع هؤلاء المعترضون على تطبيق نظام الحكم الاسلامي ــ أن أقلية نصرانية أو يهودية اضطهدت في ظل حكم دولة مسلمة ؟ أم أن العكس هو الصحيح ، وهو الثابت القائم المشاهد ؟ العكس :

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .. الذي عد خامس الخلفاء الراشدين

هو اضطهاد الأقليات الاسلامية في الدول النصرانية واليهودية[٢] !

ومع الواقع الحاضر ، والتأريخ الماضي اللذين يشهدان بعدالة الحكم الاسلامي في معاملة الأقليات غير المسلمة ـــ بين أيدينا مرجعا النظام الاسلامي : القرآن والسنة .. وما يفيضان به من أمر جازم بالعدل في معاملة غير المسلمين ـــ وبإعطائهم الحرية التامة في ممارسة عقائدهم وعباداتهم وحسبنا آية واحدة وحديث نبوي واحد ـــ لأن نطاق الحديث لا يتسع للاطالة ـــ للتدليل على عدالة الحكم الاسلامي تجاه الأقليات الأخرى .. هي قوله عز وجل :

- **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** .
- ويقول ﷺ : **(من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة)**[٣]

تطبيق الشريعة الاسلامية جملة أم تدرجا :

يدور في بعض الصحف والمجلات العربية حوار علميٍ وفكري حول تطبيق الشريعة الاسلامية : هل يكون جملةً واحدة أم بالتدريج قليلا قليلا ؟

والدولة العربية التي يجري في صحفها ومجلاتها هذا الحوار

(٢) كم تعاني الأقليات الاسلامية اليوم في الهند والفلبين وتايلاند وبورما وأثيوبيا ـــ من حكامها الصليبيين والوثنيين في هذه الدول ؟ !

(٣) رواه أبو داود .

قد نادى فيها المخلصون من أبنائها وعلمائها بالعودة إلى الحكم الاسلامي ، وتنفيذه في كل مجالات الحياة قضائياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتعليمياً[١] .

وهذه الدولة العربية ليست الوحيدة في دعوة علمائها والصالحين من مواطنيها ــ بين دول العالم العربي ــ بل إن معظم هذه الدول بعد حرب سنة ١٩٦٧ التي انتصرت فيها اسرائيل على ثلاث دول عربية ، واحتلت أجزاء مهمة من أراضيها ــ انطلقت شعوبها تنادي بالعودة إلى الاسلام لأنها ترى أن هزيمتها في هذه الحرب وفيما قبلها .. من معارك مع اسرائيل ، واحتلال اليهود لفلسطين عام ١٩٤٨ ، وما حدث في دول المنطقة العربية من انقلابات عسكرية ، وقيام أنظمة حكم شيوعية أو علمانية ــ كل ذلك كان بسبب هجران حكامها للاسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ، واتخاذهم للقوانين الفرنسية والانجليزية والروسية دساتير يحكمون بها بين شعوبهم .

ومنذ عامين تقريبا .. نودي في بعض دول الخليج العربي إلى إنشاء (مجلس فقهي) من علماء المسلمين ورجال القضاء والقانون .. يهدف إلى تقنين الشريعة الاسلامية كلها بما فيها الحدود والمعاملات ، على أن يؤخذ بهذا التقنين في كافة البلاد العربية .[٢]

---

(١) هذه الدولة هي الكويت

(٢) في مقدمتها مصر

ونعود إلى الحوار الدائر حول تطبيق الشريعة الاسلامية في المجتمعات العربية هل يكون جملة واحدة أم بالتدريج شيئاً فشيئاً .

ــ يقول (أحدهم) : إن شباب الأمة الاسلامية الذي لا يعرف معظمه شيئاً عن دينه سيفاجأ أول ما يتعامل مع هذا الدين بأنه يرجم الزاني ، ويقطع يد السارق ، بينما كان قانونه الوضعي سهلًا لا يكلفه أكثر من الزواج بالزانية أو الحبس إذا كانت متزوجة . أما السارق سواء أكان لصا محترفاً أم كان محتاجا وجرته عصابة سيئة إلى السرقة .. فإنه سيصدم مع الاسلام بقطع يده بينما كان القانون الوضعي يعاقبه بالحبس بضعة أشهر لا يحرمه فيها إلا من ممارسة نشاطه خلالها ، ولا يصيبه بعاهة مستديمة باستئصال عضوٍ خطيرٍ من جسده .. كما يفعل به تطبيق الشريعة الاسلامية !

ــ ويرى بعضهم : أنه لابد ــ قبل تطبيق الشريعة الاسلامية في الدول العربية ــ من تربية للشباب في مدارسهم وجامعاتهم على منهج الاسلام .. لتعريفهم بأحكامه وعقائده وآدابه ، وإذاعة ذلك عبر أجهزة الاعلام فى هذه الدول .. تمهيداً لادراك الشعوب العرية ، وبخاصةٍ شبابها ، لحقيقة النظام الاسلامي ، ثم يبدأ التطبيق بعد ذلك .

ــ ويقول (ثالث) : إنه من الخطأ أن تُطَبَّق الحدود في المجتمعات الاسلامية بوصفها الحالي .. حيث لابد من تمهيد لذلك فإن الاسلام حينما نزل لم يأمر مرةً واحدة بتحريم الخمر ، وترك الزنا .. وإنما مهدَّ لذلك ، فعلم الناس دينهم ،

وزرع الايمان في قلوبهم ، ثم تسللَّ معهم إلى التحريم وإلى الأحكام والحدود بعد ذلك [٣].

ويحتج هذا المحاور : بأن الرسول ﷺ لم يؤمر بتبليغ الرسالة إلا بعد الأربعين ، أى بعد اكتمال نضجه وتمام إدراكه . وهذا ينطبق على أبناء الأمة الاسلامية فيجب إعدادها إعداداً كاملًا ، وتهيئتها لتطبيق الشريعة الاسلامية .

* * *

وندخل في الحوار مع هؤلاء الخائضين في أمر نظام الحكم الاسلامي .. وكيف يُطبَّق جملةً أم تدريجاً ؟

إن الاحتجاج ببعثة الرسول ﷺ ، ومنهجه في تبليغ الرسالة الاسلامية .. حيث انتظر أربعين سنة ثم أمر بالدعوة ، وابتدأت الدعوة بالايمان وانتهت بالأحكام والحدود والآداب ..

... هذا الاحتجاج غير وارد ، وهو مردود جملةً وتفصيلًا :

ـــ (أولا) : لأن الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية في المجتمعات العربية ليست نبوَّةً جديدةً ، وليس الداعي إليها نبياً جديداً يبعث في قوم لا يعرفون شيئا عن دعوته ولا يدركون أمراً من رسالته .

ـــ (ثانيا) : لأن الشعوب العربية اليوم تقرأ وتسمع عبر أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة تلفاز وفى المساجد والجامعات ، وفي الأندية الثقافية ، والمؤتمرات العلمية ـــ تقرأ وتسمع من خلال هذه الأجهزة والمؤسسات الاعلامية والتعليمية كثيراً من

---

(٣) هذا هو رأى الشيخ على [illegible] في مجله (صوت [illegible]) في ٢٥ ٥ ١٣٩٧

حقائق الاسلام شريعةً وعقيدةً وأخلاقاً ــ فهي ليست جاهلة بالاسلام وأنظمته القضائية والسياسية والاقتصادية ، وما يرتكبه المجرمون من فواحش إنما يرتكبونه مخالفةً لا جَهْلًا ..

ــ (ثالثا) : لأن الشعوب العربية نفسها هي التي طالبت حكامها بعد هزيمة عام ١٩٦٧ بالعودة إلى نظام الحكم الاسلامي ــ إدراكا منها لعدالة هذا النظام وصدقه ، وفعاليته في تحقيق مجتمع قوي الأركان ، متين البنيان ، لا يشكو ذلة وضعفا ، ولا يعاني فاقة وضنكا ..

ومع إدراك الشعوب العربية لعدالة الشريعة الاسلامية وقدرتها على إقامة المجتمع القوي السعيد ــ فإنها مقتنعة أيضا بأن هوانها وهزيمتها أمام أعدائها في الشرق والغرب ــ وأمام إسرائيل بصفةٍ خاصة ــ كان ذلك بسبب هجر حكامها لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، واستبدال القوانين الوضعية البشرية ــ قوانين الأعداء الألداء ــ بالقانون السماوي الذي لا يأتيه الباطلَ من بين يديه ولا من خلفه .. تنزيل من حكيم حميد ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ...

ــ (رابعا) : لأن التطبيق الفوري لأحكام الشريعة الاسلامية وحدودها هو العلاج الوحيد الرشيد لانقاذ المجتمعات العربية من هذه الفواحش والمنكرات والمظالم التي تسودها وتفشو فيها .. كنتيجة طبيعية لتساهل القوانين الوضعية في مؤاخذة الجناة والمجرمين والظلمة من منتهكي الأعراض ومستبيحي الحرمات ، ومغتصبي أموال الناس ، ومزلزلي راحتهم وأمنهم .

ثم لماذا نتخوّف من مفاجأة السارق والزاني بالعقاب

الاسلامي الرادع الذي يحقق الأمن العام في المجتمع ــ وهما إي السارق والزاني لم يتخوفا على أعراض الناس وأموالهم ؟

إن قطع يدٍ واحدةٍ لسارق تحقّق أمْن آلافٍ من البيوت والأسر ، وتحمي أيدي أخرى من الاقدام على خطف الأموال الحرام ، وتحفظها لأصحابها .. أي تحفظ الأيدى من القطع لأنها حفظت الأموالَ من السرقة ..

وكذلك الشأن في رجم زانٍ واحد .. والقصاص من قاتلٍ واحد فيهما رَدْعٌ لآلاف من الأنفس والأعراض .

ــ (خامسا) : لأن تطبيق النظام الاسلامي في المجتمعات العربية يعني أن تواصل أجهزة الاعلام صحافةً وإذاعةً وتلفازاً ، والمؤسسات الدينية والتعليمية : توعيتها وتذكيرها للشعوب العربية ، وبخاصة الشباب ، بمطالب هذا النظام الرشيد المجيد من إقامة مجتمعات سعيدة يتعاون فيها المسلمون على البر والتقوى .. من تيسير الزواج ، وتخفيف نفقاته وتكاليفه ، وأداء زكاة الأموال للفقراء والمساكين ، مما يساعد على تخفيض نسبة شيوع الزنا والسرقة ، وما يصحب هاتين الجريمتين عادة أو يسبقهما أو يلحق بهما من إزهاق الأنفس وسفك الدماء ..

* * *

وبعد .. فلابد ــ في رأينا ــ من تطبيق فوري للشريعة الاسلامية في المجتمعات العربية على النحو الذي ذكرناه ، ولندع القول بالانتظار والتمهيد ، فإنهما حجة داحضة ، كما

أنهما من ايحاءات الأعداء الذين يعلمون علم اليقين أن دعوة العالم العربي إلى الاسلام عقيدةً وشريعةً وسلوكاً .. تعني إنهاء استعمارهم القانوني والثقافي والتربوي والاقتصادي لشعوبه ، كما تعني رجعة العزة والقوة والنصر إلى هذه الشعوب .



الدكتور عبد اله عمر نصيف
الأمين العام الرابع لرابطة العالم الاسلامي

الاسلام بين الدعوة والدعاية

كنت في أوائل شعبان ١٣٩٧ ــ مع بعض العلماء الفضلاء نجتمع في نواكشوط عاصمة موريتانيا لالقاء دروس أو محاضرات على عدد من اخواننا الأفارقة حول حقيقة الدعوة الاسلامية ومؤهلات الداعية إلى الاسلام[١] .

وكانت محاضرتي الأولى تدور حول (الاسلام بين الدعوة والدعاية ــ وشخصية الداعية وخلقه) .

وبدأت الحديث عن كلمتي (الدعوة ــ والدعاية) لغة واصطلاحا ، فالكلمتان في المفهوم اللغوي الأصيل بمعنى واحد ، لأن كلمة (الدعاية) جاءت في بعض رسائل النبي ﷺ إلى ملوك فارس والروم : **(إني أدعوك بدعاية الاسلام)** .

ولكن مفهوم كلمة (الدعاية) تطور حديثا إلى معنى الثناء والمديح ، والتحسين للأشخاص أو الأعمال أو السلع التجارية ، وأصبحت هناك مكاتب ومؤسسات خاصة بالدعاية لزعيم أو لدولة أو لانتاج صناعي ، أو توزيع تجاري ، ولا يلزم أن يكون كل ما يقال عن هذه الشئون أو الأعمال أو الأشخاص حقا أو صدقا .

وأصبح لفظ (الدعاية) ترجمة لغوية وعملية للفظ الانجليزي

---

(١) كنت هناك مع الأساتذة الدكتور عبد الصبور مرزوق والدكتور محمد خضر والأستاذ أحمد ليبي ــ والأستاذ أبو بكر الجزائري ــ والأستاذ أبو بكر آدم وغيرهم .

(Propaganda) بروباقاندا .. أى مجرد الدعوى أو الدعاوة لأمر ما وتزيينه أو تعظيمه عن طريق أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز .

ومع الأسف الشديد سرت هذه العدوى اللغوية التي حولت مفهوم (الدعاية) الأصيل إلى هذا المعني الدخيل الهزيل إلى العمل الاسلامي فأصبح كثير من العلماء والمؤسسات العلمية والتعليمية تتحدث عن (الاسلام) حديث دعاية لا دعوة .. كمجرد كلام عن محاسن هذا الدين العظيم ، ومكارم أخلاقه ، وعدالة تشريعه ، وصلاحيته للحكم .. دون تحقيق لهذه (الدعاية) لأنها لا مفهوم لها إلا مجرد الثناء والمديح للاسلام .

ولذلك تناولت في محاضرتي ـــ بعد هذا التقديم عن كلمتي (الدعوة والدعاية) لغة واصطلاحا ـــ أهمية أن يكون عمل الداعية المسلم دعوة لا دعاية وأداء لا ثناء مرسلا .

وقلت لاخواني الأفارقة الذين وفدوا من دول أفريقية مختلفة من شمال وجنوب ومن شرق وغرب ـــ : إنكم تعيشون بين أكثريات أو أقليات غير مسلمة ، وهم يرونكم رأى العين ، ويعرفون من سلوككم كل صغيرة وكبيرة . ومن هنا فكل كلمة من كلماتكم عن الاسلام موزونة عندهم بميزان دقيق ، فإما أن يكون الاسلام بحق دين صدق وعدالة وإنسانية .. ممثلا في أفعالكم وأخلاقكم ، وإما أن يتهموه زورا وظلما بعكس ما تدّعونه له .. لما يرون من تصرفاتكم وانحرافاتكم .

لايكن حديثكم عن الاسلام دعاية بل ليكن دعوةً عملية ، صادقة واضحة فيما تنطق به ألسنتكم ، وما تتحرك به أيديكم ،

وما تسعى فيه أرجلكم .

وليكن الداعية إلى الاسلام منكم (قدوة) عملية قائمة ، شاخصة ماثلة للذين يتحدث إليهم عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولابد أن يكون المشتغل بالدعوة الاسلامية مؤهلا بمعرفة حقائق هذا الدين عبادية كانت أم تشريعية أم أخلاقية ، ومسلحا بالحجج والبراهين ، والأدلة والأمثلة ، والأحداث التاريخية .. التي يتأيد بها فيما يتحدث به ، أو يدافع عنه من قضايا أو شئون اسلامية .

ثم ليجتنب الخلافات المذهبية ، والتعصب لمذهب على مذهب ، وتفضيل إمام على إمام ، أو فقيه على فقيه .. فإن هذا المسلك يثير الشقاق بين المجتمعين بين يديه ، والمستمعين إليه ، ويكون وسيلة إلى التفريق ، ونحن نريد التوفيق ، وطريقا إلى الخصام ، ونحن نحرص على الوئام .

افتحوا صدوركم للشباب :

نتابع حديثنا عن الدورة الثقافية في موريتانيا .. فقد تحدثنا إلى الاخوة الأفارقة — من أئمة ومدرسين عن ما ينبغي لهم ، من أن يفتحوا صدورهم للشباب فلا يضيقوا ذرعا بأسئلتهم مهما بدت سخيفة وتافهة ، فإن الشباب المسلم يعيش في حيرة وقلق ، ويعاني من أزمة نفسية وفكرية أمام (التناقضات) التي تسود مجتمعاته ؟ وما هو الحلال وما هو الحرام ؟ لأن ما يقرأه في الكتب ، وما يسمعه من العلماء .. يختلف عن

ما يراه في مجتمعه ، وما يجده في بيته ، وما يعامله به أستاذه أو أبوه .

قلت لهم ذلك لأني رأيت بعضهم يضيق صدره فعلًا بما يوجِّهه زميله أو رفيقه من سؤال حول مشكلة ما أو قضية ما ، ويراها ليست جديرة بالسؤال أو الحوار .

كما رأيت أحد العلماء الأفارقة الذين اشتركوا معنا في هذه الدورة لتدريب الدعاة ــ يغضب لبعض الأسئلة التي توجه إليه ، ويمتنع عن الاجابة عليها ، وكنت أعقب عليه وأقول لهؤلاء الاخوة : اسألوا عما شئتم فنحن هنا حاضرون للاجابة على ما تسألون ، ولحل ما تستشكلون ، ولبيان مالا تعلمون .

وكانت محاضرتي الثانية حول (الشبهات والمفتريات) التي تثار حول بعض الأمور العقائدية أو التشريعية الاسلامية ، والردّ عليها وفضحها وبيان بطلانها .

ثم جاءت محاضرتي الثالثة تفسيراً لبعض سور القرآن الكريم ، وشيء من آياته ، وكان تركيزي في المحاضرات كلها على ما يطرحه المستمعون في أعقابها .. من أسئلة لأجيب عليها بتفصيل أكثر . وقد دار بيني وبين بعض الدعاة الأفارقة الذين كانت هذه الدورة التدريبية من أجلهم حوار متعدد الجوانب ..

كانت هناك مسألة (الداعية) واعداده وتكوينه ، وقد ألقيت محاضرتي الأولى في موضوع (تكوين الداعية المسلم) فتوجَّه إليَّ السيد خليفة هلول ــ من تونس ــ بهذا السؤال : (أليس من المستحسن أن يكون الداعية متسلحا بمهنة تطبيقية ذات

طابع إنساني كالتعليم والتمريض وغيره من العلوم التطبيقية ..
لأن العلم النظري غير كافٍ في عصرنا الذي امتاز بالمادة ..
ولنا في سياسة الدعاة المسيحيين أحسن مثال لذلك ؟

هذا ما كتبه الأخ خليفة التونسي في ورقة بعثها إليّ في أعقاب المحاضرة .. وقد أجبته : بأن الاسلام دين يحث حثا متواصلا فى قرآنه وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام على أن يتعلم المسلم كل علم نافع نظريا كان أم عملياً ... فكل ما ينتفع به الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم ، واجب عليه أن يتعلمه ويعمله .

وإذا كانت العلوم النظرية نافعة للفرد والجماعة من حيث السلوك الأخلاقي والاداري والسياسي ، فإن العلوم التطبيقية نافعة لهما من حيث الانتاج الاقتصادي ، والدفاع العسكري ، والاصلاح الاجتماعي ، والوقاية الصحية ، والعلاج الطبي .

والاسلام ـــ كما هو واقع ملموس من تشريعه القرآني والنبوي ـــ دين العلم والعمل ، ودين الكلمة والسلوك .. والداعية الاسلامي ـــ بصفة خاصة ـــ مطالب أن يكون عمليا في دعوته . ولا شك أن الطبيب الداعية ، أو المهندس الداعية يكون أكثر تأثيراً فى المستمعين إليه ، والمجتمعين به بما يقدم لهم من خدمات عملية بإخلاص وإتقان ـــ كما يوجّه إلى ذلك الاسلام في قوله ﷺ :

- **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ...)**[1]

---

(١) رواه ابن ماجة والبيهقي .

يجب أن يحفظ الداعية القرآن :

ويعقب الأخ (قاسم محمد الملاوي) على ما أسلفته في المحاضرة .. عن ضرورة تزود الداعية بحفظ القرآن الكريم ، ومعرفة أحكامه ، وما يتصل بتفسير آياته .. من معرفة الناسخ والمنسوخ .. والمجمل والمفصل ، والمطلق والمقيد ، والمجاز والحقيقة ، والاشتراك اللفظى لكثير من كلماته ، مع اختلاف المعنى .. الخ .

.. فيقول الأخ قاسم : (كيف تطالبنا بأن يكون الداعية حافظاً للقرآن ، ونحن المسلمين في جنوب أفريقيا — في روديسيا وملاوي مثلا — لا يوجد لدينا حافظ للقرآن من الأفارقة ؟ !! . وهل تقبل المملكة العربية السعودية طلابا من أفريقيا الجنوبية ؟ !! لأننا محتاجون إلى مزيد من التعليم) .

● قلت له : إن تزود الداعية بالقرآن حفظاً لآياته ، وفهما لمقاصده ، وإلماما بعلومه — كل ذلك أمر ضروري ليكون الداعية مؤهلا للقيام بهذا الواجب الاسلامي العظيم ، لأنه محتاج إلى الإستدلال على ما يدعو إليه ، أو يدافع عنه ، أو يرده ويدفعه .. من شئون وقضايا إسلامية ، أو اتهامات وافتراءات على الاسلام .

أما ما يحتاج إليه الاخوة الأفارقة في الجنوب وغيره من علم وثقافة إسلامية في المملكة العربية السعودية .. فالمعروف والمشاهد : أن مدارس المملكة العربية السعودية وجامعاتها تضم أعدادا كبيرة من الطلاب المسلمين في كل مكان من

أفريقيا وآسيا وغيرهما .. ولدينا الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة تكاد تكون خاصة بالطلاب المسلمين من الأفارقة والآسيويين ، وقد تخرَّج فيها الكثيرون ، وعادوا إلى بلادهم ليقوموا بواجب الدعوة والتعليم هناك ..

وباستطاعة إحدى الجماعات أو المؤسسات الدينية هناك أن تتصل برابطة العالم الاسلامي ، أو الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد طالبة ابتعاث بعض حفظة القرآن الكريم العارفين بعلومه وأحكامه ليقوم بالمهمة المطلوبة .. ولن تتخلفا عن التلبية ، بإذن الله وعونه وتوفيقه .

القاضي المسلم بماذا يحكم ؟

وكان السؤال الثالث موجها من الأخ (أحمد لو) من السنغال يقول فيه : (القاضي الذي يحكم بين الناس بالقوانين الوضعية وفقا لنظام حكومته .. هل هو كافر أم مذنب إذا خالف الشريعة الاسلامية ؟ وهل عليه مسئولية في حكمه هذا ؟

وكان جوابي للأخ (أحمد السنغالي) كما يأتي :

لا شك أن القاضي المسلم مطالب بأن يقضي بين الناس بالشريعة الاسلامية .. والقرآن الكريم صريح في ذلك بقوله عز وجل : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** والآية الثانية : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾** وفي الثالثة : **﴿فأولئك هم الفاسقون﴾** .

وهناك آيات أخرى متعددة تأمر الرسول عليه الصلاة والسلام : بأن لا يحكم ــ هو والمسلمون تبع له وهو قدوة

لهم ـــ إلا بما أنزل الله ، وألا يتبع أهواء الناس ...

ويستنكر القرآن في صورة سؤال : **﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾** ؟ كما يقرر فى صورة سؤال أيضا : **﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾** ؟

ومن واجب هذا القاضي المسلم أن يبتعد عن العمل لدى حكومة لا تحكم بما أنزل الله .. إلا في مجال لا يخالف فيه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

وهو لا شك مؤاخذ بمخالفته للشريعة الاسلامية ولكنا لا نستطيع أن نقول : إنه كافر كفرا يخرج من الملة .. لأنه مكره على ذلك ، وهو يعيش في دولة كافرة لا تدين بالاسلام .

أما إذا كان راضياً عن الحكم بغير ما أنزل الله ، وقادراً على الاستغناء عن العمل كقاضي لدى هذه الدولة الكافرة ، ثم لا يهجرها فهو داخل في حكم الآية القرآنية **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** .

الاسلام وواقع المسلمين :

دعيت إلى إلقاء محاضرة في مجلس الشعب الموريتاني «حول نظام الحكم الاسلامي» وأخرى عن «وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية» في الدول التي يحكمها ساسة مسلمون ، وأغلبية مواطنيها مسلمة أيضا .

ولا أريد أن أعيد وأكرر ما سبق أن قلته في أحاديثي أو محاضراتي أو كتبي حول (نظام الحكم الاسلامي) أو عن

وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية في الدول المسلمة[1] .

وإنما غرضي أن أثبت مادار من حوار بيني وبين الحضور من شيوخ وشباب في مجلس الشعب الموريتاني حول هذين الموضوعين الخطيرين ، اللذين أثارا اهتمام المستمعين ، بوصف موريتانيا دولة حديثة العهد بالاستقلال بعد الاستعمار الأجنبي ، ولأن شعبها المسلم حريص على أن يقيم الحكم الاسلامي في وطنه بعد خروج المستعمرين غير المسلمين منه .

كانت هناك في أذهان بعض الشباب الموريتاني خاطرة أو فكرة سيئة عن نظام الحكم الاسلامي .. مستوحاة من أحد مصدرين :

● الأول : ما تغذَّوْا به من ثقافة أجنبية تصور لهم الاسلام ديناً رجعياً متخلفاً قديماً ، لا يصلح للحياة العصرية المتقدمة المتطورة ، وليس في أنظمته وقوانينه الحلول الفاصلة للقضايا والمشكلات الحديثة .

● المصدر الثاني : هو واقع المسلمين الهزيل الذليل ، الذي يعيشونه اليوم ، فلو كان الاسلام بزعمهم — ديناً صالحاً للتطبيق والتنفيذ في العصر الحاضر .. فلماذا لم ينتفع به المسلمون الذين يعيشون اليوم بين أعيننا أو أظهرنا .

وكان تعقيبي على هؤلاء الناظرين إلى الإسلام .. هذه النظرة السوداء ، الحاكمين بضعفه وعجزه وتقصيره .. لأن المسلمين عجزة ضعاف مقصرون ، كان ردِّي عليهم :

(١) راجع كتابي (فكرة الدولة في الاسلام) وكتاب (دين ودولة) .

أولا : إن من شأن أعداء الاسلام أن يرموه بما هو منه براء ..
لأنهم مع الأسف الشديد ــ أعلم من أبناء الاسلام
أنفسهم بحقيقة هذا الدين القيم : عقيدته وشريعته على
سواء ، وهم أعرف من أبنائه بعدالة أنظمته الاجتماعية
والاقتصادية والسياسية وبصلاحيته للحكم ، وقيادة
(الانسانية) الضالة في عصر المادة العمياء إلى الطريق
الأهدي ، وإلى الحياة الأجدى ، وإلى سعادة الدنيا
والأخرى ..
ولذلك هم يخافون أن يقوى المسلمون ، وأن يحكم
الاسلام العالم ، وأن يقتنع الناس به دينا يرضونه
لعقائدهم ، وشرائعهم ، وأخلاقهم . ولا أحب أن أطيل
هنا الحديث عما كتبه المنصفون من مؤرخي الفرنجة
ومفركيهم عن عدالة نظام الحكم الاسلامي وصلاحيته
لقيادة العالم الجديد في الطريق الرشيد إلى العيش
السعيد ..
ومن هنا كانت محاربة هؤلاء الأعداء الألداء للاسلام
واتهامهم إياه بالرجعية والتخلف ، وافتراؤهم عليه الكذب
بأنه دين القسوة والوحشية .. بالنسبة لمعاملة المجرمين
من لصوص الأعراض والأموال .
ثانيا : صحيح أن واقع المسلمين اليوم يعطى فكرة سيئة عن
الاسلام كنظام حكم وسياسة واقتصاد واجتماع وتربية
وتعليم ..
ولكن المسلم الحق مطالب أن يعرف عن دينه ما يعرفه

أعداؤه ، بل أكثر مما يعرفون ، لأنه دينه .. لأنه الزمام والصمام لحياته وسلوكه وعمله ، وتعاونه مع الغير ، ولأنه الطريق والرفيق معا إلى الحياة الأبدية التالية ..

وهو مطالب ــ أيضا ــ بأن يفكر ويعود بفكره إلى تاريخ الاسلام في بداية عهده ، وفي العهود الصالحة التي حكم فيها الاسلام الناس بالعدل والصدق .

والانسان العاقل المفكر الباحث عن الحقيقة لا يحكم بخطأ المنهج أو المبدأ أو النظرية .. لأنه رأى انحراف المطبقين وسوء التطبيق .

فنحن لا نتهم علوم الطب ، وسلامة نظرياته ، وصدق تجاربه .. لما نرى من أخطاء الأطباء ــ كما لا ننكر محاسن الهندسة تنظيماً وتقويماً لأعمال البناء والعمران لما نجده أحيانا من جهل بعض المهندسين .

الاسلام دين الانسانية أبدا :

نتابع حديثنا عن الحوار الذي دار مع الشباب الموريتاني وفي مجلس الشعب بنواكشوط حول نظام الحكم الاسلامي ، فقد طالبت هؤلاء الشباب الحائر بين الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية .. وبين ما يراه من أحوال المسلمين وواقع سلوكهم المتناقض مع الاسلام ــ طالبتهم ألا يتهموا الاسلام .. بالقصور والعجز عن ملاحقة تطورات العصر الحديث ، وتحقيق ما هو أفضل منها وأجمل ، بوصفه دينا يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، ومنافع الأجساد والأرواح ..

نعم يجب ألا يتهم الاسلام بالعجز والقصور بسبب ما نراه من (واقع) ذليل هزيل يعيشه المسلمون اليوم . فإنهم — أى المسلمين — ليسوا شاهدا على الاسلام ، ولا دليلا عليه .. لأنهم لا يقيمون كتابه وسنة رسوله ﷺ نظاما لحياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وإنما تقوم حياتهم في هذه المجالات الثلاثة على أنظمة مستوردة من دول كافرة أو ملحدة أو وثنية .. تحكم شعوبها بقوانين مستوحاة من أهواء ساستها وخرافات مفكريها .

إذن فالاسلام — في حقيقته وواقع عقيدته وشريعته — هو دين الانسانية ، دين الحق والعدل والحرية في حدود مكارم الأخلاق ، والحفاظ على حرمات الناس أعراضا وأنفسا وأموالا .

ولا عبرة بمخالفات المسلمين وانحرافاتهم ، فالمبدأ سليم والنظرية قويمة ، والمنهج صالح للتطبيق في كل زمان وكل مكان ، ولكل إنسان .

الدعوة إلى التنمية الاقتصادية :

وكانت هناك مسألة أخرى طرحها بعض الحضور — وهي كيف نطبق النظام الاسلامي قبل أن نحقق التنمية الاقتصادية ؟

وهو سؤال يدل على مفهوم خاطيء للتنمية الاقتصادية وللاسلام نفسه أيضا ، وهو نتيجة حتمية لسوء التلقي عن (الغير) من الملحدين في آيات الله المفسدين في الأرض ..

فهؤلاء المنادون بالتنمية الاقتصادية من ساسة الدول الكبرى ، والذين أطلقوا على الدول الصغرى اسم (الدول النامية)

جبرا لخواطر ساستها وشعوبها .. بعد أن كانوا يسمونها المتخلفة ــ هؤلاء ساسة الدول الكبرى غير جادين وغير مخلصين فيما نادوا به وفيما زعموه .. من مودة للدول الصغرى ، وحرص على تنميتها الاقتصادية ..

لماذا ؟ لأنهم في الوقت ذاته ــ وبعد أن امتصوا خيرات تلك الدول الصغيرة وثرواتها الطبيعية : الزراعية والصناعية ــ أطلقوا ألسنة خبرائهم وعلمائهم بالويل والثبور ، وعظائم الأمور .. بماذا ؟ بأن العالم مقبل على مجاعة عظمى ، وأن إنتاج الأغذية والأطعمة أقل من حاجة السكان الذين يزيد عددهم يوما بعد يوم ، وإن الدول النامية (أى المتخلفة) معرضة لمخاطر الجوع والموت أكثر من غيرها ..

كل ذلك لتزداد هذه الدول النامية ارتماءً في أحضانهم ، واسراعاً في عقد اتفاقيات اقتصادية معهم تحت شعار (التنمية الاقتصادية) المزعومة ليزدادوا هم بها تسلطا على هذه الدول الصغرى سياسياً واقتصادياً وعقائدياً .

ولا أدل على خداعهم الماكر للدول النامية ، أو لما يسمونه : (العالم الثالث) من أنهم أنفسهم لكي يحتفظوا بأسعار منتجاتهم الزراعية يحرقون أو يغرقون في البحار عشرات الملايين من أطنان القمح والبيض والفاكهة .. في الوقت الذي ينادونه فيه ــ كما أسلفنا ــ بإقبال المجاعة الكبرى على العالم قريباً

الاسلام والتنمية الاقتصادية :

إن التنمية الاقتصادية ركن متين من أركان نظام الحكم

الاسلامي ، ولو رجع هؤلاء الاخوة وأمثالهم من الظانين بالاسلام ظن السوء — إلى ما شرعه القرآن وأحاديث الرسول ﷺ من أحكام خاصة بالمجال الاقتصادي ، وما ناديا به من حث وحض للانسان على سير في الأرض ، وبحث فيما ظهر منها وما بطن من خيرات وثروات وبركات خلقها الله عز وجل لتكون مجالا لنظر الانسان واجتهاده وتفكيره ، واستنباطه واستثماره وتصنيعه — لو رجع هؤلاء إلى القرآن وأحاديث الرسول ﷺ لرأوا العجب من أمر هذا الدين الحنيف ، ولقالوا عنه بعد ذلك أنه وحده دين التنمية الاقتصادية وليست (الشيوعية) التي سلبت الفرد حريته ، وشلت تفكيره وعمله ولا (الرأسمالية) التي أذلت الجماعة لرأس المال احتكاراً واستغلالا .

ونكتفي بآية واحدة وحديث نبوي واحد من آيات وأحاديث تجاوزت العشرات بل المئات كلها مبادىء وآداب تنظم (التنمية الاقتصادية) أفضل تنظيم ، وتمنح الفرد والجماعة معا وفي وقت واحد دون تمييز أو تفضيل — العيش الكريم .

هذه الآية هي قوله عز وجل :

● **﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**[1] ومعها آيات أخرى كثيرة تتحدث عن ثروات البحار والجبال والأنهار ، وتحث الانسان على البحث فيها .. عن معطياتها من غذاء وكساء ودواء — ومواد أخرى صالحة في مجال الصناعة والزراعة ، ومجال

---

(١) سورة الملك /١٥ .

الزينة ، ومجال الحرب والسلم .

وهذا الحديث هو قوله ﷺ :

(لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب .. خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)[٢] إلى جانب أحاديث أخرى تحث على الكسب والعمل ، وترسم منهجا كريما في التعامل الاقتصادي بين البائع والمشتري ، وتحريم الغش والاحتكار والتغالي بالأسعار .

وإذا كان هذا الحديث النبوي يذكر الاحتطاب وحده .. فمعناه لا يقتصر عليه ، وإنما هو إشارة موجزة إلى غيره ، وتنبيه إلى كل عمل يستطيع المسلم أن يتعلمه أولا ثم يمارسه ثانيا .. في مجال الزراعة ، أو الصناعة ، أو التجارة ، أو أى مجال آخر يتصل من قريب أو بعيد بالتنمية الاقتصادية العامة الشاملة للمجتمع المسلم .. الذي يحرص الاسلام على إقامته عزيزا كريما ، يأكل ويلبس من عمل أيدي أبنائه ، لا من عمل أيدي أعدائه .. الذين يتربصون به الدوائر ، ويريدونه متخلفا متسولا متكففاً يتصدقون عليه — مع الثمن الغالي — بطعامهم وشرابهم ، وكسائهم ودوائهم .. وبسلاحهم الذي لم يكن قاطعا ولا دافعا .

إن الاسلام دين العزة : **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** .

ولن تتحقق هذه (العزة) التي خص الله بها المؤمنين به وبرسوله ﷺ إلا (بالاستغناء) التام عن أعدائهم سياسيا واقتصاديا وتعليميا وعسكريا ..

---

(٢) رواه البخاري .

ولذلك اختصهم (بالعزة) ومنحهم أسبابها ووسائلها ، وأرشدهم كيف يتعلمون كل علم نافع ، ويعملون كل عمل صالح ، فهما — أي العلم النافع والعمل الصالح — وسيلتا (الاستغناء) عن الأعداء ، والاستعلاء عليهم .. تماما كما حدث ذلك واقعا تاريخيا في القرون الاسلامية السابقة الصادقة .

أما واقع المسلمين اليوم فليس حجة على الاسلام ، وإنما هو ثمرة اختلافهم وانحرافهم : **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..﴾**[1]

هل تجوز محاربة الحكام ؟

ثم كانت لي ندوات واجتماعات مع الشباب الموريتاني تلقيت خلالها بعض المسائل منهم وأجبتهم عليها .

ومن المسائل التي طرحها أحدهم قوله : هل يجوز للعلماء محاربة الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله ؟

وقد أجبت السائل : بأن واجب العلماء إسداء النصيحة للحكام ، وعليهم أن يواصلوا الدعوة إلى تطبيق نظام الحكم الاسلامي في بلادهم ، وأن يستنكروا الحكم بالقوانين الوضعية البشرية ، وأن يبينوا للناس ولولاة الأمر أنفسهم : أن الشريعة الاسلامية وافية بكل مطالب السياسة والقضاء والتعامل التجاري ، وأن أحكامها واضحة وعادلة ، وهي الضمان الكامل

---

(١) سورة الأنفال /٥٣ .

للاستقرار الداخلي ، والأمن الخارجي في المجتمع الانساني .

أما الثورة المسلحة على الحكام المسلمين الذين لا يطبقون الشريعة الاسلامية في دولهم وبين شعوبهم فلا يقرها الاسلام . لأنها تفتح باب الفتنة والفرقة والانقسام بين الأمة الواحدة ، وتغري أصحاب المطامع والأغراض الخاصة بانتهاز الفرصة للتحكم والتسلط ، كما تدعو الدول الكبرى غير الاسلامية للتدخل والتسرب بأفكارها وأنظمتها وخبرائها إلى هذه الدولة أو تلك .. التي قامت فيها ثورة على حكامها ..

وهذا ما لمسناه بأيدينا ورأيناه بأعيننا في كل الثورات العسكرية التي قامت في عدد من البلاد العربية والاسلامية .. باسم محاربة الفساد والظلم ، وتحت شعار إنصاف العمال والفلاحين المحرومين — وعندما استولى هؤلاء العسكريون على زمام الحكم في هذه الدول العربية والاسلامية ازدادت فقرا .. حيث أفقروا الأغنياء ولم يغنوا الفقراء كما ازداد الانحراف الأخلاقي ، والانصراف القضائي عن أحكام الاسلام وآدابه .

إن الاسلام دين الدعوة بالحسنى ، ودين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودين النصيحة لولاة الأمر ، وعدم السكوت على انحرافهم عن النظام الاسلامي اعتقادا وشرعا وخلقا . ولكن مع الحرص على بقاء المجتمع الاسلامي متماسكا ، والحفاظ على وحدته ، وعدم تعريضه للفتنة والفرقة ، وقفل الأبواب والنوافذ دون تدخل الظالمين المفسدين من الداخل والخارج ليحكموا رقاب المسلمين بالحديد والنار .

وقد ورد في التوجيهات النبوية الدعوة إلى الصبر على الحكام

المنحرفين والظالمين (.. **إلا أن تروا كفرا بواحا**) أي يعلن الحكام كفرهم بالله ورسوله وكتابه .. فعندئذ يجوز بل يجب إعلان الحرب عليهم ، لأنهم أعلنوا الكفر الصريح ، ولا سلمَ مع الكفر البواح في المجتمع الاسلامي .

هل يبيح الاسلام اختلاف الطبقات ؟

وسأل أخ موريتاني آخر : هناك في المجتمعات الاسلامية من يملك الملايين ، ومن لا يملك قوت يومه أو شهره وهم السواد الأعظم ـــ فهل يبيح الاسلام ذلك ؟ وكيف ؟

● قلت للأخ السائل : التفاوت في الأرزاق واقع إنساني ، ولا يستوي العامل الكاسب مع القاعد المنتظر أن تمطر السماء عليه ذهباً أو فضة .

والاسلام كدين إنساني يعترف بطبيعة البشر .. المتفاوتين في مواهبهم العقلية ، واستعداداتهم العملية والكسبية ، وأكد القرآن هذه الحقيقة الاجتماعية في قوله عز وجل : ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون**﴾ .

ولكن الاسلام ـــ مع اعترافه بالتفاوت البشري في طلب العلم وإتقان العمل ، والقدرة على الكسب ـــ يدعو الجهلاء أن يتعلموا ، والكسالى أن يعملوا ، والعاجزين أن يحاولوا جهدهم كسب ما يستطيعون من قوت أو مال يستغنون به عن السؤال .

وهو كذلك ـــ مع هذه التربية النفسية ، والاعداد الخلقي لاتباعه .. أوجب على الأغنياء حقوقا للفقراء والمحتاجين ، وشرع نظام النفقات بين الأقارب ، ونظام الزكاة للأباعد ، وأعلن في الحديث النبوي الصحيح الصريح : أن في أموال الأغنياء حقوقا للفقراء سوى الزكاة .. أي إذا لم تكف الزكاة لقضاء حاجات الفقراء فالأغنياء ملزمون بقضائها فوق ما أعطوه من الزكاة الواجبة ـــ كما جاء في الحديث النبوي **(إن في المال حقا سوى الزكاة)** ومثله **(إن للسائل حقا ولو جاء على فرس ..)** .

ولا شك في أن بعض المجتمعات الاسلامية اليوم لا يطبق فيها نظام النفقات ونظام الزكاة كما شرعها الاسلام ، ولو طبقا كما فرضا لما رأيت مسكيناً ولا فقيراً ، ولا وجدت من يسأل الناس أو يأخذ الزكاة .. كما حدث في عهد الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

● ● ●

وسأل الأخ محمد بن القاضي : هل ألزمنا الاسلام بتنظيم سياسي واقتصادي معين ؟ أم ترك المجال مفتوحا للاختيار ؟

● قلت للأخ السائل : نعم .. إن الاسلام ألزم اتباعه بأحكامه وآدابه كما ألزمهم بعقائده وعباداته على سواء ..

ولقد شرع الاسلام للسياسة والحكم نظاما ، وللاقتصاد نظاما ، وللتعليم والتربية نظاما ، ولعلاقات المجتمع بعضه ببعض نظاما وهذه الأنظمة الاسلامية كاملة شاملة ، وافية بالحاجات ، كافية لحل المشكلات .

وإذا كان علينا أن نحافظ على المبادىء والأصول لهذه الأنظمة الاسلامية التي لا تحل حراما، ولا تحرم حلالا ــ فلا بأس علينا أن نتخذ وفقا لتطور الزمان ، واختلاف المكان وتغير الانسان ــ الأساليب المناسبة للتطبيق التي تساعد على تحقيق الأهداف التى أرادها الاسلام من وراء تشريعاته السياسية والاقتصادية وهي إقامة المجتمع الانساني الآمن السعيد .

حول تعدد الدول الاسلامية !

والمسألة الثالثة في حوار الأخ الموريتاني تدور حول (الدولة الاسلامية) ما حقيقتها ؟ وهل يجوز تعدد الدول الاسلامية ؟

● وكان جوابي للأخ السائل : إن الدولة الاسلامية هي التي تنفذ كل أنظمتها تعاليم الاسلام اقتصاديا وسياسيا وقضائيا واجتماعيا وثقافيا .

وهذه الدولة الاسلامية واجبة الوجود : ليست موجودة الآن كاملة كما ينبغي أن تكون الحال ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ..

أما تعدد الدول الاسلامية فأمر واقع .. لابد منه لبعد المسافات والحدود واختلاف العادات واللغات والأنظمة . والمهم أن يتحد المسلمون أفكارا وأنظارا وجهودا للعمل على تحقيق وحدة اسلامية جامعة ، مانعة لهم من الانحلال الداخلي ، والعدوان الخارجي . وما ذلك عليهم لو صدقوا الله إيمانا وعملا ــ بعزيز .

هل تأخذ الدول الاسلامية بمبدأ الشورى ؟

وسأل أخ موريتاني : هل (الشورى) مطبقة في أية دولة إسلامية اليوم ؟ وإذا لم يكن هذا المبدأ الاسلامي مطبقا في بعض الدول فلماذا ؟ وما الأسباب ؟ .

● قلت للأخ السائل : لا أستطيع أن أحدد أو أعيّن الدول الاسلامية التي تأخذ بمبدأ الشورى في نظام حكمها ، والتي لا تأخذ به .

ولكني أعلم كما تعلم أنت وغيرنا أن هناك دولا تقوم فيها مجالس نيابية تختلف أساليب انتخابها أو تكوينها ، ولكنها تتفق في كونها مجالس تشريعية تعرض عليها الدولة قضاياها ومشكلاتها وأنظمتها الجديدة لتقرها أو ترفضها ، أو تدخل عليها بعض التبديل أو التعديل .

وتختلف هذه المجالس ــ أيضا ــ من حيث قوة تأثيرها على السلطة الحاكمة أو الحاكم نفسه ، فمنها مجالس يتأثر بها الحاكم أو الحكومة ويخضعان لقراراتها وتوصياتها ، ومعارضاتها لآراء الحكومة وأوامر الحاكم ، ومنها مجالس صورية تأتمر بأمر الحاكم ، وتنفذ آراء الحكومة .. دون تعديل أو تبديل .

ومبدأ الشورى في نظام الحكم الاسلامي ركن أساسي من أركان هذا النظام ، وليس له صورة معينة ملزمة أو شكل محدود ملزم .. وإنما المهم المبدأ نفسه ، وطريقة التنفيذ أو أسلوب التكوين متروك لمناسبة الظروف المتباينة واختلاف الأزمنة المتطورة ..

● المهم أن يلتزم الحاكم المسلم بمشاورة العلماء والخبراء الصالحين في كل مجال من مجالات السياسة والادارة والاقتصاد والثقافة ، والأمن الداخلي ، والدفاع الخارجي — وقد ألزم الله تبارك وتعالى نبيه المعصوم ﷺ من الخطأ والمبرأ من الهوى : أن يشاور أصحابه في قوله تعالى : ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[1] كما جعل من أوصاف المجتمع الاسلامي الصالح الناجح — مبدأ الشورى في قوله تعالى : ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[2] وقد طبق الرسول ﷺ نفسه ، وخلفاؤه والراشدون ، والصالحون من خلفاء المسلمين في العهود التالية هذا المبدأ السياسي الذي من شأنه ألا يستبد الفرد برأيه ، وألا يلزم المجتمع الاسلامي كله بهواه .

أما الدول الاسلامية .. التي لا تأخذ بمبدأ الشورى فقد استغنت بالأنظمة والقوانين المستوردة من خارج أوطانها وسكانها ، بل اتخذت من ساسة الدول غير المسلمة أئمة تقتدي بهم ، وتطيعهم فيما يضعون لها من تعليمات وتنظيمات هي أبعد ما تكون عن مبادىء الاسلام أحكاما وأخلاقا .

---

(١) سورة آل عمران /١٥٩ .

(٢) سورة الشورى /٣٨ .

مع المسلمين في أستراليا

في سنة ١٣٩٨هـ[1] دعيت لأمثل رابطة العالم الاسلامي في مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين في استراليا . وقبل الحديث عن المؤتمر ، لابد من كلمة قصيرة عن المسلمين في استراليا . يقول الأستاذ محمد اللاذقي رئيس اتحاد الطلبة هناك :

- إن الاسلام دخل استراليا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، بواسطة الهنود الذين كانوا يفدون إليها للعمل والتجارة .
- وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م) فتحت الحكومة الاسترالية باب الهجرة على مصراعيه فقدم إلى استراليا مسلمون كثيرون من البلدان المجاورة .
- ويبلغ عدد المسلمين الآن في استراليا نحو ٢٥٠,٠٠٠ نسمة معظمهم يقيمون في ولايتي فيكتوريا ونيو ساوث ويلز .
- وفي مدارس استراليا أعداد كبيرة من الطلاب المسلمين من داخل القارة وخارجها .
- ونتيجة لهذا الوجود الاسلامي الملحوظ في هذه القارة تألفت جميعات اسلامية متعددة من عرب ، وأتراك ، وهنود ، وأفغان ، وألبانيين وغيرهم .

---

(١) كان معي خلال هذه الرحلة الدكتور حسن باحودة والدكتور ضياء الأعظمي .

هل من الممكن قيام دولة إسلامية ؟

وفي مؤتمر الطلاب المسلمين الذي انعقد في مدينة ميلبورن هناك تحدثت عن الشباب ، حقوقهم وواجباتهم . كما تحدث زميلي الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي حول الموضوع ذاته . ثم كانت ندوة خاصة بالاجابة على أسئلة الطلاب والطالبات فسألت طالبة ماليزية : هل من الممكن إقامة دولة إسلامية في الوقت الحاضر ؟

ــ قلت لها : نعم .. تستطيع أية دولة إسلامية أن تطبق نظام الاسلام بكل مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلادها وبين شعبها إذا أرادت ذلك ، وصدقت عزيمتها ، ولم تهتم بالمعوقين من أعداء الاسلام ، والجاهلين من أبنائه الذين جهلوا حقيقة هذا الدين الكامل العادل الذي رضيه الله عز وجل منهج حياة سعيدة رشيدة لعباده المؤمنين .

وأضفت : إن المملكة العربية السعودية تقوم مثلا ونموذجا وقدوة لأية دولة إسلامية تريد حقا وصدقا أن تطبق شريعة الاسلام في نظام حكمها . فهي ، أي السعودية ، تنفذ أحكام الشريعة الاسلامية فى نظامها القضائي كما تقيم الحدود ــ أي العقوبات الجنائية ــ على المذنبين والمخالفين والمنحرفين . وهذا هو العامل الوحيد والسبب الفريد لما تنعم به من أمن داخلي لمواطنيها والوافدين عليها .

ويجب أن نلاحظ هنا أن الاستعمار الفرنسي والانجليزي والهولندي وغيره هو الذي حال بين الدول الاسلامية التي كانت الدولة العثمانية تحكمها بالنظام الاسلامي ، وبين الاستمرار

على هذا النظام بعد انحسار الحكم العثماني عنها .

كما أن الاستعمار الشيوعي لبعض دول أوروبا وآسيا ، قد قاوم المسلمين هناك ، وحاربهم حرباً ضارية ، وهدم مساجدهم ومدارسهم ، وأورث شبابهم الالحاد والابتعاد عن الاسلام اعتقادا وحكما وخلقا .

إن المسلمين بكثرة عددهم ، وانتشارهم في جميع أنحاء العالم ، ووفرة الثروات الطبيعية في بلادهم ، يستطيعون أن يكونوا أمة واحدة فعلا كما يريد الاسلام منهم ذلك ، وأن يكونوا أقوياء وأغنياء في وقت واحد ، وأن يحققوا قيام الدولة الاسلامية واحدة أو متعددة .

هل نستطيع الاستغناء عن الغرب ؟

● ويسأل طالب آخر : هل من الممكن للعالم الاسلامي أن يستغني عن العالم الغربي ؟ وكيف ؟

والجواب : إن الاتصال بين دول العالم وشعوبه أصبح واسعا ولازما بحكم التطور في العلوم والتقنيات الحديثة ، ومن الخطأ أن نطالب بانفصال العالم الاسلامي عن العالم الغربي انفصالا تاما .. إذ لابد لنا من أن نقتبس من الدول المتقدمة ما نحتاج إليه من علوم وتقنيات ، وأن نتبادل معها المنافع التجارية والصناعية بكل مجالاتها وأنواعها .

ولكن الذي نطالب به هو الاستغناء عن تشريعاتها وقوانينها وأخلاقها التي تخالف ديننا ، وتنحرف بسلوكنا عن الصراط

القويم ، وتهدم بيوتنا ، وتفسد نساءنا وتضلل شبابنا .

هذا ما نؤكد أننا نستطيع الاستغناء به عن العالم الغربي . وفي الاسلام ما يكفينا ويرفع رؤوسنا ، ويحفظ أعراضنا ، ويصون نساءنا وأبناءنا ويقوي شوكتنا ويحقق وحدتنا .

هل تخلف المسلمين يرجع إلى الاسلام ؟

● طرح بعض الطلاب مسألة بقاء العالم الاسلامي بعيداً عن التطور الاقتصادي والسياسي خلال نصف القرن الماضي ، وسأل هذا الطالب : هل هذا التخلف المشهود بين المسلمين يرجع إليهم أم إلى طبيعة الدين الاسلامي ؟

ــ قلت للطالب السائل : إن الاسلام دين القوة والعزة ، ودين التقدم الاقتصادي والسياسي ، وليس في مبادىء عقيدته ، ولا في أحكام شريعته ما يمكن أن يقال إنه معوق لأي تطور سليم قويم يراد للمجتمع الاسلامي .

وأسباب تخلف العالم الاسلامي ، وضعف دوله ، وتفرق شعوبه متعددة بعضها يرجع إلى الاستعمار الأجنبي الذي أنشب أظفاره في دول العالم الاسلامي وشعوبه ، وأبعدها خلال حكمه لها عن الاسلام عقيدة وشريعة وخلقا ، بما شرع لها من أحكام وآداب اجتماعية ومعاملات اقتصادية مخالفة للاسلام ، مع ما بث من دعاية سيئة تشوه حقائق الاسلام وروائعه ، وتغزو عقول المسلمين بأفكار ومبادىء ضالة مضللة .

وفي مقدمة هذا الغزو الاستعماري الفكري والثقافي زعمهم أن الاسلام لم يعد نظاما صالحا للحكم والسياسة والاقتصاد

والتربية والتعليم في العصر الحديث ، وأنه دين جاء لعصر مضى وانقضى ، ولأمة ذهبت في أعماق التاريخ القديم .

وبهذه المناسبة ، أذكر أني قرأت منذ بضعة شهور منشورات صادرة عن بعض الأحزاب السياسية في احدى الدول العربية ، يعارض فيها هذا الحزب حزبا آخر ينادي بعودة الحكم الاسلامي إلى الدولة وتطبيق الشريعة القرآنية في سياستها الداخلية والخارجية .

ومن غرائب اعتراضات هذا الحزب السياسي على الدعوة إلى الاسلام كنظام للحكم قوله في هذه المنشورات ليس من المعقول أن نعتقد بصواب الحديث النبوي : «**ما أفلح قوم ولّوْا أمرهم امرأة**» في الوقت الذي نسمح فيه بتعيين بعض النساء وزيرات في الحكومة .

وليس من المعقول أيضا أن نرضى بتعيين هؤلاء الوزيرات من النساء ، ويبقى الرجل ممسكا بعصمة امرأته ، الوزيرة ، ويملك وحده حق طلاقها ، كما يملك في الوقت نفسه حق تعدد الزوجات فيقترن بأربع وزيرات .

هذا مثل واحد من أمثلة تأثير الغزو الأجنبي لأفكار المسلمين ، واشرابها بسموم الالحاد في دين الله والاستهزاء بعزائم أحكامه ومكارم أخلاقه .

ونعود إلى أسباب تخلف العالم الاسلامي ، فنضيف إلى ما سبق ، أن البعض يهمه أن يبقى متسلطا أكثر مما يهمه وحدة الدول الاسلامية وقوتها ، وربما تآمر هذا البعض مع دول أجنبية على دولة اسلامية أخرى ، أو منع رفدها ، وأعطاه لدولة

أخرى معادية للاسلام .

ومن الأسباب أيضا أن الدول الاسلامية تقذف بأبنائها من الشباب إلى المدارس والجامعات في الدول الأجنبية حيث يتلقون مع العلم الذي يطلبونه أفكارا وأخلاقا مخالفة للاسلام من ناحية ، وشاغلة لهم من ناحية أخرى عن عزائم الأمور والعمل على التطور بدولهم وشعوبهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

ومن الأسباب ـــ كذلك ـــ أن ساسة الدول الاسلامية يختارون مستشارين لهم في أمور دولهم وشعوبهم من غير أنفسهم ومن غير أبناء ملتهم ، ممن لا يودون لهم الخير والنصر ، ولا يريدون لدولهم صلاحا ، ولا لشعوبهم فلاحا .

أسئلة حول المرأة :

.. وعن المرأة طرحت في المؤتمر من بعض الطلاب والطالبات أسئلة ثلاثة الأول عن دور المرأة في المجتمع الاسلامي ، والثاني عن التحيز المزعوم للرجل ضد المرأة ، والثالث عما يقال من أن زوجات الرسول ﷺ كن معلمات ومدرسات لغيرهن من الرجال والنساء .

وكان جوابي عن هذا السؤال الأول : أن دور المرأة في المجتمع الاسلامي هو تنشئة الأجيال التالية ، ورعايتها على أسس أخلاقية ، إلى جانب مساعدة الزوج ، وإشعاره بأن إلى جواره صديقة ورفيقة تعينه على متاعب الحياة وتكاليف المعيشة ، وتهيىء له الظل البارد الكريم في البيت في فترات

الراحة من العمل وعناء الاكتساب .. وفي الوقت نفسه تتبادل معه الرأي والمشورة في توجيه الأولاد الوجهة السلوكية الصحيحة .. ليكونوا في غدهم رجالا صالحين ونساء صالحات .

ونذكر هنا التوجيه النبوي الراشد إلى هذا الدور العظيم الذي خص الله عز وجل به المرأة ، في اجابته ﷺ لوافدة النساء التي جاءته تستكثر على الرجال أن يكون لهم مجال واسع متعدد الجوانب من العمل الصالح ، وما يتبعه من أجر حسن ، كصلاة الجمعة ، والجماعة ، والجهاد في سبيل الله ، والانفاق من أموالهم ، بينما تظل المرأة قعيدة البيت تحمل وتلد وترضع ، وترعى الزوج وتحضن الولد ، وليس لها من عمل الرجل وأجره شيء !

لقد كانت اجابته ﷺ لوافدة النساء هذه : إن حسن تبعل المرأة يعدل كل ما يقوم به الرجل من عمل ، وما يحظى به من ثواب .. وحسن التبعل هو أداء المرأة لواجب الزوجية والأمومة بأمانة وصدق .

ذلك لأن مهمة الزوجية وواجب الأمومة ليسا يسيرين أو ثانويين ، بل هما أساس قيام المجتمعات السوية القوية ، السعيدة الرشيدة .

إن البيوت التي يشقى أزواجها ، ويضل أبناؤها ، من المستحيل أن ينشأ عن مجموعها مجتمع سعيد رشيد .

أما السؤال الثاني فكانت اجابتي عليه : إن هذا مجرد توهم وسوء ظن ، وهو يشبه الحالة النفسية التي اعترت وافدة النساء

وزميلاتها حين شعرن أن الرجال يحظون بمجالات للعمل الخارجي أوسع من مجالهن داخل البيوت ، وحين استصغرن عملهن العظيم في إحسان معاشرة الزوج ، وتربية الولد .

ليس هناك تحيز من الرجل للرجل ضد المرأة ، فالمرأة هي الزوجة الصديقة ، وهي الأم الرفيقة ، وهي الأخت الحبيبة ، وهي البنت العزيزة ، والرجل أيا كان ، أبا أم زوجا ، أم إبنا ، هو الراعي الحكيم الرحيم لهن جميعا .

ولكن الدعاية المسمومة المضللة التي تنطلق من المفسدين في الأرض ، الملحدين في دين الله ، الذين يريدون للبيت الاسلامي خرابا ، ولأعراض المسلمين انتهاكا ، هي السبب في انتشار هذا الإتهام بأن المرأة المسلمة مهضومة الحقوق ، والاتهام للرجل المسلم بأنه ظالم لها .

زوجات الرسول :
كن مبلغات لا مدرسات !

.. أما المسألة الثالثة في حوار الطلاب والطالبات ، في مؤتمر استراليا ، فهو : هل كانت زوجات الرسول ﷺ معلمات ومدرسات لغيرهن من الرجال والنساء .

● وكان جوابي على هذه المسألة : أن نساء النبي ﷺ كن يسألن من بعض الصحابة والتابعين عن مسائل وأحكام دينية ، فكن يجبن عليها بما رأينه أو سمعنه من النبي ﷺ .. لأنهن بحكم الزوجية كن يطلعن أو يسمعن منه أحكاما أو مواعظ لم

يتح لغيرهن أن يعرفها ، من رجال أو نساء .

وفي حياة الرسول ﷺ ــ أيضا ــ كان بعض النسوة يأتين فيسألن الرسول نفسه وهو في بيت عائشة رضي الله عنها ، أو في بيت أخرى ــ فكان يجيبهن ، أو تجيبهن عائشة مفصلة ما أجمل الرسول من كلام .

ولاشك أن نساء الرسول ﷺ بحكم معاشرتهن له ، قد بلغن الكثير من الأحكام والآداب الاسلامية للصحابة والتابعين مما روته كتب السنة والسيرة النبوية .

ولكن ذلك لا يعني أن نساء الرسول ﷺ يجلسن في ندوات أو حلقات ليعلمن الرجال من الصحابة ، كما يتصور دعاة تحرير المرأة ويحاولون أن يحتجوا بذلك على إباحة خروج المرأة المسلمة وسفورها .

فقد كان الرجال من الصحابة والتابعين يسألون أمهات المؤمنين عن حاجاتهم من وراء حجاب كما هو أمر الله عز وجل في قوله في سورة الأحزاب : **﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾** .

ومن حق المرأة المسلمة ــ بل من واجبها ــ أن تتفقه في أمر دينها وأن تفقه غيرها من المسلمات قريبات كن أم صديقات ، أم جارات أم طالبات للعلم في المدارس الخاصة بالبنات . وقبل ذلك كله ينبغي لها أن تكون معلمة لأولادها من ذكور وإناث ، ومرشدة لهم إلى السلوك القويم ، ومعودة إياهم على أداء العبادات والطاعات الاسلامية .

وإياها أن تظن أن ما وجه إليه الرسول ﷺ من اهتمام بتربية الأولاد ، واجب على الأب وحده ، فهي أيضا مسؤولة عن مشاركته ومعاونته على تحقيق التربية الاسلامية لهم . بل إن القسط الأكبر مطلوب منها ، لأنها أكثر معاشرة للأولاد في البيت من الأب .

وقد أكد التوجيه النبوي حقيقة اشتراك الأبوين في مسؤولية تربية الأولاد في قوله ﷺ : **«كل مولود يولد على الفطرة .. فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه»** .

فتأثير الأبوين مشترك في توريث الأولاد ما يعتقدانه من عقيدة دينية .

حملنا النظام إلى العام
وتخلينا عنه في بلادنا :

ومن بواعث العجب — في استراليا وسنغافورة معا — أن نرى فيهما نظاما أخلاقيا اسلاميا ، وهما دولتان غير اسلاميتين ، فالأولى مسيحية والثانية بوذية ، فقد عجبنا لنظام المرور هناك الذي لم نلحظ في تطبيقه والحفاظ عليه جنديا واحدا .. وإنما السائق سيد نفسه ، وضابط سيارته ، ووازع هواه ، وحسبه الاشارة الحمراء لينتظر والاشارة الخضراء ليسير ، والمشاة يخضعون طائعين للنظام نفسه .

وقد رأيت في الهند وباكستان نظاما مروريا رائعا . ولكن مع رقابة الضابط أو الجندي آمرا بالسير أو الانتظار .

أما نحن — في بلادنا العربية — فلا نافع في تنفيذ النظام ، ولا شافع لمنع المخالفات ، ولا مانع من الأحداث المؤذية أو المردية .. حتى مع الاشارة الحمراء والخضراء ، ومع وجود الضباط والجنود !!

ما أجدرنا — نحن العرب — أن نكون قدوة في التزام النظام الذي جاء به الاسلام ، وربي عليه أسلافنا الكرام ، وأجل .. نحن العرب الذين حملنا الاسلام والنظام إلى العالم كله وإلى الدنيا جميعا ، ثم تخلينا عنه وأصبحنا قدوة للمخالفة والشذوذ .

لقد علمنا الاسلام النظام في التوجيه القرآني : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ وفي قوله أيضا : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا**﴾ .

وعلمنا الاسلام النظام في منهج التربية النبوية : «اسمعوا وأطيعوا .. ولو ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله» . «السمع والطاعة فيما أحب المرء أو كره .. إلا أن يؤمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» . «إنما الطاعة في المعروف» .

والمعروف هو النظام .. النظام في الطريق ، والنظام في السوق ، والنظام في البيت ، والنظام في العمل ، بل حتى النظام في العبادة . ألم نؤمر بتوحيد الصفوف في صلواتنا ، واتباع إمام واحد : نركع إذا ركع ، ونسجد إذا سجد ، ونقوم إذا قام ، ونسلم إذا سلم ؟

وما أروع وأوقع الزجر النبوي في قوله ﷺ : «**إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج**» ولئن كان هذا الزجر موجها

للمصلين ابتداء وأساسا ، ولكنه موجه أيضا ودائما إلى كل عمل في المجتمع الاسلامي . فالله عز وجل لا ينظر أيضا إلى الصف الأعوج في القتال ، وإلى الصف الأعوج في طلب العلم ، ولا إلى الصف الأعوج في الأسرة وبين الآباء والأمهات وأولادهم ، ولا إلى الصف الأعوج في الأسواق التجارية حيث التعامل بين الناس بيعا وشراء ، وعطاء وقضاء .

فلنذكر دائما أننا أبناء حملة الاسلام وأنا ورثة النظام الذي أضعناه ويجب أن نلقاه .

العرب يستعجمون ..
والعجم يستعربون !

نتحدث اليوم عن الجمعيات الاسلامية في استراليا فهي متعددة ... وقد اقترحت رابطة العالم الاسلامي أن يقوم بينها اتحاد يجمع شملها ، ويحقق مصالحها ، ويحل مشكلاتها ، ويوحد شخصيتها .

وقام هذا الاتحاد فعلا ، ولكنه لم يكن على المستوى الذي تمناه المخلصون ، فمازال في منتصف الطريق ، ونرجو أن يبلغ الغاية التي أريدت له ليحقق ما ينتظر منه من أعمال وآمال .

ومما يؤسف له حقا أن العرب هناك منصرفون إلى تجارتهم ووظائفهم ، ومهملون لأولادهم في إلزامهم بالتحدث باللغة العربية منذ ولادتهم . فهم لا يتكلمونها ولا يعرفونها ، وإنما يتكلمون الانجليزية مع آبائهم وأمهاتهم .

وقد رأيت طفلا عربيا بين السابعة والتاسعة فحدثته بالعربية

فرد عليّ بالانجليزية ، ولم يستطع أن يتحدث بالعربية كلمة واحدة . فاستغربت ذلك واستنكرته ، وقلت لأبيه : هذا شيء عجيب .. ألا تتكلم أنت وأم ولدك العربية في البيت ؟ ألم تعودوه على النطق بالكلمات الضرورية في أحاديث الأسرة .. مثل : خذ ، وهات ، وتعال ، واذهب ، وكل واشرب ، وكيف حالك ؟

وكان جواب الأب أن التفت إلى ابنه قائلا له : «كيف فضحتنا مع الأستاذ ؟» .

ولقيت أخا عربيا آخر ، وجرى بيننا حديث طويل عن أوضاع المسلمين في استراليا .. عرفت من خلاله أنه ذهب بأسرته منذ بضعة أشهر إلى بلده العربي وتركها هناك من أجل تعريب لسان ابنته البالغة من العمر عشر سنوات .. لأنها لا تستطيع الكلام باللغة العربية .

وأدركت أن وراء هذه الظاهرة المؤسفة في أبناء العرب وبناتهم في استراليا إهمالا لا يغفر لآبائهم ولأمهاتهم ، ولا يعذرون فيه ، وانشغالا بالعمل والتكسب رجالا ونساء بحيث اضطروا إلى ترك فلذات أكبادهم بين أيدي الخوادم والمربيات الأجنبيات اللاتي يتكلمن الانجليزية مع أطفالهم طوال يومهم .

وكان أعجب من ذلك ـــ عجبا يسر المؤمنين ـــ أن نجد في سنغافورة بعد مغادرتنا لاستراليا حرصا شديدا وعملا دائبا من رئيس جمعية الدعوة الاسلامية وأعضائها على «تعريب» المسلمين ، شبانا وشيوخا ، ذكرانا وإناثا .

ورأينا بأعيننا الطلبة الصغار من الجنسين كيف يتعلمون

العربية كتابة وحديثا ، ويتعلمون تلاوة القرآن الكريم ، وكيف يقيمون الصلاة جماعة .. أذانا وإقامة وركوعاً وسجودا ، مع التسبيح والتحميد .

كما رأينا بأعيننا اجتماع الكبار يوم الأحد — وهو يوم عطلتهم هناك — في فصول بعض المدارس المعطلة يومئذ ليتعلموا اللغة العربية رسما ونطقا .

كانت ظاهرتان : إحداهما تسوء ، والأخرى تسر .. لأن الأولى العرب فيها يستعجمون ، والثانية العجم فيها يستعربون .

أليس ذلك عجبا .. عجبا متناقضا بين ما يسر وما يسوء ؟

ماذا عن المسلمين في كينيا ؟

أقامت رابطة العالم الاسلامي خلال سنة ١٤٠٢هـ ١٢ /٣ /١٩٨٢م ـ دورة تدريبية للدعاة والأئمة والخطباء في أوغندا وقد سبق لها أن أقامت دورات مماثلة في موريتانيا والصومال ونيجريا وغيرها من البلاد الأفريقية ، وفي بعض دول أوروبا وآسيا .

وفي هذه الدورة رافقت أخي الصديق العزيز الدكتور عبد الصبور مرزوق المدير العام السابق للرابطة ـ كما رافقته من قبل في دورات موريتانيا والصومال .. ويشترك معنا في نشاطها بعض الاخوة العلماء من تونس في مقدمتهم فضيلة الأستاذ الشاذلي نيفر ..

وفي طريقي إلى أوغندا مكثت بضعة أيام في نيروبي ـ عاصمة كينيا ـ وسعدت خلال هذه الأيام القلائل بالتعرف على بعض النشاطات الاسلامية في نيروبي .. وكان من فضل الله علي أن القائم بالأعمال السعودي سعادة الأستاذ طاهر جميل عابد مهتم كثيرا بأوضاع المسلمين في كينيا كلها ، وبخاصة العاصمة نيروبي وممباسا ، وهي المدينة التي تحظى بأكثرية مسلمة .

والأستاذ طاهر كما تحدث إليّ الكينيون أنفسهم ، يبذل من ذات نفسه ، وذات جيبه ومما تقدمه الحكومة السعودية : الكثير لمساعدة الاخوة المسلمين في كينيا على إنشاء

المساجد والمستوصفات والمدارس .

وقد سبق لى أن قرأت تقريرا كتبه — في سنة ١٣٩٩هـ مبعوثا الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد : الدكتور علي عبد الحليم محمود والدكتور نعمان السامرائي المدرسان بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض .

يرجع التقرير الفضل في انتشار الاسلام في كينيا — ودول شرق أفريقيا — إلى وجود عدد كبير من إخوتنا الهنود والباكستانيين وقيامهم بنشاط إسلامي من بناء المدارس والمساجد إلى جانب نشاطهم التجاري ، ومسارعتهم إلى تعلم اللغة المحلية

● وأنا أضيف إلى الهنود والباكستانيين إخوتنا الحضارمة .. فإن المهاجرين منهم إلى كينيا — وإلى بقية دول أفريقيا بصفةٍ عامة — قد أثَّروا في الأفارقة إسلامياً وعربياً تأثيراً كبيراً ، ومن مظاهر هذا التأثير ونتائجه الباهرة مع الكينيين ، وانتشار اللغة العربية بين المتزاوجين والمتناسلين من الفريقين .

وقد لاحظت — أنا شخصياً — سرعة تعلُّم الكيني للغة العربية عندما يحضر إلى المملكة للعمل والتكسُّب ، بخلاف الهندي والأندونيسي — أو الآسيوي بصفة عامة — فإنهما يظلان سنوات طوالا دون أن يتقنا التفاهم باللسان العربي .

● ومما جاء في هذا التقرير حديث مفصل عن أوضاع المسلمين في كل من الكمرون والكنغو الأوسط برازافيل ، وزائير ، وكينيا ، وحاجاتهم الاقتصادية والثقافية ، وواجب

الهيئات الاسلامية والأغنياء نحو مساعدتهم تعليمياً واقتصاديا ، ونحو البذل لهم لاقامة المساجد والمدارس التي هي ضرورية جداً لحياتهم دينياً وثقافياً .

● كذلك جاء في هذا التقرير ثناء عاطر على القائم بالأعمال السعودي الأستاذ طاهر عابد ومن قول كاتبي التقرير : (ولا يستطيع زائر مسلم لنيروبي إلا أن يحس بأثر القائم بالأعمال السعودي هناك حتى في مجال الدعوة فإن له فيه أثراً محموداً ، وكثيراً ما تشارك زوجه في التحدث إلى المسلمات في المسجد وبخاصة في شهر رمضان المبارك .)

● ويقولا أيضاً : (لقد استطاع الهنود في كينيا أن ينشئوا جمعية اسلامية لها مسجد كبير هو أكبر مسجد في نيروبي العاصمة ، ولقد ساهم القائم بالأعمال السعودي .. فتبرع بأن قدم خدمات طبية للمسلمين وأدوية تصرف لهم بالمجان ، فكان لذلك أثر طيب في نفوس الناس) .

● ويضيف كاتبا التقرير الفاضلان قولهما : (ثم توج القائم بالأعمال السعودي عمله في نيروبي بأن تبرع ببناء جزء مجاور للمسجد ليكون مدرسةً وقاعةً للمحاضرات في الطابق العلوي من البناء) .

● ويقول التقرير أيضاً : (ما يقوم به القائم بالأعمال السعودي ــ الأستاذ طاهر عابد ــ في كينيا عمل مشرف للمملكة العربية السعودية ونتصور أنه عمل مرضيّ عنه من الله عز وجل ، ويا حبذا لو وجهت لهذا الرجل المخلص خطابات شكر من المخلصين لدينهم في السعودية ــ ويا حبذا لو حُذا حذوه كل

ممثل للمملكة في الخارج وبخاصة في تلك البلاد التي فيها أقليات من المسلمين) .

نشاطات الجالية الهندية والباكستانية :

وجاء في التقرير أيضا أن الجالية الهندية والباكستانية أنشأت جمعية إسلاميةً في نيروبي ــ كما أن لطائفة الاسماعيلية والبهرة نشاطا ملموسا .. على الرغم من انحراف معتقداتهم الدينية ..

ويثني التقرير على نشاط مبعوثي الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وعلى رأسهم السيد فتح الدين الذي طالب التقرير بمزيد من دعمه بالوسائل والامكانيات التي تعينه على أداء مهمته .

كما أثنى التقرير على السيد غلام حسين .. بأن له اتصالات واسعة بكبار المسؤولين في كينيا ، وكثيراً ما حل مشكلات العديد من المسلمين .

وقد عرفت السيد غلام هذا في زيارة له إلى مكة قبل عامين أو ثلاثة ، ثم لقيته في نيروبي خلال هذه الأيام ، وسمعت من أخبار نشاطه الاسلامي ما حملني على الدعاء له بالجزاء الكبير من الله العلي القدير .

وحبذا لو يجد هذا الرجل العامل في حقل الدعوة الاسلامية ــ وبخاصة إنشاء المدارس الاسلامية ــ الدعم المادي من المؤسسات الإسلامية في عالمنا العَربي بخاصة ، والاسلامي بعامة .

والسيد غلام حسين هندي الأصل كيني الجنسية ، قدم إلى كينيا منذ سنة ١٩٣٦ وبدأ عمله في الحقل الاسلامي سنة ١٩٦٨م وقد ساهم في بناء عدد من المدارس والمساجد في نيروبي .

وقد أسعدني الأستاذ غلام بدعوته إياي لإلقاء حديث قبل صلاة الجمعة في أحد مساجد نيروبي ، ثم خطبة الجمعة وكان موضوع الحديث «الأخوة الاسلامية» وموضوع الخطبة. (تقصير المسلمين في طلب العلم) كما اقترحهما على هؤلاء الإخوة الفضلاء .

النشاط الصليبي :

ولفت التقرير النظر إلى التنافس الحاد الذي تمارسه الكنيسة في كينيا .. لمواجهة النشاط الاسلامي ، وطالب بمزيد من الدعم للدعاة الإسلاميين وللمؤسسات الدينية القائمة والتي يجب أن تقوم مستقبلا .

● وعسى أن تستجيب لذلك الرئاسة العامة للافتاء والدعوة والارشاد ، ورابطة العالم الاسلامي ــ بل ينبغي أن يقوم كبار رجال الأعمال في المملكة والأغنياء بالتبرّع لإنشاء المدارس والمساجد والهيئات الدينية التي تقوم بواجب الوعظ والتوجيه .

كما طالب التقرير بمزيد من المِنح الدراسية من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض ، والجامعة الإسلامية بالمدينة ــ للطلاب الكينيين !

وأنا أؤيد هذه الدعوة وأؤكدها ــ رجاء أن يعود هؤلاء الطلاب إلى بلادهم ليكونوا دعاة وبناة للفكر الاسلامي في مجتمعاتهم .

وعدد المسلمين في كينيا نحو ثلاثة ملايين أو أكثر قليلًا أي بنسبة الثلث إلى عدد المواطنين المسيحيين .. والجمعيات الإسلامية هنا يبلغ مقدارها ستين جمعية ، منها أربع جمعيات نسائية . والمساجد نحو (١٢) مسجداً كبيراً وبضعة مساجد صغيرة متفرقة .

أما البرلمان الكيني فعدد نوابه (١٥٧) عضوا المسلمون منهم (٢٧) نائباً ، وكان المفروض أن يكون عددهم خمسين موافقة لنسبة المسلمين من كامل تعداد السكان .

وليس في الوزارة الكينية وزير مسلم وإنما هناك ثلاثة نواب أو وكلاء وزارات ، وهناك (مجلس إسلامي أعلى) رسمي الصبغة يمثل الدولة ، ولا يمثل المسلمين ونشاطه في مجال تطوير المواطنين المسلمين علميا واجتماعيا سلبي .

وتبرز الآن مشكلة خطيرة ومهمة في المحيط الاسلامي ــ في كينيا ــ وهي محاولة الدولة الحاكمة لتطبيق نظام الإرث المسيحي على المواطنين المسلمين ، وهو نظام يقصر التوريث على الزوجة وحدها دون بقية الورثة .

وقد عارضت الجمعيات الاسلامية هذه المحاولة ولكن يبدو أن الدولة الكينية مصرة على تطبيقه على جميع مواطنيها ، مع أن من حق المسلمين أن يستثنوا منه ومن كل قانون لا يتفق مع عقيدتهم أو شريعتهم الاسلامية .

وهذا ما تفعله الدول الاسلامية التي يعيش في ظل حكوماتها مواطنون غير مسلمين ، فإنها لا تفرض عليهم قوانينها الإسلامية وبخاصةٍ قوانين الأحوال الشخصية (الزواج ــ الطلاق ــ الإرث) .

* * *

وقد أتيحت لي زيارة (المدرسة الاسلامية) مع الأستاذ غلام حسين وهي تشتمل على مراحل الروضة والابتدائية والثانوية ، ومما يؤسف له أسف شديد أن هذه المدرسة بدأت إسلامية محضة ، ثم عجزت عن الاستمرار ، واحتاجت إلى مساعدة الدولة ، فاشترطت الدولة لتقديم المساعدة المالية وقدرها نحو (١٥٠) ألف ريال سعودي سنوياً : أن تفتح الدراسة فيها يومياً بالصلاة المسيحية لفظاً وشكْلًا .

وأعتقد أن المبلغ وجيز وقليل .. تستطيع الرابطة أو الرئاسة العام للافتاء والارشاد والدعوة : التطوعَ به سنوياً لكي تعود المدرسة الإسلامية كما كانت .

وقد أسست هذه المدرسة سنة ١٩٢٣ ببناء صغير وفي سنة ١٩٣٨ انتقلت إلى بناء جديد وكبير ..

ومن آمال القائمين عليها : أن تُعَادَل شهادتها الثانوية بمثيلاتها في السعودية تمهيداً لقبول طلابها وطالباتها في جامعات المملكة .. مع رجائهم أن يحظى هؤلاء الطلاب والطالبات بمِنَحٍ دراسيةٍ للتعليم الجامعي في بلادنا .

كما زرت (مدرسة الفلاح) بمنطقة (كيرا) وهي روضة وابتدائية واعدادية وعدد طلابها وطالباتها (١٠٦٤) طالباً وطالبةً . وهي منطقة فقيرة متخلفة في مساكنها وشوارعها تثير في نفوس زوارها الأسى والأسف ، وكأنها بواقعها ومظهرها علامة استفهام : أين المسلمون في العالم العربي والاسلامي عن مساعدة إخوانهم البؤساء من دول أفريقيا وآسيا ؟

محاضرة في ممباسا:

لم يقدر لي الذهاب إلى (أوغندا) والاشتراك مع الدكتور عبد الصبور مرزوق والرفاق من علماء تونس في إقامة الندوات العلمية وإلقاء المحاضرات الدينية ، خلال الدورة التدريبية للأئمة والخطباء والدعاة التي عقدتها رابطة العالم الاسلامي هناك .

واستأذن القائم بالأعمال السعودي الأستاذ طاهر عابد معالي الأمين العام للرابطة في أن أبقى بكينيا .. لأن المسلمين هنا — كما هم في أوغندا — في حاجة إلى مثل تلك الدورة .. وذكّرة بطلب سابق له لاقامة دورة مماثلة في كينيا ، ورجاه أن أقوم ببعض الواجب لمسلمي كينيا .

وسافرت مع الأستاذ طاهر صباح السبت ٢٦ /٤ /١٤٠٢ إلى (مومباسا) وسعدت بزيارة عمدتها الشيخ رجب سنيه وبردٌ الزيارة له في صباح الاثنين ٢٨ /٦ /١٤٠٢ — وقد هيأ لي فرصة الاجتماع بالمسلمين في جامع الأزهر ، وإلقاء محاضرة تتضمن موضوعات متعددة وفقاً لمطلب إمام الجامع الشيخ

طاهر قاسم والأستاذ محفوظ باوزير مدير الإذاعة الاسلامية في مومباسا .

وكان من حديث عمدة مومباسا معنا خلال زيارتنا له أن مومباسا كانت العاصمة الأولى لكينيا ثم في سنة ١٩٠١م تحولت العاصمة إلى نيروبي ، وذكر سيادته أن كينيا تريد توثيق العلاقات الودية من اقتصادية وثقافية وسياسية مع المملكة العربية السعودية ، ودلل على ذلك زيارة الرئيس الكيني للمملكة قبل فترة وجيزة — ثم زيارة وفد تجاري كان هو — أي العمدة — على رأسه للرياض ، في محاولة للتعرف على النشاط الاقتصادي للملكة ، وتبادل المنافع التجارية بين البلدين .

وخلال اقامتي في مومباسا زرت بعض مساجدها ، كما زرت المركز الاسلامي هناك ، ومن نشاطات هذا المركز — كما حدثني الأستاذ محفوظ باوزير — إدارته لمعهد تعليم الخياطة للفتيات المسلمات .. ثم هناك مسجد البلوش الذي تلقى فيه محاضرات خاصةً بالنساء أسبوعياً ، وجمعية الأنصار ، وشباب الأنصار من الجنسين ، ويتركز نشاطهم فى طلب المزيد من الثقافة الاسلامية لمواجهة التيارات الشيوعية والعلمانية والصليبية .

وقد رأيت جمهوراً مزدحماً — في زاوية من شارع جوموكينياتا في مومباسا .. فذهبت لأرى ماذا وراء هذا الازدحام .. فإذا هو الشيخ سعيد بن أحمد يعظ الناس ويفقههم في أمور دينهم ، كما يقوم بالمهمّة نفسها بالنسبة للنساء في جمعية الأنصار ..

وعندما أزف المغرب صليناه في (مسجد النور) واقترح علي الأستاذ محفوظ باوزير أن ألقي حديثاً .. بعد صلاة المغرب ، فتحدثت إلى الحضور في موضوع الدعوة ، وأنها واجبة على المسلمين ، ودرت في حديثي حول الآية القرآنية **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** وقدمت حديثي بالآيات السابقة عليها من التقوى والاعتصام بحبل الله ، وتذكر نعمة الاسلام ، ووحدة الأمة الاسلامية بفضل الله ورحمته : **﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم﴾**[1] .

محاضرة في جامع الأزهر :

وتواعدنا على إلقاء محاضرة مطولة في (جامع الأزهر) بعد مغرب الأحد ٢٧ /٤ /١٤٠٢ ــ وكان موضوعها ثلاثيا : الأول عن عقيدة التوحيد ــ وقد اقترح ذلك إمام المسجد الأخ طاهر قاسم ــ والثاني : إندفاع المسلمين وبخاصة نساءهم وشبابهم إلى تقليد الحضارة الغربية وانحرافاتها ــ والثالث ضرورة العودة إلى الوحدة وعدم التفرق ، ليقوي بنيان الأمة الاسلامية ، ويتوحد صفها تجاه أعدائها . وقد اقترح هذين الموضوعين الأستاذ باوزير .

وأضفت إليها موضوعا رابعا افتتحت به المحاضرة وكان

(١) سورة الأنفال /٦٣ .

اقتباساً من الآيات القرآنية التي تلاها أحد الإخوة الكينيين مبتدئاً من قوله عز وجل : **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾** الآيات[1] .

فذكرت أسباب نزول هذه الآيات في أعقاب غزوة أحد ، وهي مخالفة الرماة لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالبقاء في ربوتهم مهما رأوا من نصر الجيش الاسلامي أو انهزامه .. فلما خالفوا ونزلوا بعد جولة الانتصار الأولى كان ذلك فرصة لخالد بن الوليد وكان يومذاك على فرقة الخيالة لجيش المشركين فدار بخيله على الربوة ثم هبط على الجيش الاسلامي ، فكانت جولة الهزيمة . وأشيع أن النبي عليه الصلاة والسلام قد قتل الخ ..

وكان عمدة ومباسا الشيخ رجب من حضور هذه المحاضرة ، وكذلك السيد سعيد حيميد أحد النواب المسلمين في البرلمان الكيني والأستاذ صالح محمد جمال ، والأستاذ محمد سليمان الطجل ، والأستاذ طاهر عابد القائم بالأعمال السعودي ، وحضرها أيضا الأستاذ باوزير وكان المترجم الأخ ناصر خميس أحد خريجي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

الاحتفال بالمولد النبوي :

ولاحظت اهتمام المستمعين عندما تحدثت عن احتفالات

---

(١) سورة آل عمران /١٤٤ .

المولد النبوي في مومباسا على الرغم من انتهاء المناسبة .. وهي شهر ربيع الأول ــ وقد سألت بعض الإخوة عن سر استمرار هذه الاحتفالات في شوارع مومباسا ، فقال إنها سوف تستمر إلى نهاية رجب .

- فقد قلت للحضور : إن كنتم تحبون رسول الله حقاً فاتبعوا سنته ، واقتدوا بسيرته الطيبة في بيته ، ومع زوجاته وخدمه ، وفي تعامله مع أصحابه والناس جميعاً : دعوةً إلى الخير وأمراً بالمعروف ونصيحةً بالحق ، ورعايةً للأهل ، وتربيةً للأولاد ، وحباً للمؤمنين جميعا : **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** .

- إن حب الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بالمآدب والقصائد والطبول .. إنما حبه بالاقتداء والاتباع : **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبِعُوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**[1] .

إن معظم الذين يقيمون هذه الاحتفالات بمناسبة المولد النبوي ومعظم الذين يحضرونها ــ من التجار والموظفين ، على اختلاف المستويات والمراتب والدرجات لا يؤدُّون أعمالهم بالصدق والأمانة بيعاً وشراءً وتعاملاً مع الناس ، في حاجاتهم وقضاياهم ، وبعضهم سلبيون لا يرفدون مسكينا ولا ينجدون مظلوما وبعضهم يحضرون طوال عامهم مجالس اللهو والرقص والغناء .

---

(٢) سورة آل عمران/ ٣١ .

فهل هؤلاء يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام حقا ؟

أم أنهم يتخذون من حفلات المولد ستاراً لأعمالهم وأخلاقهم يغشون به الناس ويخدعونهم .

وهؤلاء العامة الذين يحضرون هذه الموالد ، ويستمعون القصائد والمدائح .. جهلاء يجب تبصيرهم ، ومغفلون ينبغي تنبيههم إلى أن حب الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتحقق بمثل هذه الاحتفالات – بل الضلالات – وإنما يتحقق بالاقتداء والاتباع لما جاء به من قرآن ، ورسمه من سنة ، وسلكه من سيرة .

● على أنه يجب علينا أن نذكر الناس بالسيرة النبوية الكريمة القويمة ، بالغزوات والفتوح الاسلامية ، بالذكريات العظيمة من ميلاد وهجرة وإسراء ومعراج ووفاة أيضا – بطريقة الأحاديث والمحاضرات والندوات في الاذاعة والتلفاز والصحافة والجامعات والمدارس والأندية الأدبية والعلمية والرياضية أيضا .

فالذكرى تنفع المؤمنين ، والذكرى مطلوبة لأن الناس ينسون وينشغلون بالعمل والكسب ومتارف الحياة .

* * *

وبعد عودتي من مومباسا إلى نيروبي .. كان هناك جدول أعمال جديد : محاضرة كل يوم في أحد المساجد ، وكان موضوع المحاضرة الأولى إهمال الآباء والأمهات لتربية أولادهم – منذ الصغر – على الصلاة ، وتفسير سورة الفاتحة ، وبيان

أهمية الصلاة وفضلها في سلوك المؤمن ــ وموضوع المحاضرة الثانية ــ كما اقترحه السيد غلام حسين ــ مسئولية الانسان عن سلوكه بعيداً عن التعلُّل بالقضاء والقدر ..... تفسيراً لقوله عز وجل : ﴿**إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم**﴾ .

وقد طرح ــ بعدها ــ المستمعون عدداً من المسائل والمشكلات سنذكرها في ما يأتي من حديث بإذن الله وعونه .. لتعميم الاستفادة بها .

وكانت المحاضرة الأخيرة بعد صلاة المغرب في مسجد الصومال وكان موضوعها (مقاصد العبادة في الاسلام) .

مسائل مسلمي كينيا :

وفي ختام الحديث عن كينيا أشير إلى بعض المسائل التي وجهت إليّ فى أعقاب أحاديثي ومحاضراتي التي ألقيتها في مساجد نيروبي وومباسا .

● قال أحدهم إن بعض العلماء في كينيا يدعو إلى مقاطعة الاحتفالات الدينية (كالموالد) بدعوى أنها بدعة ، وقد حضرت أحد هذه الاحتفالات فلم أجد فيها شيئاً مما قيل عنها .. فقد كانت الكلمات والابتهالات بريئة من أية صفةٍ بدعية ، ثم ألقيت حديثاً ذكَّرت فيه الحاضرين بشيء من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فما رأيكم فيما يطالب به هذا البعض من العلماء من المقاطعة الكلية دون تفريق بين ما هو بدعي وغير بدعي ؟ .

ــ قلت للأخ السائل إن المقاطعة على الصورة التي ذكرت تفوت فرصة النصيحة فيما لو كان هناك أمور بدعية ، ومادمت لم تجد أي مظهر مخالف للكتاب والسنة في هذا الاحتفال الديني فإن حضورك ومساهمتك بحديث عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام عمل تؤجر عليه .

وعلى افتراض ان في بعض هذه الاحتفالات الدينية شيئاً مما ينكره الدين ــ فينبغي أن نحضرها من أجل النصيحة لهؤلاء المحتفلين ، وتوجيههم إلى الطريق القويمة في التذكير بكتاب الله وسنة رسولهم ، واجتناب كا ما هو ابتداعٌ منكر ..

* * *

● وسأل (آخر) ما رأيكم إذا اضطر المسلم إلى أن يقدم (رشوة) إلى موظف يعاكس أصحاب الحاجات والقضايا ، ولا ينجزها لهم إلا بالرشوة ؟

ــ قلت للأخ السائل : إذا كنت صاحب حق ، واضطررت لأخذ حقك أو إنصافك في قضية من ظالم ظلمك ــ إلى تقديم الرشوة إلى هذا الموظف الذي لا ينجز قضايا الناس ، ولا يرد لهم حقوقهم إلا بالارتشاء ، فلا بأس عليك . وسيكون هو وحده الآثم ــ والمُهِمُّ : أن تكون صاحب حق لا مبطلا ، أو أن تكون مظلوماً لا ظالماً .. وإلا فلعنة الله ستلحقك معه كما جاء في الحديث النبوي : (**لعن الله الراشي ، والمرتشي ، والرائش**)[٣] والرائش هو الوسيط بين الآخذ والمعطي !

---

(٣) رواه الطبراني في الجامع الصغير .

● وسألتني سيدة عربية تقيم في مومباسا هل يجوز أن نساعد بالمال الجمعيات المسيحية التي تقوم بإنشاء المدارس والملاجيء للأطفال وأصحاب العاهات والعجزة من الكبار ؟ .

ـــ قلت : إن الجمعيَات الاسلامية أولى بالمساعدة .. وفقراء المسلمين رجالًا ونساءً وأطفالًا ، والمعوَّقون منهم كثيرون ومنتشرون في كل البلاد الأفريقية والآسيوية .

أما الجمعيات المسيحية فإن المؤسسات الكبرى ـــ من جنسيتها تُمِدُّها بالعون المادي والأدبي .. ثم هي لا تقوم بهذه الأعمال (الانسانية) أو (الخيرية) إلا لتنصير هؤلاء المحتاجين إليها وبخاصة الأطفال من الجنسين وهذا لا يعني أن تمتنع عن تقديم المساعدة المالية أو الأدبية لفرد أو أسرة مسيحيةٍ أو يهوديةٍ .. فالإسلام لا يمنع ذلك بل يطالبنا به : **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾**[4]

كما أن سيدنا عمر بن الخطاب ـــ خلال حكمه ـــ رضي الله عنه رأى شيخاً يهودياً يسأل الناس في السوق ـــ فقال له : ما ألجأك إلى المساءلة : قال السن والحاجة والجزية ـــ فأمر الخليفة العادل بوضع الجزية عنه ، وفرض له رزقاً في بيت المال كالمسلمين تماماً .

* * *

(٤) سورة الممتحنة /٨ .

وسأل أخ هندي مقيم في نيروبي : هل أُعدّ عاقاً لوالديّ إذا منعت عنهم ما تعودت أن أعطيهما من نفقة شهرية بسبب ما عرفته عنهما من أنهما ينفقان ذلك في شراء المسكر الذي تعودا على تناوله بصورة دائمة ؟ .

ــ قلت للأخ السائل : إذا كان أبواك غير محتاجين لهذه النفقة منك لطعام ولا لشراب ولا كسوة ولا دواء ، فلا بأس بالامتناع عن الانفاق عليهما لأنهما ينفقانها في معصية ، ولكنني أفضل أن تستمر في الانفاق عليهما بنية أن تكفيهما الحالجة إلى الغذاء والكساء والدواء ، ولا عليك إذا أنفقاها في غير ذلك .. وبذلك تؤدي واجب البرّ نحوهما ، ويتحملان وحدهما مسؤولية ما يتصرفان به .

وبعد فهذا ما تيسر لي من تعرف على أحوال إخواننا المسلمين في كينيا ، وما استطعته من مساهمة محدودة في الدعوة خلال إقامتي القصيرة في نيروبي وومباسا ، والله الموفق المستعان .

الدراسات الأمنية
في ندوة الجزائر

كان الموضوع الذي حدده لمساهمتي في الدورة السابقة للخطة الأمنية الوقائية ــ المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض هو :

● أسباب الانهيار الداخلي في المجتمعات العربية ــ الذي مكن للغزو الأجنبي الفكري والخلقي في مجالات التربية والتعليم والاعلام والثقافة ..

وقد استمرت الدورة من ٢٢ /١٠ /١٤٠٣ إلى ١٣ /١١ /١٤٠٣هـ وحضرها موظفون من دوائر الأمن ووزارات الاعلام والكليات التربوية .. من مختلف البلاد العربية ..

وبعد أن قدّمني المشرف العلمي على الدورة الدكتور التهامي نقرة للاخوة الحضور .. حمدت الله وصليت على رسوله ، ثم قلت :

● نتساءل أولا : ما سبب الانهيار الداخلي في المجتمعات العربية ؟ ونتساءل ثانيا لماذا كان الانهيار الداخلي في المجتمعات العربية هو السبيل الميسرة للغزو الفكري والخلقي والأجنبي في مجالات الاعلام ، والتعليم والتربية والثقافة والاقتصاد ، والبيئات الاجتماعية أيضا ؟

● **الجواب على السؤال الأول** : إن الاستعمار العسكري

والسياسي الأجنبي ـــ غربيا كان أم شرقيا هو السبب الرئيسي أو هو المقدمة لكل النتائج التي أثمرها فيما بعد من عقائد ومبادىء وأخلاق وأفكار وشعارات .

• **الجواب على السؤال الثاني** : إن هذه العقائد والمبادىء والأخلاق والأفكار والشعارات الوافدة ـــ من غرب أو من شرق ـــ كانت هي السبيل الممهّدة لمزيد من الغزو الفكري والخلقيّ الأجنبي ، ربما كان أقوى أثرا ، وأعمق رسوخا من سابقه الذي تسرّب خلال الاستعمار السياسي والعسكري ..

اعترافات المستعمرين :

ولنستمع إلى ما يقوله بعض المفكرين والمؤرخين الغربيين أنفسهم عن مقاصد (الاستعمار) وآثاره في المجتمعات الاسلامية عربية وغير عربية .

يقول برنارد لويس في كتابه (الغرب والشرق الأوسط) : إن إدخال القومية العلمانية إلى الشرق الأوسط .. كان أرسخ المظالم التي أوقعها الغرب بالاسلام في هذه المنطقة !

ويصف جيمس موريس في كتاب (الملوك الشاميون) : السياسة الاستعمارية الانجليزية بالغدر والشذوذ والخداع حين يقول : إن بريطانيا لم تف بوعدها للعرب الذين كانت كلمة الانجليز عندهم ـــ كما يقول المؤلف نفسه ـــ رمزا للصدق والوفاء !

* * *

وتحضرنا هنا ونحن نتحدث بإيجاز عن الاستعمار الانجليزي خطبة (غلاد ستون) في مجلس العموم البريطاني التي أعلن فيها بمنتهى الصراحة والوقاحة قوله : لن يهدأ بال أوروبا ما بقي القرآن في أيدي المسلمين ، ومادام المسلمون يرعون اجتماع (الجمعة) بينهم ، ومادام الأزهر معمورا بمدرسيه وطلابه في مصر ، وما ظلت وفود الحجاج تهوي أفئدتها إلى البيت الحرام في مكة) !!

وكموقف غلادستون الحاقد على الاسلام والعروبة في مجلس العموم البريطاني — وقف (غورو) القائد الفرنسي الذي احتل سوريا ، وأراد أن يشفي ظمأ صليبيته الحمقاء .. التي هزمها صلاح الدين الأيوبي شر هزيمة — لقد ذهب غورو إلى قبر صلاح الدين وبصق عليه ، وقال في بلاهة الشامت وجبن الحي الذي يتعالى على ميت : ها قد عدنا مرة أخرى رغم أنفك — يا صلاح الدين — فانهض لترانا في سوريا !!

ومثله القائد الانجليزي (اللنبي) الذي قال عندما دخل القدس بعد هزيمة الأتراك — قال متهكما : (الآن انتهت الحروب الصليبية !)

* * *

ونعود إلى إيجاز ما سوّد به التاريخ المعاصر صفحات الاستعمار الغربي للبلاد العربية والاسلامية — فنذكر ما كتبته الدكتورة زهيرة وعابدين في تقرير لها سنة ١٣٨٤هـ عن

الاستعمار الغربي لأفريقيا .. حيث قالت : إن المسلمين الأفارقة يعيشون في فقر وجهل وذل اجتماعي وذلك نتيجة للسياسة الاستعمارية الغربية التي دأبت في محاربة الاسلام ، ونشر المسيحية ، ووضع القيادات والرئاسات في دول أفريقيا في أيدي المُتنصِّرين من الأفارقة ، أو المثقفين ثقافة غربية !

ويقول الأستاذ حافظ وهبة في كتابه (خمسون عاما في جزيرة العرب) : أن الانجليز لا يهمهم إلا مصالحهم ، والأوروبيون بخاصة لا يعملون إلا لمصالح بلادهم ـــ ثم يأسف الأستاذ حافظ وهبة أسفا شديدا على موقف الانجليز الغادر تجاه أصدقائهم من العرب الذين وقفوا إلى جانبهم خلال الحرب العالمية الثانية !

وفي كتاب (الاسلام في التاريخ الحديث) يقول مؤلفه ولفرد كانتول ـــ أن الاستعمار الغربي وجّه كل أسلحته العلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الاسلام ، وأن الغرب خلق إسرائيل في قلب العالم الاسلامي كجزء من هذا المخطط !!

* * *

وأروع ما في هذه الاعترافات والشهادات التاريخية عن الاستعمار السياسي والعسكري الغربي للعالم العربي والاسلامي ما ينبّه إليه المفكر الاسلامي أبو الأعلى المودودي رحمه الله

حين يقول : إن كل الجرائم الاستعمارية التي ارتكبها الغرب في المجتمعات الاسلامية من بطش وتنكيل ، واحتلال للأوطان واستغلال للانسان لا تساوي ظلما ارتكبه الاستعمار الغربي حين فرض على هذه المجتمعات الاسلامية أنظمته التعليمية والتربوية الغربية عن معتقداتها وعاداتها فأنشأ بذلك أجيالا من شبابنا تنكرت لشخصيتها الاسلامية وأبغضت دينها واحتقرت تاريخها !!

وقد اعترف القس (زويمر) في مؤتمر القدس سنة ١٩٣٥ (١٣٥٤هـ) بأن الاستعماريين الغربيين نجحوا في استبعاد التربية الاسلامية من جميع المدارس والجامعات الغربية !!

ويجب ألاّ ننسى ما أنزله الاستعمار الشيوعي المتمثل في روسيا بمستعمراتها في آسيا وأفريقيا وشرق أوروبا ... من استبداد واستعباد وتشريد وتجويع وتعذيب ونفي وتنكيل وتقتيل ، والشيوعيون يعادون الاسلام ، ويحرصون على استعباد المسلمين لتحويلهم إلى مادّيين ملحدين — لأن الدين في معتقدهم — أفيون الشعوب ، وشعار مذهبهم الشيوعي : (لا إله ... والحياة مادّة) .

وعلى أية حال ... فالاستعمار سواء كان غربيا أم شرقيا : ملة واحدة في أهدافه ومقاصده وحركاته المعادية للشعوب العربية والاسلامية ... وإن اختلفت الأساليب والأدوات والأفكار والمبادىء لكل منهما عن الآخر — التي يتخذها من أجل الانتصار في غزوه الفكري والخلقي والعقائدي لعالمنا العربي والاسلامي ...

وقد رأينا من مظاهر الاستعمار غير المباشر ــ وهو ما أطلقنا عليه (الغزو) الفكري والخلقي : المحاولات التي بذلها المسلمون لاستبدال اللهجات العامية في البلاد العربية باللغة الفصحى ، والدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في الكتابة والتدوين ... كما فعل مصطفى أتاتورك في تركيا فى أعقاب استيلائه على الحكم بعد انهيار الخلافة الاسلامية العثمانية إذ استبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

ومن ذلك تشجيعهم لدعوة القاديانية الباطلة إلى إبطال فريضة الجهاد ، وشغل المسلمين بدعوى مرزا غلام للنبوة وما جاء به من قرآن جديد !!

إلى جانب ظهور مفكريهم بنظريات انحرافية عقيدة وخلقا ... كالدارونية والفرويدية والدوركايمية ، والماركسية ... وكلها تحويل وترجمة وصياغة جديدة لتعاليم اليهود في (تلمودهم) التي دبّروها ليستذلوا بها (الأميين) من نصارى ومسلمين ، ويتفوقون عليهم حُكما وعِلما ...

كذلك من صنائع الاستعمار غير المباشر : نشوء المذاهب الصوفية المغالية والعقائد الدينية المنحرفة ، المسماة (بالاسلامية) زورا وبهتانا ... وقد فرّقت شمل المسلمين اعتقادا وتعبدا واخلاقاً ..

وهناك الدعوات القومية العنصرية التي شجّعها الاستعمار غير المباشر ، وغذاها بلبانه الخبيثة ، ففرّق بين الأمة الاسلامية الواحدة بما بعث من دُعاة القومية الفارسية والعنصرية التركية والقومية العربية والاعتزاز بالفرعونية المصرية ...

تحرير المرأة أقوى أسلحتهم :

ويجب ألا ننسى هنا ونحن نتحدث عن الغزو الأجنبي الفكري والأخلاقي ما بذل الاستعمار غير المباشر له كل جهده ، وكثيرا من ماله ، خلال دعواته ومؤتمراته ، وما أصدر من كتب وصحف ومجلات عربية ..

● ذلك هو (تحرير المرأة) بزعم أنها مظلومة ، مهضومة الحقوق في المجتمعات الاسلامية .. وما يجب من مساواتها بالرجل تعليما وتربية وتوظيفا في مثل أعماله ووظائفه دون اختلاف أو تفريق ، وما تقتضيه هذه الحرية أو المساواة من سفورها واختلاطها بالرجال فى المكاتب والمتاجر والأسواق والأندية وأماكن اللهو واللعب !

لقد اعترف المستعمرون أنفسهم في المؤتمرات التنصيرية التي كانوا يعقدونها في مصر والجزائر والقدس ولبنان والعراق — بأن (المرأة) كانت عنصرا فعالا في تربية الأطفال ، والمحافظة على عقيدتهم ، فيجب — كما تنادوا في مؤتمراتهم تلك — التركيز على العمل في المجتمعات النسائية للتعجيل بإخراج الأجيال الناشئة من إسلامها عقيدة وخلقاً .. عن طريق تحرير المرأة من رباط الأسرة والتزامات الزوج والولد .

ونكتفي بمثل واحد من تأثر بعض الساسة والمفكرين العرب بالدعوات الاستعمارية الغربية — فقد أثبت الأستاذ مصطفى أمين الصحافي المصري المعروف في كتابه (من واحد لعشرة) أن الزعيم المصري (سعد زغلول) رفع الحجاب عن وجه ابنة

الشيخ على يوسف في إحدى حفلات بيت الأمة .. فانطلقت السيدات إلى تقليدها ، ورفعن الحجاب عن وجوههن ، وكرر سعد زغلول فعلته النكراء فى احتفال كبير آخر إذ رفع الحجاب عن الآنسة فكرية حسني وهي تخطب ، فصفقت الجماهير استحسانا ، وأصبح ذلك كأمر من قائد الثورة بنزع الحجاب !

وظهر معه ــ في الوقت نفسه ــ قاسم أمين فألف كتابه (تحرير المرأة ــ والمرأة الحديثة) بإغراء من سعد زغلول . ثم دعت الدعوة نفسها الأميرة عائشة بنت محمد الخامس سلطان المغرب ، فرفعت النساء المغربيات المثقفات الحجاب عن وجوههن .

ويحضرنا هنا قول (أرنولد توينبي) المفكر الانجليزي المعاصر : إن الشرقيين لشعورهم بعقدة النقص أمام الحضارة الغربية ، ورغبتهم في أن يصبحوا متحضرين على غرار الغربيين ــ أخذوا عنا كل شيء الفضائل والرذائل ، وبذلك طغي عليهم الطابع الغربي ، وتفككت ذاتيتهم !!

ونلاحظ أن توينبي قد أحسن الظن فقال عنا إنا أخذنا من الحضارة الغربية (فضائلها) مع (رذائلها) فقط في حين أن الواقع يثبت أننا أخذنا (رذائلها فقط إذ لو أخذنا فضائلها أيضاً لكان لنا مثل تقدمها العلمي صناعياً وزراعياً وعسكرياً .. ولكننا بقينا في هذه المجالات عالة على الغربيين والشرقيين معاً إلى اليوم ، ومازلنا في نظرتهم إلينا دولًا متخلفة ، وإن كانوا يسموننا دولًا (نامية من قبيل المجاملة في الخطاب !! .

كما يحضرنا ـــ ونحن نتحدث عن تأثرنا بالاستعمار غير المباشر ـــ الوصف الذي أطلقه زعماء التغيير على ربائبهم من المفكرين والمثقفين المسلمين عربا وغير عرب ، الذين تسلموا خلال الاستعمار السياسي والعسكري ، وبعد الاستقلال أزمة الحكم في بلادهم .. فقد أطلقوا عليهم وصف (أحجار في لعبة الشطرنج) يحركهم خبراؤهم القديرون من وراء الستار ـــ كما يقول وليم غاي كار في كتاب له بهذا العنوان ..

* * *

لقد بدأ الاستعمار الغربي المباشر ينحسر عن العالم الاسلامي بلدا بلدا ودولة دولة في أعقاب الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) فتحررت منه سياسيا وعسكريا كافة الدول العربية : مصر والسودان والأردن وسوريا ولبنان ـــ والمغرب وتونس والجزائر وليبيا ـــ والكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان ـــ وبقية دول الخليج واليمن الجنوبي ودول أفريقيا الوسطى والجنوبية الخ .

وحتى (فلسطين) خرج منها الانجليز المستعمرون سنة ١٩٤٨ ـــ ولكنهم سلموها لدولة اسرائيل المعتدية الظالمة وفاء منهم ـــ وبئس الوفاء ـــ بوعد بالفور سنة ١٩١٧ لليهود بإقامة وطن قومي لهم على تراب الأرض العربية المسلمة !

أجل تخلص العالم الاسلامي والعربي من الاستعمار الأجنبي بقومياته المتعددة المختلفة .. من انجليزية وفرنسية وهولندية

وإيطالية وأسبانية وغيرها .

لكن هذه (الفرحة) فرحة خروج المستعمرين الغربيين من الديار العربية والاسلامية — لم تتم .. وكان الاستقلال أو التحرر من الاستعمار مزعوما أو موهوما ..

نعم تخلصت الدول العربية والاسلامية من الاستعمار الأجنبي (المباشر) أي العسكري والسياسي ، ودخلت في (استعمار) جديد باختيارها وطوعها ، وكان الأول استعمارا أجنبيا بالحديد والنار ، وكان يتمثل في سلطة مباشرة وسيطرة فعالة على سياسة البلاد العربية والاسلامية واقتصادها وتعليمها وتربيتها وكافة شؤونها الثقافية والفكرية والاجتماعية .

أما الاستعمار الجديد .. فقد كان عن طريق الفكر والقلم واللسان ، وعبر مناهج التربية والتعليم ، ومن خلال المؤسسات الاعلامية إذاعة وصحافة وتلفازا .. تحت شعار التحالف المزعوم والصداقة المفتراة .

استعدادنا الذاتي للغزو الفكري :

لقد تقبل بعض القادة — بعد فوزهم بالحكم والسيادة والسيطرة على مقاليد الأمور في شعوبهم وأوطانهم — تقبلوا واعتنقوا وارتضوا العقائد والمبادىء والأفكار التالية :

- فكرة القومية والتعصب العنصري ..
- مبدأ العلمانية — فصل الدين عن الدولة .
- الاشتراكية الاقتصادية .
- ثم الشيوعية الخالصة ..

● إلى جانب المناهج والبرامج التعليمية والاعلامية الغربية عن عقيدتهم الاسلامية ، وخلقهم العربي الأصيل .

وكان هذا ــ في نظرنا ــ هو الأهم والأخطر .. نعني الاستعمار غير المباشر الذي تلقاه ورحب به الاستعداد الذاتي عند المسلمين أنفسهم ، وبخاصة قادتهم وكبراءهم المسيطرين على أزمة الحكم ومقاليد السياسة ، والموجهين في ميادين الفكر والتربية والتعليم ..

إن (الاستعداد الذاتي) لدينا للتقليد والاتباع والانمياع في بوتقة المخططات الاستعمارية ، والتوجيهات الصهيونية ــ والمبادىء الشيوعية الملحدة ، وبالتالي نقل المذاهب والأفكار والأخلاق الأجنبية الغازية إلى مجتمعاتنا : من أسر ومدارس وجامعات ، وصحف ومجلات وإذاعات ــ هو المسؤول عن ما تعانيه المجتمعات العربية والاسلامية من بلاء .

وكانت هذه المنقولات أو المقتبسات ــ الغربية والشرقية ــ تقدم إلى الشعوب الغافلة من قبل سادتها وكبرائها مغلفة بقشور حلوة خضراء من أوصاف وأسماء أطلقوا عليها : التطوير ، والتحرير ، والتجديد ، والتنمية ، والتيسير ، والعدالة الاجتماعية ، والاشتراكية .

أجل إن الاستعمار الذاتي هو الأهم والأخطر ــ فالاستعمار الخارجي بكل قواه العسكرية والاقتصادية عندما كان مسيطرا على الدول والشعوب العربية والاسلامية لم يستطع أن يجهز على (العروبة المسلمة) تماما . ولكن العرب أنفسهم استطاعوا أن يتموا الاجهاز عليها ، بعد أن تحررت بلادهم من الاستعمار

السياسي والعسكري المباشر ، وتنادوا بأن دولهم أصبحت حرة مستقلة ، وتغنوا بأنهم أصبحوا سادة في بلادهم وأحرارا أعزاء !!

* * *

إذن .. ما المطلوب ؟

إذن يجب ألا نهتم بالاستعمار الأجنبي السابق ، وألا نضيع أعمارنا وأموالنا في شتمه ولعنه ، وفي إلقاء الاتهام تلو الاتهام عليه بأنه السبب الدائم لما يعانيه العالم الاسلامي والعربي من انهيار فكري وخلقي ..

كما ينبغي ألا نشغل مؤتمراتنا وصحافتنا ومجلاتنا وأجهزة إعلامنا ، ومنابر مساجدنا .. باللوم أو النقد لما أسميناه (بالتيارات) الفكرية الهاجمة على المجتمعات العربيـة والاسلامية ــ من غرب وشرق ــ

فهذا وذاك كلاهما شبيه ــ فى نظرنا ــ بما تفعله الندابات من عويل ، ولطم للخدود ، وشق للجيوب في جنائز الموتى أو على قبورهم .

ولكن المطلوب ، بل المفروض على مؤسسات الأمن العام في المجتمعات العربية ، ووزارات التربية والتعليم ، وما يسمى بوزارات الثقافة والشباب ، ووزارات الاعلام : أن تهتم بالأعداد للمستقبل .. أعني بتدارك الشباب العربي في مجالات التربية والتعليم والثقافة والاعلام والرياضة ، وهو في مرحلته الخطيرة ، مرحلة النمو والتلقي والاقتداء ، وتوجيهه وجهة الخير والبر

والتقوى ، وإبعاده عن المؤثرات والمغريات الحضارية الوافدة أو الواردة من شرق أو غرب ، وتحصينه بثقافة إسلامية وثيقة عميقة يستطيع أن يواجه بها ما سميناه «الغزو» الفكري والخلقي لتراثنا العقائدي والأخلاقي الأصيل النبيل ..

(فالشباب) هو أمل الانقاذ ، ورجاء الخلاص مستقبلا لا حاضرا ، لأن الحاضر ــ ممثلا في الكهول والشيوخ ــ لا يستطيع أن يقدم أكثر من النصائح والنذر والمناهج والمخططات ..

وكذلك المؤتمرات والندوات التي يجتمع خلالها المهتمون بقضية الغزو الأجنبي فكريا وأخلاقيا للمجتمعات العربية والاسلامية ــ هذه المؤتمرات والندوات لا تقدم أكثر من القرارات والوصايا بما يجب اتخاذه من عمل لاعادة البنيان العربي قويا صحيحا بعد انحساره بسبب تلك الغزوات الأجنبية الفكرية والأخلاقية .

أجل .. لكي نعيد (الشخصية) العربية الاسلامية الأصيلة إلى عقول المسلمين عربا وعجما ، وإلى ألسنتهم ووجوههم وهيئاتهم ــ يجب أن نبدأ من الآن (بالشباب) ليبدلوا غدا ما نشكوه ، ويحققوا ما نرجوه .

أما الكهول والشيوخ الذين تأثروا ــ باختيارهم أو رغما عنهم ــ بالحضارة الغربية والتفكير الشيوعي ، وتمكن الغزو الفكري والخلقي الأجنبي من رؤوسهم وقلوبهم وجوارحهم فلن تعود إليهم شخصيتهم العربية المسلمة مهما حضروا من

مؤتمرات وندوات ، ومهما سمعوا أو قرأوا من قرارات وتوصيات ، أو نصائح ونذر .

ولا يسعنا — في الختام — إلا أن نحيي المركز العربي للدراسات الأمنية تحية طيبة مباركة على جهودة المتتابعة من أجل تحقيق (الأمن العام) في البلاد العربية .. في كل مجالاته ومصادره وموارده .

ونلاحظ أن (المركز) ليس سعوديا فقط — بل هو (عربي شامل) ولذلك أتقدم إليه بالمقترحات التالية :

- أولا — إن المركز مطالب بإبلاغ وزراء الاعلام في الدول العربية بنتائج أبحاثه ودراساته وقراراته الدورية حول (واقع) الاعلام العربي — إذاعة وصحافة وتلفاز — وما طرح من آراء المفكرين والعلماء — خلال الدورات والندوات — لاصلاح الأوضاع الاعلامية العربية ..

- ثانيا — لأن (السعودية) تمتاز بأنها ملتزمة بأحكام الشريعة الاسلامية ، ولذلك تقل نسبة الأحداث الخلقية والجنائية فيها عن غيرها من المجتمعات العربية — ينبغي للمركز أن يسارع — بالتعاون مع الجامعات والمدارس ومؤسسات الأمن العام — إلى تنفيذ مقررات الدورات والندوات أولا فأولا .

وبعد .. فأكرر شكري لسيادة رئيس المركز الدكتور فاروق عبد الرحمن مراد — لما يبذل من جهود متتابعة لانجاح أعمال المركز وتحقيق أهدافه .

والله الموفق والمستعان ،

حوار بين المتحدثين والمستمعين :

بعد فراغي من التحدث إلى المستمعين ــ وهم مختلفو الجنسيات .. من تونس والجزائر واليمن ، ومن السعودية والكويت والبحرين وعمان والامارات وقطر ومن المغرب وسوريا وليبيا ــ كما أنهم مختلفو الاختصاصات .. فمن رجال أمن إلى موظفي إعلام ، إلى مدرسي تربية ــ أقول بعد فراغي من التحدث إليهم بدأ الحوار معهم بين سائل ومعترض ومجادل ومستفسر .

وكان المعقب الأول الدكتور تركي رابح وهو مدرس تربية في جامعة الجزائر ــ وكان تعقيبه تأييدا لي فيما ذكرته عن السبب الأول لانهيار المجتمعات العربية وهو الاستعمار المباشر والسبب الثاني هو الاستعمار غير المباشر وما أديا إليه من تفريق وتمزيق للأخوة العربية بين الأمة الواحدة وضرب مثلا : (الانشقاق) الذي حدث أخيرا في مجموعة منظمة (فتح) الفلسطينية .

ثم قال الدكتور رابح : إن المشكلة تربوية أساسا .. لما نرى من تأثر بعض الحكام العرب بالثقافة الغربية التي تلقوها خلال دراساتهم في جامعات الغرب ! كما أن ما يبنيه رجال التربية في المدارس والكليات يهدمه الاعلاميون إذاعيا وتلفازيا وصحافيا بما يقدمون من أفكار ومناهج وصور وقصص مقتبسة من حضارة الغرب وثقافته وتقاليده .

وعقب أخ من تونس ــ لم يذكر اسمه ــ بأن أجهزة الاعلام

العربي تستورد طوعا معروضاتها من المناهج والبرامج الأجنبية المخربة ــ فنحن العرب لا نعاني أزمة جهل بل نعاني أزمة تجاهل !!

● قلت : هذا ما ذكرته خلال محاضرتي أو في ختامها على الأصح ــ من أن هناك استعدادا ذاتيا لدينا للتقليد والتشبه والاقتباس ولولا ذلك لما استطاع الغزو الأجنبي اقتحام مقدساتنا الفكرية والخلقية .

* * *

وعقب الأخ عبد الله ابراهيم من قطر ــ وهو موظف اعلامي ــ بقوله : إن العلماء في المجتمعات العربية مقصرون ولا يلبون دعوة الاذاعة والتلفاز إلى المساهمة في برامجهما !

● وقد رددت عليه : بأن هناك بعض العلماء الذين يقاطعون أجهزة الاعلامن بسبب تقديمها المواد الغنائية والتمثيلية المنكرة ولكنهم قلة ــ في حين أن بعض القائمين على الاعلام العربي لا يحبون أحاديث العلماء وما تنتهجه من مناهج دينية وأخلاقية ملتزمة !

* * *

وكان تعقيب الأخ محمد بورجيبة من رجال الشرطة في

تونس ـــ إن العامل الأساسي في الانهيار الداخلي للمجتمعات العربية هو تفرق المسلمين إلى دويلات وطوائف وأحزاب وأنه يجب علينا إذا كنا نريد أمنا شاملا ، وإعلاما فاضلا : أن نعد الشباب لذلك منذ البداية في أسرهم ومدارسهم وجامعاتهم .

● قلت له : هذا ما دعوت إليه في ختام المحاضرة من أنه يجب علينا أن ندع الصراخ والعويل على الغزو الأجنبي .. وأن نتجه إلى الشباب المسلم لاعداده مستقبلا لحمل (الأمانة) في وطنه أمنيا وإعلاميا وتربويا واجتماعيا ..

أما تفرق المسلمين عربا وغير عرب فهو ثمرة الاستعمار الأجنبي المباشر وغير المباشر كما فصلت ذلك في المحاضرة ودللت عليه .

* * *

وكان ختام هذه الجولة الأولى من الحوار كلمة للدكتور التهامي نقرة المشرف العلمي على الندوة ـــ قال فيها : إن ما تحدث به سيادة المحاضر صحيح .. وقد حدثني مسؤول عربي قائلا : دعونا من إلقاء التهم على الصهيونية والصليبية والشيوعية ، فداؤنا من أنفسنا ويجب علينا أن نتخلص من الشعور بالنقص ، وأن نتحرر فعلا من آثار الاستعمار المباشر وغير المباشر ، ثم أضاف الدكتور التهامي : بأن قرارات الجامعة العربية لم ينفذ معظمها لاختلاف بعض الدول عليها .

حول الاشتراكية والمرأة :

كانت الجولة الثانية من حواري مع المستمعين بعد العصر ــ لأن فترة الضحى ضاقت عن الاستمرار في الحوار .

وكان هناك تعقيب مفصل مطول من فضيلة السيد أحمد محمد الحماني ــ رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بالجزائر وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ..

كانت بداية تعقيبه تحية وترحيبا بي ، ثم تأييدا لما قلته خلال المحاضرة عن «الاستعداد الذاتي» عند المسلمين للاقتباس والتقليد من الحضارة الغربية ، والتطبع بأخلاق وعادات الغربيين خلال الاستعمار المباشر ، وبعد انقشاع غمته عن الديار الاسلامية .

ثم أسهب الأستاذ الحماني في الحديث عن الاشتراكية المطبقة في الجزائر ــ تعقيبا على ما جاء في حديثي عن ما أطلقه المتأثرون من مفكري العرب وحكامهم بمبادىء الشرق والغرب من شعارات : (التحرير ــ والتطوير ــ والتجديد ــ والاشتراكية ــ والتنمية ــ والمساواة بين الرجل والمرأة وبين العامل وصاحب العمل) الخ .

وتعددت تعقيبات بعض الاخوة المشتركين في الندوة حول (المرأة) لأني ذكرتها في حديثي كمجال استغله المستعمرون والمنصرون الغربيون لتمزيق الأسرة المسلمة ، وتشتيت أطفالها ، وإغراء المرأة بالسفور والاختلاط ــ تحت اسم (تحرير) المرأة

من ظلم الرجل ، والدعوة إلى (المساواة) بين الجنسين في الحقوق والواجبات ، وتحت شعار تشغيل (الطاقات) المعطلة عند النساء القاعدات في البيوت ، وبين الجدران ، دون عمل نافع — بزعمهم — !

كان من المعقبين حول (المرأة) الأخ عبد الرازق سعد من الجزائر — والأخ على بن محمد من رجال الأمن باليمن — وغيرهما من الاخوة الحضور . ومما قاله بعضهم : إن مشكلة (المرأة) لا تحل إلا ضمن مشكلات العالم الاسلامي كله — وقال آخرون : إن عودة المرأة العاملة في معظم البلاد العربية والاسلامية إلى البيت مستحيلة .. لأن المرأة تعمل الآن في كافة المجالات والاختصاصات كالرجل تماما ..

● قلت للاخوة المعقبين : إن أهل الحضارة التي اقتبسنا منها وقلدناها في تشغيل المرأة خارج البيت ، وحرمنا منها زوجها وأولادها ، وزلزلنا بذلك قواعد الأمن العام في مجتمعنا العربي والاسلامي — إن هؤلاء الغربيين ينادون اليوم في صحفهم ومجلاتهم ، ومؤتمراتهم التي يعقدونها لدراسة أحوال الأسرة الغربية وتشرد الأطفال وانحرافهم إلى الفسوق والفجور ، وإلى أعمال العنف والاغتيال — ينادون بعودة المرأة الغربية إلى (البيت) إلى زوجها وأطفالها لاعادة بناء الأسرة المتهدم أولا ، ولحماية الأطفال من الانحراف ثانيا ..

— فنحن المقلدين الامعات أولى بالحفاظ على أخلاق ديننا ، وعادات أسرنا ، ومكارم مجتمعنا المسلم !

حول الاعلام العربي :

أما التعقيب حول (الاعلام) العربي ــ فقد تحدث الأخ أحمد مختار من السودان ، والأخ ابراهيم رحماني من الجزائر ، والأخ سلمان الصباح من الكويت .. وتتلخص تعقيباتهم في الموضوعات التالية :

● إن الاعلام في البلاد العربية والاسلامية إنما هو انعكاس (للواقع) الذي تعيشه هذه البلاد ..

● إن الاعلام العربي والاسلامي متأثر بالسياسة الشرقية في بعض البلاد العربية والاسلامية ، وبالسياسة الغربية في البعض الآخر .

● من أجل تحقيق الأمن العام في مجتمعاتنا يجب (تصفية) إعلامنا من كل ما لا يتفق مع تقاليد عروبتنا وأخلاق إسلامنا !

وكان هناك من الحضور بعض الاخوة الذين اعترضوا على إدخال التعليم الديني في المرحلة الجامعية ، وقالوا : إن هذا يتناقض مع التخصصات العلمية لطلابها كالأطباء والمهندسين ــ مثلا ــ ولذلك يرون أن يقتصر تدريس العلوم الاسلامية على المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية ..

● فطلبت الكلمة للتعقيب على هؤلاء المعترضين ، ولما أذن لي بها قلت : إننا في السعودية ندرس مادة (الثقافة الاسلامية) خلال المرحلة الجامعية ، بالاضافة إلى ما يدرسه الطلاب خلال مراحلهم الدراسية الأولى ــ وتختلف الموضوعات والمناهج بين المرحلتين ، ففي المراحل الأولى يدرس طلابنا

القرآن والحديث النبوي ، والفقه والتوحيد ، بصورة موسعة ومفصلة .

أما المرحلة الجامعية .. فتقدم لها موضوعات أخرى وموضوعات سابقة لكن بأسلوب تحليلي منطقي يدركون له حكمة العبادات ومقاصدها ، كما يدرسون نظام الأسرة ، ونظام الحكم ، والنظام الاقتصادي والنظام العسكري .. كما شرعها الاسلام في قرآنه وحديث رسوله ﷺ .

وإن طالب التخصص الديني ، وطالب الطب ، وطالب الهندسة سواء في احتياجهم إلى هذا اللون من الثقافة الاسلامية .

* * *

وكان المشرف العلمي على الندوة : الدكتور تهامي نقرة من علماء تونس المعروفين باختصاصهم في الدراسات القرآنية ومن بين الاخوة الكويتيين الأستاذ سلمان الصباح ، وهو شاب مثقف ومتحدث رائع من وزارة الاعلام الكويتية .

وهناك من رفاق الندوة الأخوة : عمر بايونس ــ من السعودية ــ والدكتور تركي رابح ــ من تونس ــ وحسن الأهدل ــ من رابطة العالم الاسلامي . وقد أسعدني الدكتور رابح بجولة في سيارته خلال أحياء مدينة الجزائر العاصمة لأطلع على تقدم الجزائر صناعيا وزراعيا بحيث اكتفت ذاتيا في كل مطالبتها المعيشية والعمرانية .

مع الطلاب العرب ..
في مانشستر !!

خلال إقامتي في مانشستر ، قبل انتقالي إلى غانا ، سعدت بلقاء فكري ، وحوار ثقافي مع بعض الطلاب العرب في جامعة مانشستر . وقد نظم هذا اللقاء الطالب السعودي عصام يحيى فلالي ، وعندما سألته عن الموضوع الذي يريدني أن أتحدث فيه إلى الشباب اقترح أن يكون عن «الدعوة الاسلامية لماذا نجح في تحقيقها السلف ، وفشل الخلف ؟» وذكر الأخ عصام حين طرح هذا الموضوع : أن الدعوة الاسلامية قد حملها التجار العرب إلى أفريقيا وآسيا ، ولم يحملها الدعاة من العلماء والمثقفين ، ومع ذلك فقد كان لهؤلاء التجار الأثر البعيد في انتشار الاسلام في دول أفريقية وآسيوية ، وما نراه الآن من وجود أكثريات أو أقليات إسلامية في القارتين .. إنما هو ثمرات تلك الدعوة التي أبلغها التجار المهاجرون ..

وأضاف الأخ عصام : إن الدعوة الاسلامية تقتحم كافة القارات بوسائل حديثة ثقافية وإعلامية ، ويحملها دعاة مخصصون لها من قبل بعض الدول الاسلامية ، عربية وغير عربية ، وتقوم في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا واستراليا مراكز ومكاتب اسلامية من أجل الدعوة وباسمها ، ولكن ليس لها ذلك التأثير الأول أو السابق .. الذي كان لدعاة السلف ، مع

أنهم هاجروا أساسا من أجل التجارة والتكسب ، وليس من أجل الدعوة إلى الاسلام .

الدعوة .. بين السلف والخلف

وتم اللقاء مع الشباب العربي والاسلامي ــ بجامعة مانشستر مساء الثلاثاء ١٢ /١٠ /١٤٠٤ ــ وبعيد التقديم أو التمهيد للحديث المقترح قلت : إن الدعوة إلى أى أمر أو فكرة أو عقيدة أو عمل ، لابد لها من شروط وأسس ، ووسائل مناسبة وصالحة لتحقيق التأثير المطلوب لهذه الدعوة المطروحة للعمل .. وإلا فسوف يذهب الكلام عنها مهما طال وتكرر ، ومهما تعددت مجالاته ووسائله الاعلامية ، بين الصحافة والاذاعة والتلفاز ، وخطب المنابر ، وندوات الحوار والجدل ... سوف يذهب جفاء كما يذهب زبد السيل .

والدعوة الاسلامية ــ أو الدعوة إلى الاسلام ــ يجب أن تتوفر لها هذه الشروط والأسس والوسائل أكثر من غيرها من الدعوات والأفكار والحركات الاصلاحية ، لأنها أساسا تقوم على الصدق في القول ، والاخلاص في العمل .

وفي مقدمة الشروط والأسس والوسائل المطلوبة لنجاح الدعوة الاسلامية تأتي القدوة العلمية لا الكلامية ، لتكون شرطا وأساسا ووسيلة لنجاحها وفلاحها ، وتأثيرها على مستوى السمع والبصر والفؤاد .

ولذلك نجد القرآن الكريم يذكرنا بهذا الدرس في نجاح

الدعوة عندما يقول الله عز وجل : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر**﴾ أى أن الرسول ﷺ لم يكن مجرد واعظ يتلو عليكم القرآن وينصحكم بالتقوى والعمل الصالح ، وإنما هو الاسلام نفسه متمثلا في شخصه وسلوكه ، بعقائده وشرائعه وأخلاقه .

ثم بعد هذا التذكير بأثر «القدوة» في منهج التربية والتعليم الاسلامي ـــ وهو منهج الدعوة الاسلامية أيضا ـــ يأتي التنبيه الزاجر الناهر للمسلم الذي يختلف عمله عن قوله ، أى يتناقض سلوكه عما يدعو إليه أو يتظاهر به من خلق ولا يتفق مع دعواه ، يقول الله عز وجل : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ .

ولقد كان التجار العرب المهاجرون إلى أفريقيا وآسيا قدوة عملية للدعوة الاسلامية لم يكونوا يدعون إلى الاسلام بألسنتهم ولا بكلامهم ، فهم لم يكونوا علماء ولا خطباء ، ولا حملة عمائم جميلة ، ولا لحي طويلة وإنما كانوا محافظين على صلاتهم وصيامهم وزكاتهم ، فكان أهل تلك البلاد من كتابيين ووثنيين يرونهم رأى العين كيف يتوضؤون للصلاة ثم كيف يصلون ؟ وكيف يصومون ويزكون أموالهم ؟ كما يرون أيضا أثر هذه العبادات على سلوكهم وتعاملهم معهم بيعا وشراء بالأمانة والصدق ، والرفق والحسنى ، فسألوهم عن دينهم ، فأخبروهم به ، ثم شرحوه لهم ، فاستحسنوه ، ورأوه أفضل من عقائدهم الباطلة ، ومن ثم دخلوا في الاسلام أفواجا ..

الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها :

قلت للشباب العرب ، في جامعة مانشستر في حديثي معهم عن الدعوة الاسلامية بين السلف والخلف : ليس هذا شأن الدعاة الاسلاميين خارج ديارهم فحسب ، بل هو أيضا شأن نظائرهم داخل الديار الاسلامية نفسها ، وهو كذلك شأن الآباء والأمهات ، والرؤساء والكبراء ، وحملة المسؤولية القيادية والادارية في مجتمعنا .

- فهؤلاء جميعا ، وفي كل المجالات والقطاعات الاجتماعية والأسرية ، والتربوية والتعليمية ، والسياسية والادارية ، لا يعطون القدوة الصالحة من أنفسهم لمن يتولون قيادتهم أو تعليمهم أو تربيتهم .

- والرعايا لهؤلاء السادة والقادة — من أبناء وطلاب ومرؤوسين وجماعات شتى — ينظرون لرعاتهم ، ويسمعون لعظاتهم ، فيعجبون ويطربون ، ثم يفاجؤون إذ يرونهم يقولون ما لا يفعلون ، وتملكهم الحيرة ويترددون ، هل يتبعونهم فيما يقولون أم فيما يعملون ؟

والشيطان حاضر دائما بين يدي الانسان .. ينتظر فرصة سانحة لاغرائه واغوائه ، بل هو كما قال ﷺ : «**يجري من ابن آدم مجرى الدم**» فيوجههم إلى التأثر بالقدوة العلمية في رعاتهم من آباء وأمهات ، ومعلمين ومرشدين ، ورؤساء وموجهين ، أما المواعظ والدروس وما يشرع من أنظمة وتعليمات .. فهم عنها صم عمي بكم ، كأنما قلوبهم في

أكنة ، وفي آذانهم وقر ، وعلى أبصارهم غشاوة .

ولذلك شدد الله عز وجل في مسؤولية الراعي المسلم من أب وزوج ، وأم وزوجة ، وكل من حمل واجبا أو سئل عن حق ، فقال تبارك وتعالى **﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** وجعل هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون كالحمير تماما ، وضرب المثل باليهود ليتعظ المسلمون فلا يكونوا أمثالهم فقال : **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾** .

وهل هناك مثل أسوأ من هذا المثل ، أو صورة أقبح من هذه الصورة ، للآباء والمدرسين ، والرؤساء والمرشدين ، والعلماء والدعاة الذين لا يلتزمون بالمنهج الاصلاحي أو التربوي أو الأخلاقي الذي يتشدقون بالدعوة إليه ، والحث عليه ؟

إنهم تماما كما وصفهم القرآن الكريم ، كالحمير التي تحمل أثقال الكتب التي تشرق صفحاتها بالعلم والأدب ، وبالحق والهدى والخير ، ولكنها لا تنتفع بها ولا تستفيد منها .

ثم قلت لهؤلاء الشباب : إن المسلمين في أفريقيا وآسيا ينظرون إلى العرب نظرتهم إلى القادة والسادة ، ويعدونهم قدوة لهم في دينهم وحياتهم ويأسف كثر منهم لما يرون في هؤلاء القادة والسادة الذي يحبونهم ، ويعتزون بهم من انحراف عن منهج الاسلام .

وقد أسلفت — في كلمة سابقة هنا — أن سماحة الأستاذ أبا الحسن الندوي ، العالم الهندي الجليل ، والأمين العام لندوة العلماء في لكنؤ ، يركز دائما في أحاديثه ومقالاته ومحاضراته

على مسؤولية العرب عن تأخر العالم الاسلامي وتخلفه ، وضياعه وهوانه ، وهزيمته أمام أعدائه اليوم ، لأنهم ــ أي العرب ــ أهل القيادة والريادة لهذا الدين العظيم ، فيجب ألا يتخلوا عن واجبهم كما يجب ألا يتخلى الأب عن توجيه أبنائه ، والمدرس عن تعليم طلابه ، والحاكم عن ترشيد رعاياه .

وفي ختام هذا الحوار القصير مع الطلاب العرب في جامعة مانشستر تلقيت بعض المسائل من الطالبات اللائي حضرن هذه الندوة في جناح خاص بهن ... سأعرضها إن شاء الله مع التعقيب عليها .

لعب الأطفال الكبيرة ؟

كانت المسألة الأولى التي وجهتها إحدى الطالبات ــ أو لعلها زوجة أحد الطلاب ــ عن العرائس التي يلعب بها الأطفال ، والتي أصبحت تصنع بأحجام كبيرة ، ولها أعين تتحرك ، وأقدام تمشي بها ، وتتكلم أيضا ؟

● قلت للأخت السائلة : إن لعب الأطفال أساسا ، ومنذ عهد الرسول ﷺ كانت مباحة ، بما فيها اللعب التي تتشكل بصورة الانسان ، وبخاصة ما يسمى العرائس التي هي صور أطفال إناث .. كانت تصنع ــ في البداية ــ من القماش ، ثم تطورت فأصبحت تصنع من البلاستيك ، وتعددت أشكالها وألوانها ، ومازال حكم الاباحة ساريا عليها مادامت في أحجامها

الصغيرة المعتادة .

● ولكن هذه العرائس الجديدة تمتاز بكبر أحجامها ، وبحركة أعينها وأقدامها وألسنتها ، أخشى أن يكون وراء تطويرها بهذه الصورة مقاصد سوء لصانعيها الخبثاء ، وهي — أى مقاصد السوء — أن تلفت انتباه الصبيان إليها ، وإلى حديثها الذي ربما كان فيه شيء من الغزل ، وبالتالي يتطور اهتمام الصبيان بهذه العرائس إلى اتخاذها زوجات صناعية أو خليلات ، ويضعونها إلى جوارهم عندما يأوون إلى فراش النوم ، ويتطور الأمر بالبالغين منهم أن يحتضنوا عرائسهم كما يحتضن الزوج زوجته .

ويكون المقصد الأخير ، أن يتنبه الأطفال من الصغر إلى الأمور الجنسية ، ويهتموا بها ، وينصرفوا إليها ، وهم إن بدأوا بالعرائس فسوف ينتهون إلى الممارسة الجنسية مع اخواتهم أو بنات أعمامهم أو بنات خالاتهم .

فهي إذن مكيدة جديدة لتخريب بيوتنا وأسرنا وأطفالنا الذين هم شباب المستقبل ، ورجال الغد .. والمكيدة التي سبقتها ومازالت قائمة تعمل عملها المخرب المفسد في مجتمعاتنا هي الفيديو وما يعرض فيه من أفلام جنسية صارخة ، شغلت الصبيان والشباب — والشيوخ أيضا — من الجنسين عن عزائم الأمور ، ومكارم الأخلاق .

وهنا استأذن أحد الطلاب للتعقيب ، فقال : إنه شاهد في ألمانيا هذه العرائس كبيرة الحجم ، الناطقة المتحركة ، يستخدمها الشباب فعلا للأغراض الجنسية التي أشرت إليها .

وسألت أخت أخرى : هل تكرر نصحها للآخرين عندما ترى أنهم لا يستجيبون لها ، ولا يتعظون بموعظتها ؟ أم تكف عن أمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ؟

● قلت لها : عليها أن توجه لهؤلاء الأقرباء أو الأصدقاء النصيحة أو الموعظة مرة ومرتين وثلاثا .. فإذا رأت إصرارهم على رفض نصيحتها ، وانزعاجهم من تكرار القول منها لهم .. فعليها أن تكف عنهم ، فقد أدت الواجب عليها ، وما عليها بعد ذلك إثم أو ذنب أو مؤاخذة .. وهذا ماعنته الآية القرآنية الكريمة : ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ .

العمل خارج العالم الاسلامي :

كان حديثي الثاني مع الطلاب المسلمين في جامعة البعثة الاسلامية في مانشستر باقتراح من بعضهم — عن العمل الاسلامي خارج البلاد الاسمية .

وكان حديثنا ذا شجون .. فالملاحظ هناك أن الجمعيات الاسلامية متأثرة كل منها بقوميتها .. وقد رأيت مثل هذا الاختلاف تماما في استراليا أيضا .

وقد أشرت للاخوة — في مانشستر — بإيجاز عن واقع إخوتهم في استراليا من أتراك وعرب وهنود وباكستانيين ولبنانيين وسوريين ومصريين .. واختلاف مبادئهم وأخلاقهم وسلوكهم هناك . وقد كان ينبغي أن يتحدوا عملا ونشاطا ودعوة إلى

الاسلام ، ليقدموا عمليا : النموذج الصالح والقدوة الحسنة للآخرين .

● قلت لهم : نريد من العمل الاسلامي ــ خارج العالم الاسلامي ــ أن يجمع عمل المسلمين أو الأقليات الاسلامية التي تعيش في ظل نظام غير إسلامي ، وأن توجد لهم المجالات التي يحققون بها مقتضيات العقيدة والعبادة والسلوك .. إلى جانب التعاون على أمور المعيشة والعمل والتعليم والصحة .

وذكرت للمجتمعين أني سبق أن قرأت ، في جريدة تصدر في بريطانيا باللغة العربية ، عن تفرق الجمعيات الاسلامية ، وعدم تعاونها على الوحدة والنجدة فيما بينها .. في الوقت الذي يتحقق فيه اتحاد الجمعيات اليهودية وتعاونها على ما يجمع شملها ويحقق وحدتها ، ويقوي شوكتها ، ويصون دعوتها . وفي ختام المحاضرة .. بدأ الحضور يسألون وفي مقدمة مسائلهم قول أحدهم .. هل ظهور هذه القوميات المختلفة في الجمعيات الاسلامية شيء سيء ؟

● قلت : إن انتساب كل طائفة إلى جنسيتها كتعريف لها ، والتزام بمودة قومها وبلدها لا شيء فيه ، ولا بأس به ، إلا إذا طغى على ما يجب على المسلم لأخيه المسلم من حب ونصرة ، وعمل مشترك في سبيل عزة الاسلام ووحدة المسلمين .

إن حب الانسان لوطنه وقومه : غريزة طبيعية .. ولكن الرابط الديني بين المسلمين أقوى ، وألزم من صلة الدم والجنس

والوطن ، لأن الاسلام جعل الأخوة الدينية فوق حب الوطن في قوله عز وجل : ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ .

إن الجمعيات الاسلامية — على اختلاف قومياتها وأجناسها — يجب أن تتحد سياستها وأعمالها وأهدافها وفقا لتعاليم الاسلام وآدابه .. لكي تكون أقوى أثرا في جمع المسلمين هناك على نشاط ديني وسلوكي وتعليمي واحد .

* * *

وقد تلقيت — عندما كنت أجيب على مسائل القراء في مجلة «المسلمون» — رسالة من أخ عربي يقيم في هولندا يقول فيها : إنه يوجد في إحدى مدن هولندا مسجدان متلاصقان أحدهما أقامته جماعة إسلامية عربية ، والآخر أقامته جماعة تركية مسلمة .. فهل يجوز الصلاة فيهما على هذه الصورة مع إمامين مختلفين في وقت واحد ؟ .

فعجبت لهذا الوضع الغريب .. وقد كان واجبا على الجماعتين العربية والتركية أن يتفقا على توحيد المسجدين ، وتوحيد الصلاة فيهما .. لأن في هذا الوضع القائم تشويشا على المصلين في كلا المسجدين ، عند إعلان الآذان وحين قراءة الامامين في الصلاة الجهرية ، كما أنه مظهر من مظاهر اختلاف المسلمين في بلاد أجنبية .

المسلمون في غانا !

المسلمون في غانا كأمثالهم في دول آسيا وأفريقيا ، معتبرون أقلية مستضعفة ، مع أنهم من حيث العدد يساوون عدد النصارى الذين يتحكمون فيهم ، ولا يهتمون بمصالحهم وحاجاتهم كما يهتمون بأنفسهم .

ومن وجهة نظري أن الأقليات الاسلامية ــ وإن كانوا أكثريات أو متساوين من حيث العدد مع الآخرين ــ ينقصهم التنظيم الذاتي أو الداخلي الذي يقوم على التعاون فيما بينهم لاقامة كيان قوي لمجتمعهم الاسلامي .

وقد خطبت في جماعة منهم يوم الجمعة ٢٤ /١٠ /١٤٠٥ حول هذه القضية : قضية تعاجزهم وتكاسلهم عن تحقيق كرامتهم وتقدمهم ثقافيا واقتصاديا وإقامة المجتمع الاسلامي الذي يطالبهم به دينهم الاسلام ، حيثما كانوا ، ومهما كانوا قلة أو كثرة .

كانت الخطبة وصلاة الجمعة في مسجد المدينة ، وقد سمي هذا الحي بالمدينة تيمنا وتبركا وتفاؤلا بالمسجد النبوي في المدينة المنورة ، والذين قاموا بإنشائه بعض الاخوة اللبنانيين المهاجرين إلى غانا ، وقد حققوا نشاطا اقتصاديا واجتماعيا ملحوظ في غانا .

● قلت للمجتمعين للصلاة ، المستمعين للخطبة : إن الله عز وجل يقول لكم وللمسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها : ﴿**إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**﴾ أي أن شر المخلوقات في الأرض الصم البكم ..

الذين لهم آذان لا يسمعون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم قلوب لا يفقهون ، فهم كالأنعام ، بل هم أضل من الأنعام ، وإن كانوا فيما يبدو للناظر إليهم أنهم يسمعون وينظرون ويتكلمون .. ولكنه ليس سماع فقه وتدين ، ولا كلام حق وخير ، فهم لا يقولون كلمة الحق ، ولا يدعون دعوة الخير ، ولا يستخدمون عقولهم لادراك معاني الهدى ، ومقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية .

• والمسلمون — وأنتم منهم — مطالبون في القرآن والسنة : بأن ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وعقولهم في طلب العلم النافع ، والتدرب على العمل الصالح — للدين والدنيا معا — مطالبون بأن يضربوا في أرضهم للتعلم أو التكسب ، ولتطوير أسباب معائشهم ، ومظاهر عزتهم .. ليكونوا كما يريدهم الله عز وجل أعزة في ديارهم : **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** وأعزة على أعدائهم : **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**[1] . وقد وجه إليهم هذا النذير الصارخ : **﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾**[2]

• لماذا يتقدم علينا أعداؤنا في العلوم والصناعات والزراعات والتجارات ونتخلف عنهم .. ونحن لسنا دونهم أسماعا ولا أبصارا ولا عقولا ولا أموالا ؟

• ولماذا لا تستغلون أرضكم الخصبة الخضراء النضرة

---

(١) سورة الفتح /٢٦ .

(٢) سورة المائدة /٥٤ .

بالحرث والزرع ؟

● ولماذا لا تتعاونون فيما بينكم على إنشاء المدارس والمصحات والمساجد عن طريق التبرعات ، ولو كانت قليلة .. فمن القطر تسيل الأودية ، كما يقول المثل الحكيم ؟

● فالمهم والأساسي في إقامة الكيان الاسلامي القوي في غانا ـــ وفي غيرها ـــ الاتحاد والتعاون بين الأغنياء والعلماء وعمداء الأسر والبيوت ، مع الاستجابة المطلقة والمخلصة لله وللرسول ، كما قال تبارك وتعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾** .

فقد حذرنا في الآية الأولى : من أن نكون صما بكما لا نفقه ولا نعقل لئلا نكون شر مخلوقاته ، وهو يدعونا في الآية الثانية أن نستجيب له ولرسوله إذا دعانا إلى شريعته وعقيدته .. ففي ذلك حياتنا الحقيقية ، حياتنا السعيدة ، وحياتنا المجيدة ، وفي ذلك انتصارنا على أعدائنا ، وتحقيق لأمننا ورخائنا .

إن ما حل بالمسلمين اليوم من ضعف وذل ، وتفرق ، وهزيمة أمام أعدائهم هو نتيجة اعراضهم عن الاستجابة لدعوة الله والرسول ، ولعدم انتفاعهم بأسماعهم وأبصارهم وعقولهم فيما سخر الله لهم من منافع وخيرات ، وقوى وطاقات بشرية ومادية .. تنبه لها الأعداء فانفردوا بها ، وغلبونا عليها ، فكانت المأساة الكبرى التي يعيشها المسلمون اليوم .

النشاط اللبناني في غانا :

أسلفت في كلمتي السابقة أن الاخوة اللبنانيين لهم نشاط ملحوظ في غانا اقتصاديا واجتماعيا ، وذكرت أن بعضهم قام بإنشاء مسجد المدينة ، الذي خطبت فيه خطبة الجمعة ١٤ /١٠ /١٤٠٥ ، وأضيف اليوم أنهم أنشأوا أيضا مدرسة بجوار المسجد لتعليم أولاد المسلمين العلوم الدينية والعربية ، ويساهم في هذا النشاط الاسلامي الأخ صديق محمد صديق ، من مصر ، وهو إمام مسجد المدينة ، ومبعوث دار الافتاء السعودية إلى غانا .

وقد أثنيت عقب صلاة الجمعة على الاخوة اللبنانيين لما فعلوه من خير هناك ، وطالبتهم بالمزيد ، وبخاصة لأنهم عرب ... والمسلمون في غانا محتاجون إلى تعلم اللغة العربية ، ليتيسر لهم فهم الاسلام وقراءة القرآن وفقه السنة النبوية .

وعلمت ــ بعد ذلك ــ من بعضهم أنهم عازمون على تأليف جمعية إسلامية لأعمال تربوية وتعليمية ، وهو أمر يحمدون عليه ، ويجب أن يتعاون معهم فيه الاخوة العرب الموجودون في غانا من سفراء وقائمين بالأعمال ومبتعثين للدعوة والارشاد وتجار .

ذلك إن المسلمين في غانا بحاجة شديدة إلى من يوجههم إلى توحيد جماعاتهم وتحقيق تعاونهم على إقامة كيان إسلامي قوى لهم ، ينتفي فيه الجهل والفقر والكسل ، وقد تحدثنا إلى المصلين من مسجد المدينة بعد مغرب الأربعاء ٢٢ /١٠ /١٤٠٥ فقلت لهم : إنكم لن تفهموا الاسلام حق

الفهم ، كما هو في القرآن ، والسنة النبوية ، وسيرة الخلفاء الراشدين .. حتى تتعلموا العربية ، وذلك واجب ديني عليكم ، وواجب على العرب الموجودين في دياركم أن يساعدوكم على تعلم اللغة العربية وإتقانها فهما ونطقا .. لتكونوا إخوة للعرب قومية ودينا ، وهذا ما بشر به رسولنا ﷺ من تكلم العربية حيث قال : **«ألا إن العربية اللسان .. ألا إن العربية اللسان»** .. كما قال أيضا : **«ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان .. فمن تكلم العربية فهو عربي»** .

تعليم اللغة العربية أولا :

- إن البدء في الدعوة الاسلامية بتعليم اللغة العربية مهم جدا ، ليس لمسلمي غانا وحدهم ، وإنما لكل المسلمين في أفريقيا وآسيا عامة ... وهي مسؤولية المنظمات الاسلامية المهتمة بإرسال الدعاة والمدرسين والخطباء إلى هاتين القارتين ، كرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة ، ودار الافتاء بالرياض ، والأزهر في مصر ..

فقد لاحظت أن المترجم الذي يترجم لنا ـــ أعني المدرسين والدعاة والخطباء ـــ لا يترجم ترجمة دقيقة ، وقد ينقص من الحديث ، وقد يزيد فيه من عنده ما يخالف مقاصده .

- وتعليم اللغة العربية للكبار والصغار ـــ كما اقترحت في حديثي إليهم ـــ من شأنه أن يهيىء أجيالا اسلامية عربية تتوارث ، اللغة العربية في البيوت والأسر والأسواق والمتاجر ..

الأمر الذي يتيسر مع إبلاغ الدعوة الاسلامية عن طريق الدعاة وعن طريق الكتب والمجلات العربية المختصة بالثقافة الاسلامية .

وكما أسلفت : إن الاخوة اللبنانيين يقومون بنشاط اقتصادي وثقافي ملحوظ ومشكور — في غانا — وأنهم عازمون على القيام بنشاط إسلامي يحتاج إلى أن تتعاون معهم فيه الرابطة والأزهر ودار الافتاء ليشتد بنيانه ، ويقوى كيانه ، ويؤتي ثمارة المباركات .

وأكاد أدعو المؤسسات الاسلامية في دول شمال أفريقيا — تونس والجزائر والمغرب — إلى المساهمة في نشر اللغة العربية والدعوة الاسلامية في الأقليات والأكثريات المسلمة فى أواسط أفريقيا وجنوبها . والله سبحانه الموفق والمعين .

واجب السفراء العرب :

أشرنا إشارة خاطفة فيما سبق إلى واجب السفراء العرب في دول أفريقيا في التعاون مع الجماعات الاسلامية والدعاة الاسلاميين .. فيما يقومون به من نشاط تربوي وتثقيفي للأقليات أو الأكثريات الاسلامية هناك .

ومن حق الأخ الفاضل الأستاذ أنور عبد ربه القائم بالأعمال السعودي في غانا أن نقدم له الشكر جزيلا ، والثناء جميلا .. على ما تفضل به من كرم ضيافة ، وحسن تعاون ، وبذل جهود ، لمساعدة الدورة التثقيفية التي أقامتها رابطة العالم الاسلامي في غانا برئاسة الدكتور حسن باحفظ الله ، الذي

أعطى كل ما عنده من رأي وعمل لإنجاح الدورة .

إن الأستاذ أنور عبد ربه لا يكفيه الثناء على ما بذل من عطاء نفسي ومادي لنجاح الدورة ، بل لابد له من دعاء خالص بحسن المثوبة ، لأنه بذل ما بذل في سبيل عمل إسلامي من حقه أن يؤجر عليه .. وهو وعد من الله عز وجل للعاملين في سبيله كما قال تبارك وتعالى : **﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾** .

وبمناسبة الحديث عن السفراء العرب ، وما يجب عليهم من تعاون مع الجماعات أو المؤسسات الاسلامية التي تعمل في أفريقيا أود أن أقترح على الخطوط السعودية أن تسير خطا أسبوعيا إلى الدول المتجاورة في وسط أفريقيا ، كنيجيريا وغانا وغينيا والسنغال .. فالحاجة إلى هذا الخط شديدة ، وبخاصة بالنسبة للحقائب الدبلوماسية التي تتأخر وقد تضيع قبل وصلها .

وهناك ركاب أفارقة وعرب من هذه الدول إلى السعودية ، ومن السعودية إلى هذه الدول ، وبخاصة الحجاج والمعتمرين ، كذلك هناك الارساليات من رسائل عادية ، وكتب ومجلات وجرائد ، وطرود أخرى أى أن هذا الخط المقترح تسييره إلى هذه الدول الأفريقية الأربع سيجد موردا يعادل مصرفه إن لم يزد عليه .. بل الزيادة متوقعة ولو في مواسم الحج والعمرة وحدها .

وسيكون في تيسير هذا الخط فرصة لمزيد من البعوث الاسلامية ، والدعاة الاسلاميين من رابطة العالم الاسلامي ومن دار الافتاء ، وتلاقي هؤلاء الدعاة والبعوث بين هذه الدول

الأفريقية الأربع .

فلعل المدير العام للخطوط السعودية الأستاذ أحمد مطر يدرس الاقتراح ، وينتهي إلى تحقيق المصلحة المشتركة لهذه الدول والقطاعات المتعددة التي أشرنا إليها .. وفقه الله وسدد خطاه .



السيد علي مختار
الأمين العام المساعد لشؤون المساجد في رابطة العالم الاسلامي «سابقاً»

سبعة أيام في عمان

كانت سبعة أيام جادة وشاقة .. ولم تكن أياما للسياحة والنزهة ، كانت أياما مليئة بالحوار العلمي ، والجدال الفقهي بين علماء أجلاء ضمهم المجمع الفقهي الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، هذا المجمع الذي يرأسه فضيلة الدكتور بكر أبو زيد وكيل وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ، ويقوم بمهمة الأمين العام فيه فضيلة الدكتور الحبيب بلخوجة من علماء تونس البارزين .

وقبل الخوض في مشكلات المجمع وقضاياه ، نذكر شيئا عن أحداث الرحلة مع الرفاق الطيبين .. فقد كان سفري من جدة إلى عمان بالطائرة الأردنية صباح الجمعة ٧/ ٢/ ١٤٠٧ — ١٠/ ١٠/ ١٩٨٦ .

وكان رفاقي الطيبون — خلال الرحلة الجوية — الاخوة الأحباء : فضيلة الشيخ عبد الله البسام رئيس محكمة التمييز بمكة المكرمة ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن محفوظ بن بيه المدرس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، والطبيب الباحث الدكتور محمد البار المستشار بكلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز في شؤون الطب الاسلامي .

ولما كنت موظفا سابقا — خلال فترة الشباب الأولى — في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة ، وفى رئاسة القضاة ، وفي إدارة كاتب العدل بمكة ، فقد كان الحديث مع الشيخ

عبد الله البسام عن ذكريات تلك الفترة لأنه هو مر بهذه الذكريات ، وعرف مثلي أو عرفت مثله الأوضاع القضائية في تلك السنوات الخوالي ، كما عرفنا معا قضاتها الأجلاء من أمثال : السادة زكي برزنجي ، ومحضار عقيل ، ومحمد أمين فوده ، وسالم شفي ، وجعفر الكثيري ، وحسن مشاط ، ويحي أمان ، ومن سبقهم ومن لحقهم رحمهم الله جميعا .

أما الدكتور محمد البار .. فقد عرف بأبحاثه الطبية المقارنة بالفقه الاسلامي ، وكان الحوار بيننا حول أطفال الأنابيب ، وبنوك الأجنة وما يحل من هذه التجارب الطبية الحديثة وما يحرم ، وقد طرحت هذه المسألة ــ فيما بعد ــ على المجمع وأصدر فيها قراراً .

ولكن خلال الرحلة الجوية كانت هناك ملاحظة للدكتور البار ، وهي جديرة بالاهتمام السريع .. إنها فشو ظاهرة الممرضَات في المستشفيات واختفاء «الممرضين» اختفاء يكاد يكون تاما ، والدكتور البار يقترح : أن تنشأ كليات أو معاهد للتمريض ، ويشجع الذكور على الالتحاق بها والاناث أيضاً ، وعند التخرج يوزع كل جنس منهم على القسم الخاص به في المستشفيات ، بحيث يعمل الاناث في أقسام النساء ، ويعمل الرجال في أقسام الرجال .

إن الواقع ــ الآن ــ أن أكثر الممرضات مستقدمات من الخارج ، والممـرضون نادرون أو معدمـون ــ وهـؤلاء الممرضات هن القائمات على خدمة المرضى من الرجال والنساء في المستشفيات الأهلية والحكومية ــ وتتكشف

عورات الرجال لهن خلال مساعدة الأطباء في ممارسة العمليات الطبية ، والتصوير الشعاعي ، وأعمال التحليل .

ولاشك أن دعوة الدكتور محمد البار إلى انشاء كليات للتمريض يشجع على الالتحاق بها الرجال ــ في الدرجة الأولى ــ أمر يستدعي الاهتمام من المسؤولين عن المستشفيات الأهلية والحكومية ، والمسارعة إلى تحقيقه وإنجازه .. فقد سمعت من أحد الأطباء الذين يعملون بأحد المستشفيات الجامعية : أن الممرضات يقمن ــ لعدم وجود ممرضين ــ بحلق عانات المرضى حين يلزم إجراء عمليات جراحية لهم في هذه المواضع الحساسة .

.. واستقر بنا المقام في عمان ظهر الجمعة ، ثم ذهبنا إلى جامع كبير على ربوة من ربوات عمان لنؤدي الصلاة ، ونستمع إلى خطبة ممتعة مشبعة من خطيب شاب كان رائعا في أدائه والموضوع الاجتماعي الذي اختاره لخطبته ، ثم عدنا إلى فندق ريجنسي الذي كان منزلا لكافة أعضاء المجمع الفقهي الاسلامي بكل أجهزته الادارية والعلمية ، كما كانت «قاعة البتراء» بالفندق هي مجتمع الأعضاء صباحا وظهرا ومساء دون انقطاع إلا للصلاة أو تناول الطعام ..

وفي الواقع : أن المملكة الأردنية الهاشمية كانت كريمة وعظيمة في دعوتها للمجمع الفقهي الاسلامي : أن يعقد اجتماعات دورته الثالثة بعمان ، وقد كان انعقاد دورته الأولى والثانية بالمملكة العربية السعودية ــ الأولى بمكة والثانية بجدة ــ وكان المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية

الذي أطلق عليه «مؤسسة آل البيت» هو المضيف للمجمع خلال إقامته في عمان ، وكان رئيسه الدكتور ناصر الدين الأسد ــ وهو وزير التعليم العالي الأردني أيضا ــ كثير الحفاوة بأعضاء المجمع ، مهتما بنجاح اجتماعاته ومقرراته .

وقد وجدت بغرفتي في الفندق ــ قبل ابتداء العمل ــ كتاباً مصوراً بعنوان «دليل عمان» ولفت نظري في معلوماته : أن مجمع اللغة العربية الأردني ــ الذي أنشىء سنة ١٩٧٦م سيعقد ندوة لاتحاد المجامع اللغوية العربية في نيسان ١٩٨٦ ــ أي أنه عقد فعلا خلال ابريل من العام الميلادي ــ من أجل مناقشة نظام توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون .. وسيكون من مهمة الندوة وضع رموز علمية باللغة العربية ، والاتفاق عليها بين المجامع العربية الخ .

الذي لفت نظري ، واستدعى تعليقي هنا على المجامع اللغوية العربية هو أن الجماهير في الدول العربية والاسلامية ــ وفي مقدمتهم طبقات المثقفين على اختلاف مجالاتهم من علماء وأدباء وصحافيين وطلاب علم ومدرسين .. لا يعلمون شيئا عن مقررات هذه المجامع .. لأنها تنشر في مجلات دورية ــ سنوية في الغالب ــ وتهدى أو تباع للمؤسسات العلمية الكبرى من جامعات وغيرها لتحفظ في المكتبات دون أن يطلع عليها حتى أساتذة الجامعات وطلابها !

● إن هناك مجمعا للغة العربية في القاهرة ، وثانيا في دمشق ، وثالثا في بغداد ــ وهذا الرابع في عمان .. فما هو نشاطها ؟ وما مقرراتها ؟ وما المصطلحات العلمية التي اتفقت

عليها بديلا من المصطلحات الأجنبية ؟

- وما الاشتقاق الجديد لبعض الكلمات العربية لمفهومات جديدة ؟

- أو ما «الوضع» الجديد لمعان عصرية لم تكن معروفة في عهود اللغة العربية الخالية ؟

- إن على مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق وعمان : أن تنشر مقرراتها الجديدة في الصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية والشهرية لكي يطلع عليها العلماء والأدباء والمدرسون والأطباء والمهندسون وطلاب العلم في كل المجالات ليستبدلوها بالمصطلحات الأجنبية التي مازالوا مضطرين لاستخدامها لأنهم لا يجدون البديل العربي .

- وبهذه المناسبة ألفت نظر بعض المسؤولين في المجمع الفقهي الاسلامي إلى أنه يجب على المجمع أن ينشر مقرراته في أكبر عدد ممكن من الصحف اليومية ـــ في البلاد العربية والاسلامية ـــ والمجلات الأسبوعية والشهرية لكي يطلع عليها خاصة المسلمين وعامتهم ، وينتفعوا بحلول القضايا والمسائل التي عالجها المجمع في كل دورة من دوراته .

حاجة المسلمين
إلى المجمع الفقهي :

.. وافتتحت الجلسة الأولى للمجمع الفقهي الاسلامي بقاعة البتراء في فندق ريجنسي بعمان ـــ وحضر الافتتاح سمو الأمير الحسن بن طلال ولي العهد الأردني وألقى سموه خطابا جامعا

حمل فيه المجمع مسؤولية تحقيق آمال المسلمين اليوم في تقديم فقه إسلامي ميسر .. وبخاصة الشباب المسلم الذي تتقاذفه التيارات الفكرية المتعددة ، والآراء المختلفة ، والمذاهب المتضادة ..

وقد أطال الأمير الحسن في بيان أهمية المجمع ، وعظم رسالته ، وكبر مسؤوليته في هذه الفترة من الزمن .. التي يعيشها المسلمون ، وهم أحوج ما يكونون إلى معرفة حقيقة دينهم ، وعدالة شريعتهم ، وصفاء عقيدتهم وجمال نظام الحكم الاسلامي الرشيد المجيد .

ومما قاله سموه : إن المجمع قادر على تولي دراسة المشكلات التي تعترض سبيل التقدم والنمو في العالم الاسلامي ، ومواجهة التحديات في المجتمعات العربية والاسلامية ، وإيقاظ الروح في المسلمين .

وقال أيضا : إن المسلمين ينتظرون الكثير من مجمع الفقه الاسلامي الذي يعمل جادا لربط ماضي الأمة المجيد بحاضرها المتطور .. فيرسخ في نفسها «الثوابت» التي هي مقومات ذاتها وأساس وجودها ، ويواجه فيها «المتغيرات» بما تهدي إليه أصول النظر الشرعي ، ومناهج الفكر الاسلامي في مختلف مجالات الحياة المعاصرة .

وأشار سموه ـــ في خطابه الجامع ـــ إلى أن على المجمع ـــ كوظيفة أولى ـــ بيان تعاليم الاسلام ، وبث قيمه ومبادئه التي تعتمد على منهج «الوسطية التي تجمع بين جانبي المادة والروح ، والأخذ بالقياس والاستحسان والاستصلاح

وتحكيم الأعراف المعتبرة شرعا» .

كان افتتاح جلسات المجمع يوم السبت ٨/ ٢/ ١٤٠٧ ــ ١٢/ ١٠/ ١٩٨٦ ، وقد كتبت جريدة «الدستور» ، الأردنية يوم الاثنين ١٠/ ٨/ ١٤٠٧ ــ ١٤/ ١٠/ ١٩٨٦ ترحب باجتماعات المجمع في عمان ، وبأعضائه العلماء الأجلاء ، وتذكرهم ــ في افتتاحيتها ــ بأنهم قادرون على تقديم الأجوبة الشافية على أسئلة المجتمعات الاسلامية ومعاملاتها التي تنتظر اجتهادا بصيرا قديرا على حل المشكلات والفصل في القضايا .

وأنا إنما حرصت على رواية بعض كلمات من خطاب ولي العهد الأردني وأشرت باختصار إلى تحية جريدة الدستور الأردنية وكلمتها إلى أعضاء المجمع من أجل أن أنبه إلى الآمال العراض الطوال التي يعلقها المسلمون على مجمعهم .. الذي طالما كتبنا وكتب غيرنا ــ قبل أن يؤسس ــ عن ضرورة قيامه ووجوده .. لأن قضايا المسلمين الحديثة ، ومشكلاتهم المعاصرة تحتاج إلى فتاوي جماعية يصدرها علماء أجلاء بقناعة وفقه وتدبر ويقين .

والقضايا التي عرضت على المجمع ــ في دورته الثالثة ــ تؤكد ما أسلفنا .. فهي قضايا عامة لا تخص فردا ، ولا بيتا ، ولا أسرة ، وإنما تخص المجتمعات الاسلامية كلها ..

● ونذكر بعضها دون استقصاء أو استيفاء ، فقد طرح البنك الاسلامي للتنمية بعض المسائل أو الأعمال التي يمارسها عبر القروض التي يقدمها للدول الاسلامية .. يريد من المجمع أن

يدرسها ويكيفها بأسلوب اسلامي لا شبهة فيه للربا ، وهو عمل طيب يشكر لمدير البنك الدكتور أحمد محمد علي جزاه الله خيرا ، ووفقه للصالحات من الأعمال .

● ومن هذه القضايا المطروحة على المجمع : زكاة الأسهم في الشركات .. هل تجب على المساهم أم على الشركة ؟ وقضية توظيف الزكاة في مشروعات ذات ريع ــ هل تجوز أم لا تجوز ؟ وقد قام مثل هذا المشروع في دولة الكويت فعلا ، وأطلق عليه «بيت مال الزكاة» .

● ومنها توحيد بدايات الشهور العربية ، وبخاصة رمضان وشوال ليتفق صيام المسلمين في يوم واحد ، وليستقبلوا عيد الفطر في يوم واحد أيضا ــ وهل من الممكن الاستعانة مع الرؤية البصرية بالحساب الفلكي وبالمراصد الفلكية .

● وهناك مسائل مهمة طرحها مدير المعهد الاسلامي بواشنطن ، تشغل بال المسلمين هناك من عرب وأمريكان يعيشون مجتمعا غير اسلامي ويتعرضون لمشكلات وتصرفات لا يعرفون لها حلا أو وجهة نظر صحيحة .

● ومنها : مسألة تغير العملة ــ أى قيمتها عند سداد الدين ــ وأحكام العملة الورقية بصفة عامة .. هل هي أحكام الذهب والفضة تماما ؟ أم الحكم غير ذلك ؟

وغير ذلك من مسائل وقضايا سيكون في حلها شفاء لصدور المسلمين في كافة أنحاء العالم بإذن الله وعونه ؟

من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم !

في بداية الاجتماع الثاني للمجمع الفقهي الاسلامي بعمان كان الأمير الحسن ولي العهد الأردني حاضرا ، وقد أذيع خلال الاجتماع حديث مسجل لسموه على الفيديو ، سبق أن أذاعه من التلفاز الأردني .

سمو الأمير الحسن تحدث — عبر هذا الحديث المسجل — عن مأساة المجاعة في جنوب السودان ، وقدم صورا فوتغرافية تبرز بشاعة المأساة على وجوه هؤلاء المسلمين وأجسادهم ، وبخاصة أطفالهم ونساءهم الحوامل والمرضعات !

واستمع أعضاء المجمع إلى حديث سموه المسجل ، ثم إلى حديثه المباشر الذي تحدث فيه عن إحجام الدول الاسلامية وبخاصة العربية — ما عدا السعودية — عن تقديم المساعدة الواجبة لهؤلاء الجياع العراة المرضى !

وأشار الأمير الحسن إلى أن الدول والمؤسسات المسيحية تقدم مساعداتها إلى هؤلاء المساكين بصورة ظاهرة ومكررة .. حتى أنه لما زار أحد المخيمات استقبله الأطفال بقولهم : «خواجة خواجة» ظنا منهم لغلبة ما يرون من المسيحيين : أنه منهم ! فقد تعودوا ألا يروا إلا هؤلاء الخواجات !

وقد تذكرت — وأنا أستمع إلى حديث الأمير الحسن بن طلال عن مأساة المجاعة الطاحنة في جنوب السودان ، وعدم اهتمام المسلمين بهم — الموقف نفسه الذي يقفه المسلمون

دولًا وشعوباً من إخوانهم المجاهدين في أفغانستان ، وما يلاقونه من مصاعب ومتاعب . وقلة المال ، وضعف الأسلحة التي يواجهون بها أسلحة روسيا وقواتها العسكرية الطاغية ، إلى جانب هجرة أربعة ملايين من الأفغان بعد أن دمرت مدنهم وقراهم ومساكنهم واضطروا إلى الهجرة إلى باكستان حيث يفتقدون الكفاية غذاء ومأوى وتطبيباً وتعليماً لأولادهم .

أسلحة روسيا وقواتها العسكرية الطاغية ، إلى جانب هجرة أربعة ملايين من الأفغان بعد أن دمرت مدنهم وقراهم ومساكنهم واضطروا إلى الهجرة إلى باكستان حيث يفتقدون الكفاية غذاء ومأوى وتطبيبات وتعليما لأولادهم .

المجاهدون ــ في أفغانستان ــ واللاجئون منهم إلى باكستان في أشد الحاجة إلى المساعدة المالية والطبية والتعليمية من إخوانهم المسلمين في العالم .. وما أكثر ما شكا وجأر بالشكوى زعماؤهم وقادتهم من تخلف إخوانهم المسلمين عن مساعدتهم .. بينما تأتي المؤسسات المسيحية التنصيرية وتقدم لهم المساعدات الطبية والغذائية لا رحمة بهم ، ولا شفقة عليهم ، وإنما لتجتذبهم إلى الخروج من الاسلام ، واعتناق المسيحية .

أيها المسلمون صحوا .. صحوا حقيقيا ، لا صحوا مزيفا ــ كما يظن بعض الكتاب أن هناك صحوة إسلامية في العالم لما يرون من كثرة الصائمين والمصلين وقراء القرآن .. كأنما الاسلام عبادة وحدها .. ونسي هؤلاء الغافلون : أن

الاسلام عبادة وعمل ، وأنه دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وأنه جهاد وسلوك .

أيها المسلمون صحوا .. كصحوكم في اللهو واللعب ، وإنفاقكم على الغناء والموسيقي وعلى السياحة خلال أوروبا وأمريكا .. صحوا وإنفاقا لاخوانكم الجياع في بعض دول أفريقيا ، ولاخوانكم في أفغانستان مجاهدين ولاجئين .

وحسبكم ما رواه البيهقي في التعبير عن أنس مرفوعا : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» .

المجمع الفقهي والصحوة الاسلامية :

من دلائل الاهتمام الكبير باجتماعات المجمع الفقهي الاسلامي ــ في عمان ــ ما نشرته جريدة «الدستور» الأردنية يوم ١٢ /٢ /١٤٠٧ ــ ١٥ /١٠ /١٩٨٦ خلال انعقاد المجمع وتناوله بالدراسة والتأمل القضايا المطروحة عليه ..

وهذا الذي نشرته «الدستور» هو ما كتبه الأستاذ هاني السعودي موجها إلى أعضاء المجمع ملاحظة مهمة وجادة .. حيث قال :

- «إن مؤتمركم من حيث الشكل ليس كاملا .. فهناك «غائب كبير» عن جدول الأعمال ، وهو فقه الجهاد ، وتعبئة الأمة عليه .. ذلكم بأنكم فقهاء الصحوة الاسلامية ، باعتبار أن علة المسلمين اليوم هي القعود ، وخلاصهم بالجهاد» .
- هذا من حيث الشكل ، أما من حيث الموضوع فيبدو أنكم تهتمون بالنظر في المسائل الفرعية.. في بدايات الشهور

القمرية ، وزكاة الأسهم ، أطفال الأنابيب ، وأحكام النقود الورقية ، والاحرام بالطائرة ، والكثير من المعاملات والعبادات ، إنها مسائل مهمة .. جزاكم الله خيرا في بحثها عن كل خير ــ ولكنها ليست من هموم المسلمين الكبرى اليوم» !

● إن هموم المسلمين اليوم تتكرر في قضايا رئيسية أربع : القضية الأولى هي علاقة الحاكم بالمحكوم في المجتمع الاسلامي المنشود ، وما واجباته ومسؤولياته وصلاحياته في نطاق نظرية الشورى الاسلامية ؟ وما وسائل الوقاية من الظلم والاستبداد ؟ وما حقوق المواطن ومسؤوليته ؟ نريد من فقهائنا الأجلاء النظر في هذه القضية .. التي هي جوهر السياسة الاسلامية» .

● القضية الثانية : هي المسألة الاجتماعية ، أى بيان حقوق الفقراء والمساكين والمحرومين في المجتمع الاسلامي ، ووسائل إنصافهم ــ القضية الثالثة : هي مسألة الوحدة الاسلامية .. نريد من فقهائنا الأجلاء بيان علاقة المجتمع الاسلامي الموحد بالأقوام والشعوب المختلفة فيه ، التي لكل منها مذهبه ولسانه ، وما الروابط المادية والمعنوية والدستورية التي تشد هذه الأقوام والشعوب في الأمة الاسلامية الواحدة» ؟

● القضية الرابعة : المسألة اليهودية ؟ نريد من فقهائنا الأجلاء بيان كيفية التعامل مع هذه المسألة ، كيف نتعامل مع اليهود الذين أقاموا بيننا دولة قوية مسلحة تكبر يوما بعد يوم ، ويكبر خطرها على الأمة الاسلامية ــ هل يجوز الصلح معهم

ومهادنتهم ؟ هل نقبلهم ونعيش معهم ؟ أم نرفضهم ؟

● إننا نريد من فقهائنا أن يدلوا بالرأى الحاسم في هذه المسألة الرئيسية الكبرى .

وأنا مع جريدة «الدستور» التي نشرت الكلمة ، ومع الكاتب الفاضل الذي كتبها ، .. وهذه القضايا الاسلامية الأربع هي في مقدمة «هموم» المسلمين اليوم ، ويجب أن يسمعوا عنها وفيها آراء الفقهاء والعلماء أولا .

أجل .. من حق الكاتب والمسلمين ــ وبخاصة الشباب الحائر التائه الثائر ــ أن يستمعوا إلى فقهاء الأمة الاسلامية إلى فتواهم الجماعية في هذه القضايا المهمة الجادة .. ليعرفوا منهج الاسلام فيها ، وتطمئن به قلوبهم ، وتسكن معه أنفسهم وخواطرهم ومشاعرهم .

ولكن هذا ــ في نظري ــ لا يكفي .. لأن المجمع لا يملك إلا أن يقول رأيه ، ويعلن فتواه ، في أية مسألة تطرح عليه ــ فإذا قال ــ مثلا ــ إن منهج الاسلام «كذا» في قضية علاقة الحاكم بالمحكومين ، أو في قضية علاقة الدول العربية المجاورة لاسرائيل بإسرائيل ــ فإن كلام المجمع سيبقى مجرد كلام عن «نظرية» لن تجد إلى التطبيق سبيلا ، ولا إلى النفاذ بابا .

وما سيقوله المجمع في هذه القضايا الأربع قاله من قبل الفقهاء السابقون واللاحقون ، القدامى والمعاصرون ــ ولكنه بقي في مؤلفاتهم ومقالاتهم حبراً على ورق .. لأن «السياسة» ليست بأيديهم ، وأنظمة «الحكم» لا تدار بمشورتهم .

ومع عذر المجمع القائم والظاهر .. فإنه لا بأس عليه أن يقول كلمته في مثل هذه القضايا الجادة الحادة التي هي هموم كبرى للرأي العام الاسلامي اليوم من قبيل العلم أو التذكير .. حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

مؤتمر مكافحة الشيوعية الدولية

بدأت الرحلة إلى تايبيه ــ عاصمة تايوان ــ ظهر الخميس ١٩/ ١٢/ ١٤٠٧ ــ ١٣/ ٨/ ١٩٨٧م ــ وانتهت عصر الجمعة ، وأوي وفدنا السعودي إلى فندق قراند أوتيل مع بقية الوفود في انتظار افتتاح مؤتمر مكافحة الشيوعية صباح الاثنين ٢٣/ ١٢/ ١٤٠٧ ــ ١٧/ ٨/ ١٩٨٧م .

وحلال انتظارنا افتتاح المؤتمر زارت الوفود صباح السبت ما سمي «بحدائق العائلة» وكان الجو حارا ، وكانت الحديقة على مستوى خلاف ما توقعناه .. إذ أن الخضرة الموجودة في شوارع العاصمة تايبيه وجبالها أزهى وأبهى مما هي في الحدائق .

وزرنا صباح الأحد معبد بوذا ، ورأينا الهدايا المقدمة إليه ، وهو صامت جامد لا يمد يديه أو احداهما ليأخذ منها شيئا ، وهي هدايا من النقود والفواكه ، وتذكرت سؤال القرآن حكاية عن إبراهيم عليه السلام حين وجه هذا السؤال إلى قومه : ﴿**هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون** *﴾ يعني أصنامهم التي نحتوها من الحجارة ثم اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله .

وقد خففت عني عناء الرحلة ، ومتاعب الغربة ــ رفقة الصديق القديم الكريم الأستاذ شكيب الأموي وابنه عمرو الطالب بإحدى الجامعات الأمريكية ــ في هيوستن ــ إلى

جانب من لقيت هناك خلال اجتماع المؤتمر من بعض الاخوة اللبنانيين كالأخ أحمد مروة ابن عم المرحوم الأستاذ كامل مروة صاحب جريدة (الحياة) البيروتية ورئيس تحريرها ، والأستاذ شيخان الحبشي أحد قادة التحرير في اليمن الجنوبي .. وكان الحديث بيننا ذا شجون وشؤون عن مأساة لبنان ، وفجائع الشيوعية الدولية في الديار العربية التي غزتها ، وساعد أبناؤها على غزوها !!

ومما يؤسف له ــ كما قلت للأستاذ شيخان الحبشي ــ أن الشيوعيين العرب لم يتعظوا بما فعلته وتفعله روسيا في أفغانستان من اللعب الدموي بالزعماء الأفغان ، وبإغراء بعضهم على بعض عزلاً وقتلا .. ابتداء من «داود خان» الذي سلطت عليه «محمد تراقي» فقتله واستولى على السلطة ، ثم سلطت «حفيظ الرحمن» على محمد تراقي فقتله وحل مكانه على كرسي الحكم ، وجاء دور حفيظ الرحمن فسلطت عليه «كارمل» وفعل به ما فعله السابقون ثم حانت ساعة كارمل فأقصاه «نجيب الله» وهو الآن ينتظر دوره الذي ليس ببعيد .

وقد حدث مثل هذا اللعب الدموي السوفياتي بالزعماء الشيوعيين العرب في ديار الأستاذ شيخان الحبشي ــ دون اعتبار أو اتعاظ .

أما السفير السعودي في تايبيه الأستاذ أسعد الزهير ، والقائم بالأعمال الأستاذ أحمد العجلان .. فقد أكرما وفادة الوفد السعودي ، وأحسنا ضيافته ، وخففا عنه بعض متاعبه ، وآنساه في غربته .

وزاد فضل الله الكريم على الوفد السعودي إذ أتاح له فرصة اللقاء بالأمير بندر بن عبد الله بن تركي — من اداريي القاعدة الجوية في الظهران — حيث كان في تايبيه للقيام بدراسة خاصة تتعلق بعمله .. وقد تفضل فأقام للوفد مأدبة عشاء في أحد المطاعم الصينية ، كما سبق إلى مثل ذلك سعادة السفير السعودي وسعادة القائم بالأعمال .

فللجميع خالص الشكر ، وصادق الدعاء بتمام العافية ، وحسن التوفيق ، وللحديث تتمة آتية بإذن الله وعونه .

الشيوعية حرب
على البشرية !

المؤتمر .. الذي دعينا إليه باسم مكافحة الشيوعية الدولية تشرف عليه مؤسستان — الأولى هي : مؤسسة «واكل» ويرأسها مستر «كو» والثانية مؤسسة «أباكل» ويرأسها الدكتور «هانلي» ونائبه الامباسودر «تيين» وقد كان سفيرا للصين الوطنية في المملكة العربية السعودية مدة عشر سنوات ، ويتمتع مستر «تيين» بخلق كريم في استقبال الوفود ، والترحيب بهم ، وتقديم الهدايا التذكارية إليهم .

كان اجتماعنا هذا الذي بدأ يوم ٢٣ /١٢ /١٤٠٧ — ١٥ /٨ /١٩٨٧ هو الدورة العشرين للمؤتمر ، وقد بدأت المؤسستان أعمالهما قبل ذلك ببضع سنوات ، ويحضر المؤتمر في كافة دوراته وفود من جميع القارات : من أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا وجزيرة العرب .. الأمر الذي يدل على

استمرار مكافحة المؤتمر للشيوعية الدولية ــ فكريا ودعائيا ــ طوال ربع قرن أو يزيد .

وقد دعيت إلى إلقاء كلمة في افتتاح المؤتمر ، وكان موضوع كلمتي : «الشيوعية الدولية حرب على البشرية» وفوجئت خلال انتظار نوبتي لإلقاء الكلمة بأخطاء في ترجمتها إلى الانجليزية ــ مع ضعفي في هذه اللغة لطول العهد بدراستها منذ ثلاثين عاما ــ وكان أول خطأ في العنوان حيث اختار المترجم كلمة «عدو» بديلا من كلمة «حرب» والفرق بعيد بين الكلمتين .. فكلمة حرب تعني التدمير والتخريب بكل معانيهما ، وفي كل مجالاتهما .. ولا تعني كلمة العدو هذا المعنى الشنيع الفظيع ، وإن كان العدو يتمنى السوء لعدوه .. ولكنه لا يكون دائما حربا عليه أوقادرا على حربه ..

والخطأ الثاني في ترجمة الكلمة هو إبدال المترجم لجنسية المؤرخ الانجليزي أرنولد يوينبي ــ إلى الجنسية الأمريكية . وقد استشهدت بكلمة له عن خيبة الشيوعية وخيبة الرأسمالية في أنهما لم يحققا أهدافهما المزعومة .. من حيث ضحت الأولى بالحرية الفردية باسم العدالة الاجتماعية ، وضحت الثانية بالعدالة الاجتماعية باسم الحرية الفردية !

فاضطررت لتصحيح هذين الخطأين قبل إلقاء الكلمة باللغة الانجليزية ليتنبَّه الحضور إلى هذين الخطأين ، ويعلموا أنهما ليسا من عندي ، ثم ألقيت الكلمة باللغة العربية كما كتبتها وقد قلت في فاتحة كلمتي :

● إنني مازلت أقول لقرائي عبر الصحف التي أكتب فيها، ولمستمعي خلال الندوات والمؤتمرات التي أشترك فيها بحديث أو محاضرة أو مناقشة، ولطلابي بجامعتي الملك عبد العزيز بجدة، وأم القرى بمكة المكرمة ـ كنت ومازلت أقول لهم: إن الشيوعية، حقيقة وواقعا، أفقرت الأغنياء، ولم تغن الفقراء، مع كون شعارها الدائم: أنها جاءت لإنقاذ الطبقة العاملة الفقيرة المستضعفة من حالة البؤس والمرض والحاجة التي يعانون منها بسبب طغيان أصحاب رؤوس الأموال، ومؤسسي المصانع والمتاجر التي يعملون بها.

● لاشك أن ماركس دجال كبير.. لأنه لم يقصد أساسا أن يسعد الفقراء والمساكين، أو ينصف العمال والأجراء من أصحاب العمل وأرباب رؤوس الأموال ولكنه نجح في إقناع لينين بصدق فكرته، وصحة دعواه، وبدأ التطبيق يحمل شعارا براقا وعنوانا خادعا: «من لا يعمل لا يأكل».

.. ثم تابعت حديثي فقلت:

● كان من حق الطبقات العاملة الكادحة، المطحونة تحت عجلات الطغيان المادي للطبقات الغنية من أصحاب المصانع والمزارع والمتاجر: أن تسارع لاهفة لاهثة نحو الاستجابة لنداء الانصاف المزعوم، ودعوة الاسعاف الموهوم.. على ألسنة الدجالين من قادة الفكر الشيوعي وأقلامهم..

● ومن هنا كان نجاح «لينين» في التطبيق بعد نجاح ماركس في الفكرة، وعندما بدأت المقاومة من الأغنياء والعلماء والمفكرين انبعثت خاطرة القضاء العاجل على كل معارضة

للشيوعية باعتبارها ــ أي المعارضة ــ العدو اللدود للسعادة الموعودة التي طال انتظارها سنوات طوالا من قبل الكادحين ..

وتمثل هذا القضاء العاجل لمعارضي الشيوعية في الاعتقال والنفي والتعذيب والتقتيل أفرادا وجماعات .. دون رحمة أو رفق أو إمهال .

وعلى ذكر «الكادحين» كان من اتقان الكذب والتزوير في الدعاية للشيوعية : أن وضعت روسيا المادة الأولى في دستورها : أن الكادحين هم مصدر السلطات !! هكذا يكذبون علنا ، ويزورون جهارا باسم الكادحين ، ويمنحونهم صفة التشريع والتنفيذ قولا ودعوى ، لا فعلا وواقعا .

● وما نعنيه بنجاح ماركس ولينين ــ فكرة وتطبيقا ــ ليس نجاحا حقيقيا ، وإنما هو نجاح مزيف ومؤقت ساعدت عليه ظروف الطبقات العاملة الفقيرة في العالم ، كما ساعدت عليه مظالم أصحاب رؤوس الأموال .. الذين لو كانوا منصفين لأجرائهم وعمالهم ــ الذين هم الأيدي المنتجة في مصانعهم ومتاجرهم ومزارعهم ــ لما صدق أحد دعوى الشيوعية ولا انخدع العمال ببريقها ، ولا قامت لها قائمة في أية بقعة من بقاع الأرض .

وهنا يحضرنا المثل الشعبي «العايز أهبل» أي أن المحتاج المضطر مغفل وسريع التأثر والانقياد لمن يخدعه أو يعده بقضاء حاجته ، وكشف ضرورته ، وإسعاد حاله .

وهذا ما حدث ــ مع الأسف الشديد ــ عندما صدرت روسيا بضاعتها المزجاة ؛ «الشيوعية الحمراء» إلى دول العالم

الثالث ، بل إلى بعض دول العالم الثاني .. عالم الرأسمالية الغربية ، التي هي عكس الشيوعية ، بل إن الشيوعية لم تجد خصما تعلن الحرب عليه لتخدع أتباعها وأشياعها إلا الرأسمالية الغربية .

● وأسفنا أشد نحن العرب والمسلمين عندما نجد أن عدوي هذا الوباء الشيوعي قد تسربت لبعض الديار العربية والاسلامية ، وقامت فيها أحزاب شيوعية تحت ستار «الاشتراكية» العلمية ، أو باسم «العمل الاشتراكي» أو «التجمع العمالي» .

يحدث هذافي العالم الثالث مع ظهور الدلائل الجلية على خيبة فكرة الشيوعية الدولية في روسيا وفي الدول التي تسير في فلكها ، وعلى فشل التجارب والمحاولات التي بذلت باسم المساواة بين العمال وأصحاب العمل ، وبين الطبقات الفقيرة والطبقات الغنية ــ وبخاصة في روسيا نفسها أم الاشتراكية والشيوعية وحاضنتهما حيث يرتفع زعماء الكرملين درجات كبيرة في معائشهم ومترفهم وقصورهم وسياراتهم .. فوق الطبقات الأخرى .. بل يكادون لا يفترقون عن زعماء الرأسمالية الغربية ... التي مازالوا يزعمون أنهم يقاومونها بشيوعيتهم الزائفة .

ليس هذا فحسب .. بل هناك خطيئة كبرى يرتكبها ساسة الكرملين يكذبون بها ما يزعمونه من أنهم دعاة سلام ، وحملة خير وبركة وعدالة ورخاء للكادحين في العالم ــ بل هي فضيحة عظمى تفضح ادعاءاتهم وأخاديعهم .

فقد أثبتت الاحصائيات الأخيرة أن زعماء روسيا ينفقون ألف مليون دولار سنويا في الحرب الأهلية في نيكاراجوا ــ وألف مليون دولار أخرى في أنجولا ــ وأربعة آلاف مليون دولار على النظام الشيوعي في كوبا ــ وآلاف الملايين مثلها في أفغانستان ــ وهناك دول أخرى يتدخل الاتحاد السوفياتي في سياستها ، وينفق الملايين العديدة في سبيل الترويج لسياسته الشيوعية ، وشد أزر الزعماء الأتباع له في هذه الدول .

يحدث هذا في الوقت الذي يعاني فيه الشعب الروسي ــ في مختلف ولاياته وأقاليمه ــ من مفاسد اقتصادية وأخلاقية وتربوية هي أحوج إلى هذه المبالغ الطائلة لاصلاحها وتحقيق العدالة الاجتماعية للشعوب السوفياتية المخدوعة بأحلام الشيوعية وأوهامها .

وإن كان لابد لي من تعقيب أختم به الحديث عن الخديعة السوفياتية ــ أي الشيوعية الدولية ــ فهو ما اعترف به المؤرخ الانجليزي أرنولد توينبي في كتابه ، (العادة والتغيير) من خطأ الرأسمالية الغربية والشيوعية السوفياتية معا وفي وقت واحد ــ يقول توينبي : «إن الرأسمالية أخطأت السبيل لا في إصرارها على احترام فردية الانسان وحريته ، ولكنها أخطأت في تضحيتها بالعدالة في سبيل الفردية ــ كما أخطأت الشيوعية لا في إصرارها على العدالة الاجتماعية ، ولكن في تضحيتها بالحرية من أجل العدالة ، إن كلا منهما ــ أى الرأسمالية والشيوعية ــ يؤيد جانبا على حساب الجانب الآخر ... وكلتا النظريتين مادية ، ولما كان الانسان لا يستطيع أن يعيش بالخبز

وحده فإن التفسيرين الماديين «للعدالة والحرية» تفسيران خاطئان) .

وعلى ضوء ما قرره توينبي فإنا لا نجد نظرية «اقتصادية» سليمة جمعت بين رعاية العدالة والحرية معا كمطلبين أساسيين للانسان إلا في النظام الاسلامي ..

.. هذا النظام العادل الفاضل الذي أتاح للانسان حرية الملكية لأقصى الحدود ، ولكنه وضع له من القيود ما تتحقق به العدالة الاجتماعية موزعة بين المالك والعامل ..

فقد فرض الاسلام الزكاة — والضمان الاجتماعي — ونفقات الأقارب — وحرم الربا والرشوة والاحتكار وظلم الأجراء — إلى غير ذلك من التزامات اقتصادية وأخلاقية من شأنها أن تحقق العدالة والحرية معا لكافة طبقات الشعب من أصحاب أعمال وعمال ، وأغنياء وفقراء .. وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً**﴾ .

بقية من حديث المؤتمر :

استتماما للحديث عن مؤتمر مكافحة الشيوعية الدولية الذي انعقدت دورته العشرون في تايبيه عاصمة تايوان (الصين الوطنية) نشير بإيجاز إلى الكلمة التي وجهها الرئيس الصيني تشاينج تشنج كو إلى المؤتمر يوم افتتاحه .

فقد حيا الرئيس تشاينج أعضاء المؤتمر الذين حضروا من

أنحاء العالم ، والذين يناضلون ـــ حسب عبارته المترجمة ـــ من أجل حرية البشرية ، ومن أجل تحقيق الأمن المتبادل بين شعوب العالم .

كما قال : «إن أمم العالم الحر بحاجة شديدة إلى تعزيز القوى لدفع عجلة الحرية في كل بقعة من بقاع العالم ، وزيادة التعاون بينها من أجل التنمية الاقتصادية ، والاستثمار الحر ، والتبادل الثقافي .. الأمر الذي سوف يكون معه تحقيق السعادة الاجتماعية ، ووقف الأعمال التخريبية التي تشنها الشيوعية الدولية في أنحاء كثيرة من عالمنا» !

وأضاف الرئيس الصيني : «أن هناك شعوبا تضررت بالاعتداء الشيوعي ، وحكمه ومظالمه واستبداده وتطبيق مبادئه .. وهي ـــ أي هذه الشعوب المغلوبة على أمرها ـــ محتاجة إلى مساعدة وتشجيع لانقاذها من براثن الحكم الشيوعي الذي أُخضعت له ، ولإتاحة الفرصة لها كي تستمتع بنفس الحريات التي تستمتع بها في دولنا وبين شعوبنا» .

ثم ختم الرئيس تشاينج كلمته في موؤتمر مكافحة الشيوعية الدولية بقوله يخاطب الحضور : «إنكم أيها المجتمعون في هذا المؤتمر مجاهدون ممتازون .. جئتم من أنحاء المعمورة من أجل تعميم الحرية ، ومكافحة الاستبداد الشيوعي في العالم ، فأرجو لكم النجاح والتوفيق» .

وسأشير إلى تحية الرئيس الأمريكي ريجان لأعضاء المؤتمر ـــ لا من قبيل الاعتزاز بها ، ولكن من أجل مواجهته بكلامه الذي هو حجة عليه ، وليست له .

لقد قال الرئيس ريجان في تحيته لمؤتمر مكافحة الشيوعية الدولية : «إنه مسرور غاية السرور إذ يبعث إلى المؤتمر بتحياته في الوقت الذي يحتفل فيه الأمريكان بذكرى مئتي عام لإنشاء الدستور الأمريكي الذي هو ميثاق الحرية والكرامة البشرية والاعتراف بحقوق الشعوب كافة في تقرير مصيرها» !

وأضاف الرئيس ريجان : «إن أمريكا ظلت مئتي عام ملجأ للشعوب المضطهدة ، وللفارين من الممارسات اللاإنسانية في أنحاء العالم» .

وحيا الرئيس الأمريكي الأبطال من ثوار نيكاراجوا ، والمجاهدين الأفغان وثوار انغولا وكمبوديا وغيرها من البلاد المضطهدة من قبل الحكومات الشيوعية ، ثم تمنى في ختام تحيته للمؤتمر أن يأتي ذلك اليوم الذي يرى فيه جدران الشيوعية الدولية قد انهارت ، وأن الحرية قد استعادتها كل الشعوب التي تشتاق إليها !

● إن كلام الرئيس ريجان كلام جميل .. ولكن يذهب بجماله تعدد المواقف الأمريكية تجاه العدوان ، وتجاه الاستبداد ، وتجاه طلب الحرية ، فإذا كانت أمريكا تحيي ثوار نيكاراجوا وكمبوديا وأنغولا ، وتقدم لهم العون المادي والعسكري والسياسي .. فلماذا لا تشمل (رحمتها) المزعومة الثوار الفلسطينيين الذين غلبتهم اسرائيل ، وأخرجتهم من ديارهم ، واغتصبت أموالهم ومزارعهم وأراضيهم ؟

● بل لماذا تبيع الأسلحة لايران لتضرب بها (العراق) وتقوي علاقاتها السياسية معها لتزداد عنادا وإصرارا على استمرار حربها

للعراق ، ولمتمتنع عن تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي بوقف هذه الحرب ؟

• ولماذا — أيضا — لا تعين الفلسطينيين على إقامة دولة في بعض أراضيهم — أعني تنفيذ مشروع السلام العربي الذي اتخذته جامعة الدول العربية سنة ١٩٨٢ لإقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية من الأردن والقدس وقطاع غزة ؟

• إن دستور أمريكا ، ومبادئه الديمقراطية يجب أن يكون سندا لكل المضطهدين في العالم ، وليس لمضطهدي الشيوعية وحدها .



سعادة الشيخ محمد بن ناصر العبودي
الأمين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي



الفصل الثانى

خطـوات في داخـل المـلكة



مجتمعنا العربي كما ينبغي أن يكون ؟

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلي وأسلم على نبيه الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان [١]

أيها الاخوة الاعزاء .. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..

قبل أن أبدأ حديثي ، أود أن أقول : ماأسعدني بهذا اللقاء الاخوي الحبيب الذى عقدته بيني وبينكم مديرية التعليم بجدة ، وهيأت به فرصة الحديث اليكم في أمر اعتقد انه مدار الكلام والجدول في كل ندوة أو مجلس يضم المخلصين من المهتمين بالتطور الحادث في مجتمعنا العربي الكبير ..

واذ أنا سعيد بهذا اللقاء الأخوى الكريم أجدني حقيقا أن أقدم لمديرية التعليم بجدة جزيل شكراتي ، وأخص بمثله فضيلة الاستاذ مصطفى العالم ، الذى قادني الى هذه الجنة بالسلاسل .. وحقاً إنها «الجنة» .. فقد ورد فى الحديث : **(اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا .. قالوا : وما رياض الجنة يارسول الله ، قال مجالس العلم)** [٢] .

ونحن ، هذه الليلة المباركة ، في مجالس علم ، واني لاسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعا مرحوما ، وتفرقنا بعده تفرقا معصوما .

---

(١) ألقيت هذه محاضرة في قاعة مديرية التعليم بمنطقة جدة بدعوة منها مساء الأربعاء ١٣ ٣ ١٣٨٤هـ — ٢٢ يوليو ١٩٦٤م ..

(٢) رواه الترمذي في كتاب «الدعوات» .

أيها الاخوة الاعزاء ..

لقد جعلت عنوان حديثى «مجتمعنا العربي .. كما ينبغى ان يكون» ولم أقل : «مجتمعنا الاسلامي .. كما ينبغي أن يكون» وان كنت في واقع الأمر أعنيه وأقصد الكلام عنه قصداً محرّراً — وذلك من قبيل إرخاء العنان — على سنة البلاغيين — لجفاة الاسلام ودعاة القومية العربية من جهة اولى ، ومن جهة اخرى .. لأن العرب فى وطنهم العربي الكبير من الخليج الى المحيط المفروض فيهم تأريخياً ان يكونوا مسلمين .

ذلك بأن الله تبارك وتعالى قد اختار منهم خاتم رسله ، واصطفى لسانهم لآخر كتبه ، وارتضاهم حملةً لدينه القويم ينشرونه بين أمم الأرض كافة نوراً يضيء وعدلًا يسود ، وسلاماً يعمّ . وأثبت القرآن ذلك لهم بقوله : **﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** [٣] .

فالعرب أذن أئمة الدنيا ، وقادة الشعوب ، وخلفاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على الناس بعده ، وحسبهم ان رسولهم قال عنهم : «**من أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم**» [٤] .

واذا كان العرب كذلك .. كما شهد القرآن وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا — كما يرى ابن تيمية رحمه

---

(٣) سورة آل عمران / ١١٠ .

(٤) رواه الترمذي .

الله ــ أفضل الاجناس ، وخير الأمم وكان فضلهم هذا لا يعود الى ماورد فيهم من نصوص القرآن والحديث فقط ، أو خصوا به من أحكام في الفقه . بل هم أفضل مع ذلك لما اختصوا به من فطرة سليمة ، ومعدن صاف .. في عقولهم وألسنتهم وأعمالهم واخلاقهم . كما يرى ــ ابن تيمية نفسه ــ الّا سبيل الى فهم الاسلام قرآناً وحديثاً وفقهاً الا بتعلم اللسان العربي ، والتعايش مع العرب ، والتخلّق باخلاقهم ــ وهو يعني بذلك ضرورة تعريب الشعوب الاسلامية أُسَراً وأمما ، وعلوماً وآدابا .

أقول : اذا كان ذلك شأن العروبة جنساً وتأريخاً وارتباطاً بنبي الاسلام وبالاسلام نفسه ــ فما بال العرب اليوم وقد «تعاجموا» فنسوا أنفسهم ، وأضاعوا فطرتهم ، وزيّفوا أصالتهم ، واستمعوا الى كل ناعق ، واتبعوا كل ضال .

يقول الشاعر العربي المعاصر «حامد حسن» :

تعاجم العرب .. هلا تبعثين لهم
من أمس أجدادهم من عرَّب العجما

وعلى ذكر استعجام العرب ألسنةً واذهاناً وأزياءً نسوق قول الامام الشافعي رحمه الله : «ان أولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز أن يكون أهل لسانه ــ أي العرب ــ اتباعاً لأهل لسانٍ غير لسانه في حرف واحد» .

تأملوا قوله «في حرفٍ واحد» وتحسَّروا معي أن أصبح العرب اتباعاً لأهل الألسنة الاخرى في حروفٍ كثيرة بل فيما هو

أهم .. في المبادىء والمذاهب والعقائد الغربية على عقولهم وأخلاقهم وأصالتهم وفطرتهم .

وكأن المتنبى ينظر الى العرب اليوم بظهر الغيب فيراهم غرباء في أوطانهم فيعيد قوله :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

أيها الاخوة الاعزاء ..

ندع الكلام على المجتمع العربي كما هو كائن .. الى مابعد ، ونعود فنؤكد في ختام هذه المقدمة أن للعرب ــ تأريخيّاً ــ شأنا كبيرا لا يدع لمفكّر سليم النية ان يتصور انفصام العروبة عن الاسلام .

فالاسلام : عربي الاصل والمنشأ واللسان ، وإن كان عالمى الرسالة ، والعرب : مسلمون عقيدةً وخُلقا وعملًا وأوطاناً .

على هذا الأساس الوثيق من التصور الحق ، للعلاقة اللازمة الدائمة بين العروبة والاسلام ــ قلت في العنوان (مجتمعنا العربي ..) ثم أوضحت في صدر المقدمة : أن المفروض في العرب بأوطانهم من الخليج الى المحيط ــ أن يكونوا مسلمين .

ولكن استدراكاً مُهّما على ماتقدم من رأي في فضل العروبة جنساً ــ يرد من قول ابن تيمية نفسه ، فهو يرى أن العروبة كما تثبت بالنسب ، فهى تثبت ايضا باللغة ، وبالوطن ، فمن تكلم العربيّة فهو عربي ، ومن ساكن العرب في أرضهم فهو منهم .

ويستند ابن تيمية في ذلك على حديث صححه هو وقال ان

معناه ليس بعيداً ، وذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه :

(أيها الناس إن الرب واحد ، وان الدين واحد ، وان الأب واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وليست العربية بأحدكم من أبٍ ولا أم . وانما هي اللسان .. فمن تكلَّم العربية فهو عربي) [٥] .

وثمة استدراك أهم — يرد على كل ماتقدم عن فضل العروبة جنساً . وهو ان العبرة فى المجال الاسلامي الذى اختار الله العرب لقيادته ، واصطفى لسانهم لرسالته — أن العبرة في ذلك بالعمل لا بالنسب . وهذا مايقرِّره نبيهمّ صلوات الله وسلامه عليه في حديثه الصحيح : **(لئن جاء الاعاجم بالعمل ، وجئتم بدون عمل ، فهم أولى بمحمدٍ منكم)** وفى أحاديث أخرى : **(سلمان منا آل البيت)** [٦] و **(لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى والعمل الصالح)** [٧] .

بقى أن أقول في مقدمة هذا الحديث : انى انما اخترت هذا الموضوع لأن الشباب العربي تائه حائر .. فمناهج التربية والتعليم لا تعينه على الفهم الصحيح لعروبته ، ولا منظمات الإعلام من صحافة واذاعة وتلفاز لا تسعفه بحقيقة اسلامه . ولا الآباء والامهات يشعرون بمسؤوليتهم عن تنشئة هؤلاء الضحايا البريئة من فتيان وفتيات على شيم العروبة وآداب الاسلام .

---

(٥) رواه أحمد وابن عساكر عن معاذ .

(٦) رواه الطبراني والحاكم

(٧) رواه الامام أحمد .

واقع المجتمع العربي

أيها الاخوة الاعزاء ..

نتنقل الآن الى الكلام عن (مجتمعنا العربي) كما هو كائن .. اعتقد ان كل مفكر مخلص، ومهتم بشؤون المجتمع العربي، ومتتبع لتطوره ومراقب لأحواله — قد انتهى الى القول فى أسى مرير: بأن مجتمعنا العربي على امتداده من الخليج الى المحيط .. لم يعد عربياً.

لقد تظاهرت على تحررنا الفكري وتطورنا الاجتماعي بالصورة المنكرة التى نعيشها — عوامل شتى.

● العامل الأول: الاستعمار الصليبي، وأعنى بالصليبية اتجاهه — أى الاستعمار — فى نفس طريق الصليبية الاولى .. وهى الانتقام الحاقد والتآمر الشرير على العروبة المسلمة بالعمل الدائب على افساد معتقداتها، ومحو مقدساتها، وتبديل تقاليدها باسم التطوير، ومسخ شخصيتها بدعوى التحرير.

● العامل الثانى: الصهيونية العالمية التى بثَّت وتبثُّ سمومها القاتلة عن طريق سلطاتها الاقتصادية والأدبية والعلمية والسياسية في مختلف أجهزة الحكم، ومرافق المال، ومنظمات الاعلام والنشر في أوروبا وامريكا .. وسنفصل الكلام عن ذلك عما قريب.

● العامل الثالث: وهو الأهمّ في رأيى .. استعداد العرب أنفسهم وبخاصة سادتهم وكبراءهم المسيطرين على أزمة الحكم

والسياسة ، والموجهين في ميادين الفكر والتربية والتعليم — استعدادهم للانمياع في بوتقة المخططات الاستعمارية والتوجيهات الصهيونية ، وبالتالى عملهم الجاد السريع في نقل ميكروبات الاستعمار والصهيونية إلى الحكم العربي ، والفكر العربي .. مغلفة بقشور حلوة خضرة من أوصاف وأسماء اطلقوا عليها : التطوير والتحرير ، والتنمية ، والتجديد ، والتيسير ، وأشباهها .

لقد أسلفت ان هذا العامل هو الأهم في رأيى .. وذلك بأن الاستعمار على الرغم من قواه العسكرية والاقتصادية وسيطرته الطويلة الأمد على معظم اقطار الوطن العربي الكبير — لم يكن قادراً على أن يُجْهِز على العروبة المسلمة تماما ، ولكن العرب أنفسهم — وآسفاه — استطاعوا بعد أن تحررت بلادهم من مظاهر الاستعمار دون مخابره استطاعوا — واعجباه — أن يتموا الإجهاز على العروبة المسلمة ، على الصورة الغريبة الرهيبة التى نراها ونحياها .

وكذلك .. كان أثر الصهيونية العالمية ، فى تخريب كيان العروبة المسلمة وتهديم شخصيتها ، وتلويث ضميرها — كان أثرا محدوداً معروفا .

وحسبنا تدليلًا على ذلك وتفصيلًا له : أن الاستعمار والصهيونية ، وهما الصنوان العاملان معاً ، وجنبا الى جنب في معركة التخريب العربي — لم يجرآ ، وهما في أوج تسلطهما الفكري والعسكري والسياسي ، على مواجهة المسلمين المحكومين لهم باجراءاتٍ أو تشريعاتٍ مخالفةٍ للدين .

.. بينما أقدم الحكام العرب المسلمون ، والحكام المسلمون من غير العرب ، في جراءةٍ نادرة ، وبعد استقلال بلادهم من سلطان الاستعمار الأجنبي المباشر — أقدموا على إصدار تشريعات واجراءات تحرِّم تعدد الزوجات ، وتبيح الفطر في رمضان ، وتنهى عهد المحاكم الشرعية ، وتحيل الجامعات الدينية ذات الاختصاص في علوم الشريعة واللغة العربية إلى جامعات مدنية لا حاجة إليها لوجود أمثالها .

وأقدموا كذلك على اذاعة القداس المسيحي ، صباح كل أحد من اذاعاتهم على مافي ترتيله من مخالفة صريحة لنصوص القرآن ، والعقيدة الاسلامية ... عن حقيقة المسيح عليه السلام .

وجرأوا — أيضا — على تجميد الهيئات الاسلامية واعتقال زعمائها ، واتهامهم بالمتاجرة بالدين ، زوراً ، وهى التى كانت تُربِّى ناشئة المسلمين وشبابهم على شيم العروبة ومبادىء الاسلام .. على بصر الاستعمار وسمعه وهو كاره حقود .

وأخيرا .. وفي ختام تلك الاجراءات والتشريعات المعادية للأصالة العربية والشريعة الاسلامية — جاء إعلانهم الأخذ بالمذاهب الاقتصادية والاجتماعية التى تتعارض مع المصالح الوطنية ، فضلا عن إهدارها لأحكام الدين الاسلامى

من أجل ذلك قلت ان استعداد الحكام العرب للانمياع في بوتقة المخططات والتوجيهات الاستعمارية والصهيونية كان هو العامل الأهم في حركة التطور الاجتماعي والتحرر الفكرى التى عمت العروبة المسلمة مظهراً وضميراً .

وهناك عامل آخر ينبغى أن لا ننساه .. يتمثل في اتجاهين تتابعا على الدعاة الاسلاميين او مانطلق عليهم عادة (رجال الدين) سواء منهم ذوو السلطة الرسمية ومن كان يعمل خارجها حرا ..

● الاتجاه الأول : هو توكيد رجال الدين الدعوة والوعظ في الجوانب الروحية وحدها ، واهتمامهم بالمظاهر من الآداب والسنن ، وتشديدهم على المخالفين والجاهلين . وهو اتجاه .. أبعد الناس عن الدين وصرفهم الى البحث في المذاهب السياسية والاقتصادية الحديثة .. عن أمثلة وأصول عملية لتطوير الحياة التى يعيشونها ، ويودون ان يعمها الرخاء والمساواة ومظاهر التمدن والتحضّر .

● أما الاتجاه الثانى .. فليس أقل خطراً عن سابقه ، وان كان يجرى على عكس طريقه . وهو أن رجال الدين ، أو أكثر ضَبْطاً : ان الدعاة العصريين منهم ــ اهتموا بالجوانب العملية من الاسلام واغفلوا الجوانب الروحية تماما .

والاسلام في حقيقة تشريعاته وعباداته لايقوم بروح دون عمل ، ولا بعمل دون روح ، ومن هنا كان خطأ الاتجاه الثانى كمثل الاتجاه الاولى على سواء . وكان ذلك عاملًا ، غير مقصود طبعاً من عوامل التخريب العربي فكرياً واجتماعياً .

استجابة المجتمع العربي لمخططات اليهود

أيها الاخوة الاعزة ...

ان المتأمل للاتجاهات والتصرفات التحررية في عالمنا

العربي ، بعد قراءة سطحية ، ولا نقول بعد دراسة عميقة لبروتوكولات سفهاء صهيون [1] — يرى دون اشتباه ولا التباس أن العرب يتحرَّرون ويتطورون وفق المخططات الصهيونية الهدامة — يقول البروتوكول الصهيوني — في بعض فقراته : (نحن لا نعبر غير اليهود أية أهمية ، فليلهوا ماطاب لهم اللهو حتى ينقضي الوقت ، وليعيشوا على ملذات جديدة أو في ذكرى متع سالفة ، وليعتقدوا ان هذه القوانين النظرية التى أوحينا بها إليهم ذات أهمية قصوى ، فبهذا الاعتقاد الذى تؤكده صحافتنا تزداد ثقتهم العمياء في هذه القوانين .. فنحن الذين هيأنا لنجاح داروين ، وماركس ونيتشه ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود .) .

هنا يجب أن نقف قليلا ، قبل ان نواصل ذكر بقية التوجيهات المخربة التى خططها سفهاء صهيون .. نقف لنفكِّر في اعترافهم بأنهم هم الذين هيأوا لنجاح النظريات الطبيعية ، والاجتماعية والنفسية ، والسياسية ، والاقتصادية .. التى أطلقها أمثال دارون ، وفرويد ، وماركس ، ونيتشه ، وميكافيلي وغيرهم ، ثم قولهم بصراحةٍ إنهم مدركون آثارها السيئة في أذهان غير اليهود !

● ان الفكر العربي — بلا جدال — قد تأثَّر بهذه القوانين والنظريات ذات الآثار السيئة باعتراف سفهاء صهيون ، والتى قلبت مفاهيم العرب عن السلوك النفسي ، والشعور الجنسي ،

---

(١) هم يطلقون عليها «بروتوكولات حكماء صهيون» والحقيقة : أنهم سفهاء وليسوا حكماء !!

والنظام الاجتماعي ، ومناهج التربية والتعليم ، والقوانين السياسية والاقتصادية ــ قلبت المفاهيم العربية الإسلامية القويمة السليمة عقباً على رأس !

وتبع تأثر الفكر العربي بتلك القوانين والنظريات الفواسد : التطبيق العملي لمقتضياتها ..

● ففي المحالات النفسية والاجتماعية تأثّرنا بهذيانهم عن الشعور ، واللا شعور والتحليل النفسي ، ودعوى الكبت ،وزعم الغواة منا : أن غرائزنا تعرف طريقها وانطلقت صيحات من هنا وهناك باسم تحرير المرأة .. تدعوها الى الاختلاط بالرحل في كل مكان ، والعمل في كل ميدان حتى فيما لا يلائم طبيعتها ووظيفتها كأنثى وزوجة وأم ..

● وقال القائلون منا : إن القاتل ، ومنتهك الاعراض مريض ويستحق الرحمة ، وتجب معالجته وملاطفته ، وان السجن إصلاح لا عقوبة .

● وفي مناهج التربية والتعليم عمت البساطة والسهولة والصداقة المتسامحة بين المعلّمين والطلاب ، ونودى بتيسير قواعد العلوم والآداب ، فكانت ثمرة ذلك تعطيلا لملكات الدرس والفهم والتفكير في الطلبة . الى جانب ما ألهيناهم به ، مع قصر فترة الدراسة من أنشطة سميناها اجتماعية وفنية ، ورحلات سياحية ودورات زعمناها تدريبية او تربوية بالاضافة الى تقليل حصص الدروس العربية والدينية .. حتى رأينا الطالب الثانوى لايستطيع أن يقرأ آية من القرآن صحيحة النحو سليمة الترتيل . بل لا يستطيع ان يقرأ بيتا من الشعر أو فقرة من النثر ،

مما سبق ان درسه على ايدى معلّميه ـــ الأكابر ـــ الا ان يخطىء في ذلك نحواً ونطقا ..

● وازداد الطين بلة اذ تحولت المدارس والمعاهد الى محطات اذاعة للاغاني والموسيقى لشغل وجداناتهم باللهو والطرب بدلًا من العلم والأدب ، كأن الاذاعات العربية من المحيط الى الخليج التى ترسل مجونها وفنونها ثلاثة ارباع اليوم لا تسد جوع شبابنا وطلابنا الى الاغاني والتمثيليات التى تثير الغرائز وتُخْمِد هِمَمَ الفتوة ، وتصرف عزائم الشباب الى سفساف الأمور ورذائلها .

لقد أصبحنا ـــ باختصار ـــ بعد أن وثقنا ثقةً عمياء كما أراد لنا سفهاء صهيون بنظريات دارون وفرويد واخوانهما من علماء السوء ـــ أصبحنا نلهو ماطاب لنا اللهو ، ونعيش على ملذات جديدة ، لا تقنع ولا تشبع .

* * *

ونأتى الآن الى الفقرة الرابعة من بروتوكول صهيون ففيها مزيد من البيان عن مدى تأثر الفكر العربي ، والتطبيق العملي له في مجتمعاتنا العربية الاسلامية .

فهو يدعو الى نفي فكرة (الله) من الاذهان ، والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالب المادية .. ذلك أن العقائد الدينية ـــ كما يقول البروتوكول ـــ تخضع الناس لوصاية رجال الدين ، وبذلك يعيشون في سلام ويفوضون امرهم للعناية

الآلهية السائدة على الأرض . وهم ـــ أى حكماء صهيون السفهاء ـــ يريدون للناس ان يعيشوا في صراع دائم مع جميع القوى ، وفى تنافس مستمر على المطالب المادية ، والشهوات الجنسية .

ويزيد هذه الغاية الصهيونية الشريرة ايضاحاً .. البروتوكول الخامس فهو يقول بالنص : (ولكى نطمئن الرأي العام يجب بادىء ذى بدء أن نربكه تماماً ، فنسمعه من كل جانب ، وبكل الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق ، فيدركون عندئذ أن أقوم سبيل هو أن لا يكون لهم رأي في الشؤون السياسية والسر الثانى للنجاح يقوم على مضاعفة الأخطاء التى ترتكب ، والتشويش على العادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد لدرجة يتعذَّر معها التفكير تفكيراً سليماً وسط تلك الفوضى) .

أما البروتوكول التاسع فهو يحض على سن الانظمة المتحرِّرة المتقلِّبة ، والتدخّل في التشريع والانتخابات والتحكّم في الصحافة وأجهزة الاعلام ، وتنمية الحرية الفردية . وأهم من ذلك كله ـــ كما ينص البروتوكول نفسه ـــ الاشراف على توجيه التعليم فهو المموِّل الرئيسي للحياة الحرة .

* * *

ان مجال الكلام بأن التحرر الفكري والتطور الاجتماعي في مواطن العروبة المسلمة يجريان وفق المخططات الصهيونية

الهدامة ـــ واسعٌ عريض .

ويكفى ان نضيف الى ماسبق .. عن مناهج التربية والتعليم ونظريات النفس والجنس ـــ ماتأثر به الأدب العربي الحديث من توجيهات حكماء صهيون تحت اسماء المذاهب المعروفة .. الوجودية ـــ والرومانتيكية ـــ والواقعية .. حتى غمرت المكتبات العربية البحوث والقصص ودواوين الشعر التى تخوض في الرذيلة ، وفضح أسرار البيوت ـــ وتكشف عورات الازواج ... متوجه بالأغلفة المصوَّرة الملَّونة التى تمثل الأجساد المتعانقة للرجال والنساء في أوضاع تثير كوامن الغرائز ، وتشعل شهوات الفتيان والفتيات .. حتى انعكست طبيعة الفتاة العربية تجاه الفتى ، كمطلوبةٍ منه الى طالبةٍ له باذلة نفسها إليه .. [1]

كل ذلك يجرى وفق مخططات حكماء صهيون ، وتحقيقاً لإرادتهم ، وتطبيقاً للنظريات الخواطىء عن الكتب وضرورة التنفيس عنه ، وبدعوى التحليل النفسي ، وخفايا اللاشعور ،ومايجب له من إشباع مزعوم اذ هو فى الحقيقة والواقع الملموس زيادة في التجويع والإلهاب وبالتالي الهدم والخراب .

على انه يجب أن يلاحظ هنا أن وسائل تحقيق ارادة سفهاء صهيون وتطبيق مخططاتهم .. خلال حركة التحرر العربي لم تكن يهودية بحته .. ولكن الاستعمار كان بعض أدوات

(١) حد الآن اتجاه تخريبي آخر هو مذهب الحداثة في الفكر والأدب .. وهو مذهب يجرد المسلمين من تراثهم العقائدي والأخلاقي ، ويحبسهم في هموم الحاضر وملذاته ..

التنفيذ ، كما كان العرب أنفسهم بعضها الآخر .

تقليد المجتمع العربي للحضارة الغربية

أيها الاخوة الاعزة ..

ان المجتمع العربي الكبير ، من المحيط الى الخليج ، قلد العالم الغربي المتحضر ، كما نسميه ، ولم يقلده ..

قلده في مظاهر حضارته وبهارج سلوكه ، دون اعتبار بالمرارة التى يعانيها هو من قبل ومن بعد . ودون ان يفتح عيونه وسعها على الواقع الذى يعيشه والمصير الذى ستنتهي اليه ماديته العمياء .

ولكن المجتمع العربي الكبير لم يقلد العالم المتحضرّ في اجتهاداته الاختراعية والاكتشافية في ميدان العلوم والصناعات التى قدمت للانسانية أجل الخدمات .

وكان معنى ذلك (التقليد) في المظاهر والبهارج والأشكال التوافه ، ومناهج السلوك المتحرر من كل القيود والقيم — كان معناه في مفهوم الموجِّهين والمخططين في عالمنا العربي — تطوراً — وزعموه لازماً وضرورياً ، بل نسبوه الى شعار جديد سموه : «حتمية التأريخ» وذهبوا يطلقونه بمناسبة وبدون مناسبة ، ورددوه كثيراً فرحين بأنه حجة لهم ، في حين أن «حتمية التأريخ» هذه حجة عليهم .. فما من أمة رضيت طوعاً بالإنسلاخ من عقيدتها واخلاقها ، ثم الانمساخ في عقائد سواها ، الا واجهتها — حتمية لتاريخ — بالحكم بإعدامها بموت أصالتها ومحو شخصيتها .

ولو أن المجتمع العربي الكبير فهم معنى (التطوّر) و (التحرّر) فهماً صحيحاً ، وراح ينشدهما كما تفعل الشعوب الحية الواعية ، وتسعى لتحقيقهما تدرّجاً نحو الأفضل والأكمل من المبادىء والأخلاق لا نحو الارذل ولأسفل من متع الأجساد ، وشهوات الأسماع والأبصار .

.. أقول لو أن مجتمعنا العربي الكبير أحسن الفهم لمعنى ـــ التطور والتحرر ـــ ومدارجهما المتأنية الثابتة ، وغاياتها النبيلة الجميلة ـــ لكان واقعه اليوم غير ماهو كائنه من ضعف وهوان ..

● إن التطور والتحرر ـــ في حقيقتهما ـــ نهوضٌ بمسؤولية كبرى ، وليسا متعةً وترفاً ولهْواً .

إنهما تجنيد لكافة الطاقات الشعبية لكى ترتفع بالمجتمع الى مستوى المعرفة الصحيحة ، والحكمة الناصعة ، ولكي تحقق للشعب أمْناً وعدْلًا ورخاء .. بحيث يكون قادراً على التسامى إلى كل (فضيلة) يفترق فيها الإنسان عن الحيوان ..

وهما ـــ التطور والتحرر ـــ ليسا المسخْ والسلخْ ، وإنما هما تفتح الشيء طبيعياً ، وامتداده من ذاته في نهج ذاته دون الخروج على ذلك المنهج الذاتى الأصيل .

والتطور والتحرر ـــ كذلك ـــ لا يعنيان أعمال التقيد والتنظيم والتوفيق بين مطالب الأجساد وحاجات العقول ، وهواتف الأرواح .. والا فانهما سيكونان ـــ حتماً ـــ مجرد مظاهر لامعة براقة تخفى تحتها الوهن والقذر ، والمرض المفضى الى الانهيار والدمار .

وذلك مانتوقعه ــ بدون تحفظ ــ مصيراً لمجتمعنا العربي الكبير الذى اتخذ حياته لهواً ولعبا بالمرأة ، والغناء الرقيع ، والتمثيل الخليع ، وصحافة الوسادة والسرير : ﴿**سنة الله التى خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾ [1] .

الله أكبر .. السلاح الأقوى :

ان العرب .. نسوا الله فأنساهم أنفسهم .. فقدوا أصالتهم بكل ماكانت تعنيه من شيم ومكارم وإباء ووفاء .. وأهم من ذلك أنهم تخلَّوْا عن أعظم امتياز خصهم الله تبارك وتعالى به وهو (الإسلام) الدين الذى عرف اعداؤه وجهل ابناؤه : انه «القوة» الوحيدة الفريدة التى تهزم الاستعمار غربياً كان أم شرقياً ، وترد المستعمرين على اعقابهم خاسرين ، بفضل عقيدته الغالبة وشريعته المحكمة .

وأقول : عقيدته الغالبة لأن (الله أكبر) عندما تنطلق من لسان صادق ، وقلب مؤمن ، ويتبعها عمل مخلص وجهاد في سبيل الله ــ فهي غالبةٌ لكل القوى البشرية إنسانية أو صناعيةً مهما تراءت للناس هائلة مذهلة .

● «الله أكبر» لو قالها العرب صادقين ، واستيقنتها أنفسهم ، وطهرت أيديهم ، وخلصت ضمائرهم ، وبرئت أعمالهم من فسوق وعصيان ــ لما بالوا بأمريكا وروسيا وقنابلهما الذرية والهيدروجينية وصواريخهما وأقمارهما فضلا عن

---

(١) سورة الفتح ٢٣

أن يبالوا بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

• «الله أكبر» انها تعنى ان الله أكبر من كل شيء سواه فهو أكبر من امريكا ، وأكبر من روسيا ، وأكبر من بريطانيا ، وأكبر من فرنسا ، ومن كل دول العالم الكبرى التى يهابها العرب .

ومعنى أن يقولها العرب مؤمنين بها صادقين فيها انهم يتخذون معية الله لهم سنداً وصاحباً : **﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾** ومن أقوى منه تبارك وتعالى ؟ وهو الذى اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون .

ومن كان الله معه فانه يضرب بيده ويقتل بسيفه ويمشى على بصيرته ، وينتصر بقوته : **﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾** [٢] .

ان مجتمعنا العربي الكبير ينقصه الإيمان .. الايمان بقدرة الله ومعيته ، وبحق الله عليه في ان يستمر في أداء رسالة الاسلام وتطبيقها على نفسه ، ونقلها الى غيره من المجتمعات والشعوب .

لقد أصبح مجتمعنا ماديا .. أعداه الغرب بماديته الجاهلية السافلة ، فنسى نعمة الله عليه ، وقدرته على منحها ومنعها ، ولم يعد يذكر قول الله الذى أنزله على نبيه ﷺ ، وخاطب الناس به خطاباً صريحاً .. إذ يقول : **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾** [٣] .

---

(٢) سورة الأنفال /١٧ .

(٣) سورة البقرة /٢٨٢ .

ان الله تبارك وتعالى كشف للغربيين ، على ماديتهم الملحدة أسرار الكون ، وفتح لهم مغاليق العلم ، لمجرد اجتهادهم وجدهم ولحكمته عز وجل في عمارة الدنيا وتدبير الحياة .

فكيف لو أصطحب العرب المسلمون إيمان اسلافهم وجدُّوا واجتهدوا في الاكتشاف والاختراع والبحث عن الجديد النافع من علوم الحياة وفنُونها ؟

ان الله تبارك وتعالى مع ماأسلف من عهد وثيق ووعد صادق بتعليم من يتقيه ويستقيم على طريقته المثلى ـــ أكد ذلك في مثل ضربه عن الغابرين فقال : ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾ (٤) .

كيف يكون المجتمع العربي اسلامياً ؟

والآن نبدأ الكلام عن مجتمعنا العربي كما ينبغي أن يكون ..

قلنا : ان المفروض في العرب ، من الخليج الى المحيط ان يكونوا مسلمين ، واعتبرنا العروبة فى هذا الوطن الكبير مسلمة مسؤلة عن اسلامها الذى أهملته ، واتخذت قرآنها مهجورا ، وسنة رسولها آثارا كآثار المتاحف للنظر والتفرج والافتخار .

وقلنا : ان العرب ، وقد تخلوا عن دينهم ، وفقدوا أصالتهم لم يعودوا عَرَباً ، وانما هم مقلدون فاشلون ، حيث لا عُرُوبتهم حفظوا ، ولا بدينهم اتعظوا ، ولا تقليدهم للغير أحسنوا !

---

(٤) سورة الأعراف ٩٦ .

إذن .. فما الذى ينبغي أن يكونوه لتعود إليهم شيم العرب ، وعقيدة المسلمين وعزيمتهم ؟ .

إن الأمر كما يقال : «**لن تصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ..**» وانما صلح أمر أولها بالدين القيم الذى شرعه الله على يد رسوله العربي محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه .

وسنكتفى هنا بإيجاز الأسس التى تقوم عليها فكرة الدولة فى الاسلام [٥] لنرى هل نفتقد شيئا في تراثنا الفكري والسياسي وتجاربنا عبر تأريخنا الطويل .. فنبحث عنه أو نلتمسه أو نقتبسه من الآخرين .

لا أريد أن أتصدى لفضح ديمقراطية اليونان أو الرومان في التأريخ الديمقراطي القديم ، ولا لكشف مخازى دميقراطية مايسمونه «العالم الحر» اليوم[٦] ولا لتعرية أكاذيب الشيوعية ودعواها : «أن الكادحين هم مصدر السلطان» .

فالحديث عن ذلك يطول ، والتدليل على أباطيله والتمثيل له من واقع أهله لايتسع لها المقام — على أن الكثيرين منا على بينة منه — وبحسبى ان أقول أن أسس الدولة الاسلامية التى

---

(٥) صدر للمؤلف كتاب بهذا الاسم (فكرة الدولة في الاسلام) سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

(٦) دار بين المؤلف وبين الكاتب المصري خالد محمد خالد جدال طويل حول دعوة الأخير للدول العربية بتطبيق الديمقراطية الغربية بين شعوبها زاعماً أن الانسانية لم تعرف في عمرها الطويل نظاماً أعدل ولا أفضل من الديمقراطية ، وذلك عبر صفحات جريدة «الشرق الأوسط» قبل نحو خمس سنوات .

أقامها العرب أنفسهم من قبل هى :

● أولا : ان الحاكم المسلم إنما هو خليفة الله في تطبيق شريعته بين خلقه ، فان فرط فهو عاجز ، وان أفرط فهو مستبد ، وعليه أن يدرك في يقين كامل انه ليس مالكاً للدولة الاسلامية التى يديرها ، وإنما هى مملكة الله ، وهو وكيله عليها ، يتصرف في تدبيرها وسياستها وفقاً لأوامر الله ونواهيه ، غير متجاوز لما رسمه من معالم وحدود .

وعلى المحكومين المسلمين — في الجانب المقابل — أن يبحثوا في أهلية الحاكم المسلم عن إيمانه وعمله الصالح ، وكفايته للحكم دون التفاتٍ — بعد ذلك — إلى حسبه أو نسبه ، ولا إهتمام بحالته من فقر أو يسار .

والأمثلة على حقيقة الحاكمية من القرآن وحديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وضرب الأمثال من سيرة الرسول نفسه ، وخلفائه ابى بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم ، وامراء المؤمنين من الصحابة والتابعين — كل ذلك معروف عندكم وما آرانى محتاجاً الى بسطه وبيانه .

● ثانيا : وحدة المحكومين وحريتهم : ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ (٧) ففى الدولة الاسلامية التى أختير العرب لإقامتها ، لا يستعبد القوى الضعيف ، ولا الفقير الغنى الفقير ، ولا يتخذ العامة أرباباً من دون الله ، وإنما تتساوى الحقوق وتعم بين الناس الا فيما يفضل بعضهم به على بعض

---

(٧) سورة الأنبياء ٩٢

من عمل صالح ، فللمحسن جزاؤه مهما كان جنسه ولونه ومقامه ، وعلى المسيء وزره وعقوبته ، ولو كان ابن الأكرمين بل لو كان من أهل الرسول نفسه كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم : **(والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمدٌ يدها)** . .

أما حرية المحكومين .. فقد حض عليها القرآن وصوَّرها في أكثر من آية .. كما عاب كثيراً المسيحيين لإتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، واستنكر ان يتبع الضعفاء الأقوياء على غير بصيرة ، وصوَّر مصيرهم في الآخرة في صورة الخذلان والندم والحسرات :

- **﴿إذ تبرأ الذين اتّبعوا من الذين اتَّبعوُا ورأوُا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وماهم بخارجين من النار﴾** [1] .
- **﴿ واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾** [2] .
- **﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلُّونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب وألعنهم لعنا كبيرا﴾** [3] .

---

(١) سورة البقرة ١٦٦ و ١٦٧ .

(٢) سورة غافر ٤٧ .

(٣) سورة الأحزاب ٦٧ و ٦٨ .

أرأيتم كيف يعلم القرآن الحرية للناس بمايضرب من أمثال للحاكمين والمحكومين ، والتابعين والمتبوعين ، يعرضها فى أساليب حية متحركة وبألفاظ بليغة موجزة معجزة ؟

ان الاسلام في قرآنه ، وحديث رسوله وسيرته وأقوال خلفائه وأمرائه وسيرهم ــ ينكر التبعيَّة العمياء ، ويمقت الأمعَّة الضعيف ، ويطلب الى المسلمين أن يكونوا أحراراً في مايطلبون من علمٍ نافعٍ ، ومايمارسون من عمل صالح .

وحسبنا هنا قول رسول الاسلام عليه صلاة الله وسلامه : **(لا يكن أحدكم أمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن ليوطِّن نفسه . إن أحسن الناس ان يحسن ، وان اساءوا ان يجتنب اساءتهم)** [٤] .

إلا ان الحرية الاسلامية مشروطة بشروط ، ومقيدة بقيود .. وليست شروطها وقيودها شرا ، بل هى خير وبركة للفرد والجماعة على سواء .

فالحرية الاسلامية تعنى ان يكون الانسان حراً فيما يعتقد ، وفيما يعمل . على ان يكون اعتقاده وعمله مبنيّين على علم صحيح راجح ، والا فلا حرية لجاهل او سفيه او مفرِّق لجماعة المسلمين أو طاعن في معتقداتهم ، وحاطٍّ من مقدساتهم . والحرية الاسلامية تمنح الفرد الحق في ان يقول أو يفعل مايريد .. بشرط ان لا يؤذى قوله أو فعله قريبا او صديقا او جارا . والا فأية حرية هذه التى تمنح للطغاة البغاة الذين

(٤) أخرجه ترمذي

لا يعرفون لمجتمعهم حقاً عليهم يحميه من أذاهم وقذاهم وعدواهم .

والحرية الاسلامية ــ كذلك ــ تمنع الفُساق ان يجاهروا بفسقهم ، لئلا يعطوا القدوة لغيرهم من الأغرار والبسطاء ، ولئلا ينقلب معنى الحرية الى معنى الإباحية في الإجرام والإفساد .

ولكنها تضبطهم وتلزمهم حدودا تحميهم وتحمى الناس منهم تحقيقاً لما تعارف العصر الحديث عليه من معنى «الأمن العام» أو «السلامة المشتركة» .

● ثالثا : الشورى .. وليس أدل على إلزام الاسلام ولاة لأامر بها من توجيه القرآن لنبي الإسلام نفسه .. وهو من هو صواباً وحكمةً وعصمةً ــ الى مشاورة أصحابه وتبادل الآراء ووجهات النظر معهم فيما يجلّ او يدقّ من شؤون المسلمين ..

وهل هناك أصرح وأفصح من قوله تبارك وتعالى لرسوله العربي الكريم : ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ [1] وهل أجمل وأنبل من وصفه جل وعز للمسلمين حكاما ومحكومين بان ــ أمرهم شورى بينهم .. ؟

ولكن الاسلام ، هو يقرر ــ الشورى ــ مبدأً اساسياً للحكومة الاسلامية .. لا يتملق الجماهير ولا ينافق الرعاع ، فيقول مثلا كما تفترى (الشيوعية العالمية) في دساتيرها وشعاراتها الكاذبة : (الكادحون هم مصدر السلطات) في حين يصدق على دعواها المفتراه القول العربي المشهور :

---

(١) سورة آل عمران /١٥٩ .

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً   ومامن ذاك شيء في يديه

إن الشيوعية تجمع الى كذبها واقعياً ، خطأً عقلياً إذ أن السلطات التشريعية والتنفيذية في الدولة ـــ أية دولة ـــ يجب أن يكون مصدرها العلماء والخبراء والعقلاء .

كذلك الشأن في الديمقراطية الغربية أو «العالم الحر» كما يزعمونه .. إنها ليست أكثر من مظاهر خداعة تتمثل في قوانين الانتخاب ، وصناديق الاقتراع وكراسي البرلمان . ثم لا شيء يمنع الاستبداد وسوء الاستغلال والغش والتزوير وتفوق أصحاب الجاه والثروة والنفوذ على ذوى الرأي والفضل والسداد . ثم هي ديمقراطية خاصة بأهلها .. لا يتعاملون بها مع غيرهم من الشعوب !

اما الشورى في الاسلام فهى لا تبالي بأصوات الرعاع في انتخاب الحكام ولا تحسب حساباً لهم في تكوين النظام السياسي للدولة .

وانما تبحث الشورى الاسلامية عن الحكمة والرشد والصواب عند ـــ أهل الذكر ـــ وتنهي عن إتِّباع (أهواء الذين لا يعلمون) .

ففى القرآن الكريم :

ـــ **﴿واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾** [1] .

ـــ **﴿واسأل به خبيرا﴾** [2] .

---

(١) سورة الأنبياء ٧ .

(٢) سورة الفرقان ٩

ـ **﴿ولاينبئك مثل خبير﴾** . [٣]

ـ **﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكَّر أولوا الألباب﴾** . [٤]

وقد أطلق الفقهاء على هؤلاء الذين ينبغى ان يشاورهم الحاكم في شؤون الدولة «أهل الحل والعقد» وهم في مفهوم الفقهاء : العلماء المجتهدون في استنباط الأحكام باخلاص وتجرد ، والخبراء الاختصاصيون في الشؤون العامة وذوو الرئاسلت في الناس كزعماء الاسر وشيوخ القبائل .

ولو انى أجد متسعا من وقتى ووقتكم لأسمعتكم الروائع من قصص القرآن وأحاديث الرسول ، وسير الخلفاء والأمراء المسلمين عن الشورى وبركاتها وتجاربها الناجحة . وحسبى أن أشير الى قصة غرور فرعون ومصيره المظلم كما اثبتها القرآن .. فرعون الذى كان يقول لقومه : **﴿ما رأيكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾**[٥] الى جانب قصة بلقيس ملكة سبأ ، التى نمَّت عن عقل راشد .. في قولها لقومها : **﴿أفتونى في أمرى ماكنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون﴾**[٦] وما أثمرت مشاورتها لقومها من سلامتها وسلامتهم ثم إسلامها .. **﴿مع سليمان لله رب العالمين﴾** .

إن الشورى الاسلامية تقوم اساساً متيناً لحياة طيبة يتعاون فيها الناس ، حكومة وأمة بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم

---

(٣) سورة فاطر /١٤ .

(٤) سورة الزمر /٩ .

(٥) سورة غافر /٢٩ .

(٦) سورة النمل /٣٢ .

ومشاعرهم . وبذلك تكفل الشورى لأصحابها عَدْلًا وخيْراً وحقاً وأيدْاً .. لا يتحقق بدونها لدولة كيان ، ولا يشرق على أمةٍ نور ، ولا تنزل بركة .

رابعا — حرية الاقتصاد والتجارة .. حرية مشروطة بالعدالة .. حيث يتم الاستثمار والتكسّب حلالًا بعيداً عن الاحتكار والاستغلال وأكل حقوق العمال .

فان احسن التجار كانوا مع الصدِّيقين والشهداء ، وإن أساءوا فهم الفجار — كما ورد ذلك في حديثين نبويَّيْن .

أيها الاخوة الاعزة ..

في عام ١٣٧٧ ألقيت حديثاً عن (فكرة الدولة في الاسلام) في جامعة البنجاب بلاهور ، خلال الندوة العالمية للاسلاميات التى شرفتني الجامعة بالدعوة اليها ، وعَيَّنت موضوع الحديث بعنوانه السالف .

وأود في ختام حديثى هذا ، ان انقل سطوراً معدودة من ذلك الحديث ، أكمل بها عرض الأسس والقواعد التى أقام العرب دولتهم عليها فاضلة عادلة ، فيما مضى من تأريخهم المجيد .

قلت ..

● (إن الاسلام لم يقرِّر شكلًا معيناً لحكومته ، ولم يضع تفصيلًا لها ، وانما أتى بأسس وقواعد كليةٍ عامة ، لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والإنسان ، ويمكن البناء عليها وفقا لمصالح الناس) .

وأوردت قول الإمام ابن القيم :

● (اذا ظهرت امارات العدل ، وأسفر وجهه بأي طريق كان فثَمَّ شرع الله ودينه ، وأي طريق استخرج بها العدل والقسط ، فهي من الدين ليست مخالفةً له) .

وقلت :

● (من مزايا الشريعة الاسلامية يُسْرها وتيسيرها ومسايرتها للطبيعة البشرية ، وقيامها على مصالح الناس ، وعملها على رفع المضار ودرء المفاسد ، وانقسام تكاليفها الى عزائم ورخص ، ورعايتها لمطالب الروح والجسد معاً في نطاق شرف الانسان ، وكرامة عرضه ، وحرمة ماله ودمه ، وإباحتها للأطايب من غير إسرافٍ ولا خيلاء) .

وقلت أيضا :

● (إن الحكومة الاسلامية تستطيع على ضوء ماسَّماه الامام ابن القيم ــ الفقه في الواقع وأحوال الناس ــ ان تبحث شؤون المصارف ، وتضع المناهج الضامنة للعدالة الاجتماعية والتقدم الاقتصادى في نطاق القسط الذى لا يكون معه في نظام التعامل الاقتصادى ظالمٌ ومظلوم ولا آكل ومأكول) .

وبعد .. فان مجتمعنا العربي الكبير ، من الخليج الى المحيط يعيش اليوم في دوامة صاعقة من أفكار ومذاهب ومشاعر واتجاهات مخرِّبة آتية من شرق ومن غرب ، ومن افريقيا ومن آسيا ومن شيء اسمه ــ الحياد ــ ولا حياد !

ولن ينقذ العرب من وضعهم الحائر ، ووجودهم المائر الا ان يذكروا أنفسهم التى نسوها ، ويستعيدوا اصالتهم التى أضاعوها ، فان فعلوا رجع مجتمعهم عربيَّ الفكر والوجه واللسان .

من كشمير إلى فلسطين

سادتى .. اخوانى .. [١]

رب سائل يسأل : مالنا ولكشمير ؟ وقد عرفنا قضيتها ، وعلمنا الحرب بسببها بين الهند وباكستان ؟

ورب قائل يقول : لقد مللنا الحديث عن فلسطين ، فدعونا منها ، ودعوها حتى يأذن الله بحل مشكلتها من عنده . اما نحن العرب ، فليس لها عندنا حل ظاهر ، ولا حيلة معمَّاة .

فأما بالنسبة لكشمير فالحديث عن قضيتها واجب اسلامي ، تفرضه المشاعر المشتركة بيننا ، وقد جعلت من ثورتها القائمة مأخذاً للعبرة ، ومبعثاً للعزيمة ، ومثاراً للهمم من أجل فلسطين .

واما بالنسبة لفلسطين ، فهي القضية التى ينبغى الا نملَّ الحديث عنها ، وهي المأساة التى يجب ان تظل حية في مشاعرنا واذهاننا .. لانها البداية والباب ، والمفتاح الذى انفتح به الطريق للثنائي الغادر (الصليبية والصهيونية) نحو مأساة عربية اسلامية شاملة .

أجل انها البداية ، وليست الخاتمة .. وهى الباب ، وليست الدار .. وهى كذلك — المفتاح لطامة كبرى بدأت أحداثها تتابع وحلقاتها تترادف . بل هي — قضية فلسطين — الثور الابيض !

---

(١) ألقيت هذه محاضرة في موسم ثقافي بمديرية التعليم بمنطقة مكة المكرمة بدعوة منها في ليلة من رمضان ١٩٨٥هـ .

وستقول البلاد العربية غداً : إنما أكلت يوم أكل الثور الابيض ، ان لم يسارع العرب الى عمل حاسم يستنقذون به فلسطين [٢] .

وأقطع الكلام هنا ، الى أجل يسير ، عن فلسطين ، لأروى بايجاز قصة الباعث الذى جعلنى أربط في الحديث بين فلسطين وكشمير .

لقد زرت مع فضيلة الأستاذ محمد محمود الصواف ، واخى صالح ، والاستاذ عبدالله بلخير سفارة باكستان في بيروت ، عند قيام ثورة كشمير ، في الصيف الماضى — والفضل في هذه الزيارة للاستاذ الصواف جزاه الله عن اهتمامه بشؤن الاسلام وقضايا المسلمين خير الجزاء — زرنا السفير الباكستاني في لبنان ، لنعالنه بأسانا المشترك ، وشعورنا المثيل لشعور إخواننا في باكستان وكشمير ، فيما يطلبون من حق ، ومايكافحون من عدوان الهندوك ..

وتحدثنا الى السفير ، وتحدث إلينا . وكان ترجماننا الاستاذ صلاح خورشيد العراقي الأصل ، وكان حديث السفير الباكستاني : ان بلاده لا تريد عوناً مادياً ولا رفداً عسكرياً من العرب ، إنما تبغى تأييد العواطف والمشاعر ، فهذا حسبها من إخوانها المسلمين ، العرب الذين يعانون مثل مشكلة كشمير ،

---

(٢) هذا ما حدث فعلًا .. فقد احتلت اسرائيل سنة ١٩٦٧ (أى ١٣٨٧هـ) الضفة العربية من الأردن وفيها بيت المقدس ، والجولان من سوريا ، وسيناء وقناة السويس من مصر — وفي سنة ١٩٨٢م احتلت جنوب لبنان !

ويبتغون حقاً مثل حق الكشميريين .. انها مشكلة فلسطين ، وانه حق أهلها في تقرير المصير .

ومن هنا ، من حديث السفير ـــ كان مثار الشجن ، ومبعث الذكرى ، ومأخذ العبرة .. لمأساة العرب النابضة النازفة .. مأساة فلسطين .

وقبل الانتقال الى تفصيل الحديث عن المأساة العربية نثبت للتأريخ وحده الحقائق التالية عن قضية كشمير في سطور معدودات :

● أولا : ان المملكة العربية السعودية ـــ ملكا وحكومة وشعبا ، وقفت من ثورة كشمير الأخيرة موقف التأييد الكامل لحق شعبها في تقرير مصيره ، وهب الشعب السعودي ، موظفوه وتجاره ، وطلابه وشبابه يبذلون لإخوانهم المجاهدين في باكستان ، وكشمير بعض العون المادي ، مساعفةً اخويةً لمن أصابهم بطش المعتدين الهندوك وأذاهم .

ولست أقول ذلك ، لأمن على إخوان لنا شيئاً يسيراً مما يجب لهم علينا ، ولا أقوله لأفخر بذلك ، فليس المنّ والفخر من اخلاق الاسلام ، ولاهما من شيم المسلمين ، وانما اقوله تأكيداً جديداً لوقفتنا الثابتة مع الحق ، واستمراراً متصلا لودنا الاسلامي مع اخواننا في كشمير وباكستان .

● ثانياً : أعلن المؤتمر الاسلامى الذى انعقد يوم ١٥ /١٢/ ١٣٨٤ بمكة المكرمة بدعوة من رابطة العالم الاسلامي «استغرابه وخيبة أمله أن تبقى قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٨ م معطلة بشأن إجراء استفتاء شعبى في

كشمير لتقرير مصيرها ، واستنكر المؤتمر الخطوات المتخذة من قبل الهند التى ترمى إلى ضم كشمير اليها ، عن طريق توسيع الصلاحيات الخاصة برئيس الجمهورية في الدستور الهندي ، كما دعا المؤتمر الحكومة الهندية الى ان ترعى حرية المبادىء التى تنادى بها .. في الحرية والكرامة الانسانية فتكون قدوةً في تطبيقها ، ودعا المؤتمر الدول الاسلامية عامةً والعربية خاصةً التى تربطها بالهند صداقات وعلاقات الى ان تبذل مسعاها في هذا الصدد .

● ثالثا : ان باكستان لم تجد سنداً لها في حرب كشمير ، من حلفائها الغربيين ولا من زملائها في الحف المركزى ، ولا فى حلف جنوب شرقي آسيا ، وإنما وجدت السند الأقوى والأوفى في شعبها المسلم ، الذي يدافع عن حق كشمير في تقرير مصيرها باسم الاسلام ، ويلقى مايلقى من تضحيات في المال والنفس والولد ثمناً للجنة التى وعدها الله المجاهدين في سبيله ، وسبيل الحق ، لا سبيل الأحلاف والمعاهدات والصداقات الدولية الزائفة .

● رابعا : ان هيئة الأمم المتحدة لم تحترم قرارها السابق الذى أصدرته في بداية الخلاف بين الهند وباكستان على كشمير ، في عام ١٩٤٨ — معطيةً للشعب الكشميرى حقه الانساني في تقرير مصيره بعد إجراءات استفتاء حر نزيه عن التدخل الخارجي ، وإنما وقفت الهيئة الدولية ، من هذه القضية موقفاً عجيبا .. يشى بالتحيّز المفضوح ، حين طالبت بامتناع الطرفين المتحاربين عن اطلاق النار ، وبارتداد الجنود من كلا الجيشين

الى مواقعهما الاولى قبل نشوب النزاع ـــ دون ان تقول لكمتها عن الحق في جانب من من الطائفتين يكون ؟ .. وهو الحق الدائم الثابت لكل شعب في الدنيا : أن يختار مصيره ويلتمس حريته ـــ وإنه لموقف كما أسلفت عجب .. اذ لا سند له من عقل نبيه ، ولامنطق نزيه ولا قانون عادل . فلابد في القضية ، أية قضية من حق وباطل ، ومعتد ومعتدى عليه . فأي الفريقين معه الحق فهو له . وايهما المعتدى فهو المؤاخذ المزجور .

الى هنا أختم الحديث عن كشمير ، قد اصبحت قضيتها امانة في اعناق أهلها ، وفي أيدى إخوانهم وجيرانهم في باكستان . وانهم لحاكّون جلودهم بأظافرهم ، وآخذون حقهم بسواعدهم ، وسافكون دماءهم من أجل حقهم المغتصب وفي سبيل حريتهم المسلوبة ... [1] .

فللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

---

(١) في عام ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ) توسطت روسيا بين الهند ـــ كدأبها ـــ وأجرت مباحثة (اتفاق طشقند) بين الهند وباكستان على تقسيم كشمير بين الدولتين . وحرمت شعب كشمير من تقرير مصيره ، وهو ما كانت باكستان تدعو له وتسعى إليه من حرية ... للشعب الكشميري بتقرير الاستقلال لا الضم لاحدى الدولتين .

فماذا عن فلسطين

ومن هنا أعود فأصل الحديث عن فلسطين ، بعد أن تبين من الاشارة الوجيزة عن قضية كشمير مأخذ العبرة ، ومثار الهم ومنار الاقتداء .

ان لفلسطين ، لمأساتها الدامية النازفة جانباً تأريخياً ، ولها كذلك جانب سياسي استعماري مشترك بين الصليبية والصهيونية ولابد من التذكير بالحلقات التأريخية التى كوَّنت سلسلة المأساة حتى طَورْها الاخير ، قبل الخوض في حديث سياسة صهيون واستعمار الصليب . ولن نطيل التذكير بتاريخ المشكل الفلسطيني ـــ وسوف نكتفى بسرد تاريخي سريع :

- في عام ١٨٨٢ م قامت الحركة الصهيونية لانشاء وطن قومى لليهود في فلسطين ، وصرح بذلك زعماء الحركة أمثال دافيد فريدان ـــ وايدر ـــ ولاندود ـــ وفرانكويل الذى قال : إن فلسطين وطن بلا شعب ، فيجب أن يعطى لشعب بلا وطن ، واضاف : (إن على اليهود ان يضيِّقوا الخناق على سكانها العرب حتى يضطروهم الى الخروج) !
- وبين عامى ١٩١٤ ، ١٩١٥ قدم الصهيوني هربرت صموئيل الى حكومة بريطانيا مشروعاً لتأسيس دولة اسرائيل في فلسطين تحت إشراف الانجليز .
- وفي عام ١٩١٧ صدر تصريح «بلفور» وزير خارجية بريطانيا آنذاك ـــ الذى يعد اليهود فيه بجعل فلسطين وطناً قومياً لهم ، ودخلت القوات البريطانية في نفس العام ، وفتحت

باب الهجرة على مصراعيه لليهود وساعدتهم على امتلاك الاراضي واختزان الاسلحة ، وانشاء منظمات عسكرية تحت ستار الثقافة تارةً ، وشعار الرياضة تارةً أخرى .

- وفي عام ١٩٢٠ قرر مؤتمر «سان ريمو» انتداب بريطانيا لحكم فلسطين رسميا .
- وفي عام ١٩٢١ عبت بريطانيا الصهيوني «هربرت صموئيل» صاحب المشروع الذى سبق ذكره — أول مندوب سام لها في فلسطين وبدأ صموئيل بإعطاء أخصب الاراضى الى الوكالة اليهودية ، وطرد السكان العرب من قراهم ، وسلمها للمهاجرين اليهود .
- في سنة ١٩٤٧ م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بموافقتها على التقسيم بأغلبية (٣٣) صوتاً ومعارضة (٢١) صوتاً وامتناع (١٠) دول عن التصويت .. منها بريطانيا التى خلقت المأساة بيديْها ، وصنعتها على عينيْها .
- بعد قرار التقسيم اعلنت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين في يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وقبل هذا الموعد بنحو خمسة شهور تخلّت عملياً عن مسؤوليتها والتزاماتها القانونية والادارية في فلسطين ، فساعدت بذلك على الفوضى ، وساد الاضطراب ، ونشطت العصابات الصهيونية في حربها وتخريبها وإرهابها في البلاد .
- اتفقت دول الجامعة العربية يومذاك على خوض الحرب مع اسرائيل ودخلت جيوشها فلسطين باسم ردِّ الحق المغتصب ، والحفاظ على عروبة ترابها وشعبها .

● ولكن الأمم المتحدة سارعت ، وفي مقدمتها امريكا وبريطانيا ، لوقف الحرب العربية مع اسرائيل ، وفرضت الهيئة العالمية اتفاقيات الهدنة بين الفريقين المتحاربين ، فعادت الجيوش العربية ، واحد تلو الآخر الى بلادها .

واحتفظت كل من مصر والاردن باجزاء معروفة من فلسطين [1] . وخلصت فلسطين كلها لاسرائيل .. التي استمرت في توسعها العسكرى والاقتصادى ، وظلت تعتدى على المدن والقرى العربية وتفتك بأطفالها وشيوخها ونسائها ، وتستولى على املاكهم من مزارع ومتاجر وبيوت ..

● استمرت الدول العربية تذكر فلسطين ، وتثير مأساتها في كل دورة من اجتماعات هيئة الامم المتحدة — وفي كل بيان مشترك يصدر بعد اجتماع زعيمين أو أكثر من زعماء العرب وكذلك استمرت الصحف والاذاعات العربية تُحْيي ذكرى المشكل الفلسطيني عاماً بعد عام !!

● واكتفت الجامعة العربية باقامة «معرض خاص» مزود بالبيانات والصور في مبنى الجامعة ، لتعريف زوارها الاجانب بالقضية الخالدة ، وكذلك خصصت بعض دول الجامعة «كرسيا» باسم فلسطين في جامعاتها ، وأطلقت اسمها على عدد من شوارعها ، وأفردت ركناً أو زاوية أو برنامجا في اذاعاتها لتكرار الحديث عن مشكلها والتغنّي بمأساتها !

---

(١) احتفظت مصر بقطاع غزة ، والأردن بالضفة الغربية وبيت المقدس .. ولكن حرب ١٩٦٧ مكنت اسرائيل من الاستيلاء عليها وعلى الجولان من سوريا أيضاً .

• وظلت صحافة العالم العربي واذاعاته تهاجم اسرائيل بتهويل انباء الازمات الوزارية والاقتصادية فيها كأن اسرائيل بِدْع في ذلك بين دول العالم ، وكأننا نحن العرب سلمنا من مثل هذه الازمات !! وكأن هذه الازمات بشارة بزوال اسرائيل من الوجود العربي !

• واستمر «كفاح» العرب للوجود الاسرائيلي ، على هذا المنوال ، فأنشأت الدول العربية مكاتب متعددة لمقاطعة اسرائيل اقتصاديا ، ومنع التعامل مع الشركات العالمية التى لها صلات توريد أو تصدير مع اسرائيل ولكن هذه المقاطعة لم تكن جادة فى كل وقت ، ومن ناحية اخرى تجد اسرائيل متنفسا اقتصاديا لها في دول اسيا وافريقيا .

وتمكنت اســـرائيل :

تمضى السنوات متتابعة على قيام اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم ، وتنشىء اسرائيل فرناً ذرياً ، وتصلح الكثير من أراضي النقب ، وتستقبل المزيد من المهاجرين اليهود ، وتتطور اسرائيل عسكريا وسياسيا ، وتعلن امريكا وبريطانيا وفرنسا في عام ١٩٥٠ حماية حدودها ، والمحافظة على كيانها السياسي القائم وتبدأ اسرائيل فى عام ١٩٥٦ محاولتها لتحويل مجرى نهر الاردن ، لارواء النقب من مياهه ، وتكتفى الجامعة العربية منذ بدء المحاولة بإصدار قرارات الرفض تكرّرها في كل اجتماع لمجلسها ، أو لوزراء خارجيتها أو دفاعها . واخيراً شرع العرب

في محاولة مضادة ، ولكنهم احتلفوا بعد ذلك ، فقرروا وقف العمل .. ولا يزالون مختلفين .

وأصبحت القضية خلال السنوات القريبة الماضية ، قضية تحويل لمجرى نهر الأردن ! لا قضية فلسطين كلها ، ولا قضية حقها المغتصب ، وشعبها المشرد ، بل طالب العرب .. بماذا ؟ بتنصيب قيِّم دولي للإشراف على املاك اللاجئين داخل اسرائيل .. اسرائيل التى رفضت ذلك قائلة انه يتعارض مع سيادتها القومية !

واختلفت آراء العرب :

لنقطع الآن حديث التأريخ حول قضية فلسطين ، ولنبدأ في إيجاز حديث السياسة والسياسيين ، وماطرح من آراء ونظريات وحلول ، لمعالجة المشكل الفلسطيني :

● في عام ١٣٧٦ هـ ـــ ١٩٥٦ م تحدث أمين عام الجامعة العربية ، الى مجلة (المصور) القاهرية بانه يؤيد قرار التقسيم ، الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ م ويرى أن قبول هذا المبدأ يُمهِّد لتجمع شتات اللاجئين من أهل فلسطين في منطقة واحدة من بلادهم ريثما يستعدون لتقرير مصيرهم بأنفسهم !

● وظلت الدول العربية تطالب خلال السنوات التالية لقيام المأساة في اجتماعات الأمم المتحدة والتقاءات رؤسائها الخاصة والعامة معاً ، وفي أحاديثهم الصحفية وخطبهم الاذاعية ـــ بإلزام اسرائيل بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التى

أصدرتها الهيئة الدولية خلال عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ م — وهى تتضمن إعادة اللاجئين الى ديارهم في فلسطين ، ورد أملاكهم إليهم ، ويتضمن أحد هذه القرارات التقسيم .. وثالثها يتضمن تدويل القدس !

● ورأى بعض الساسة العرب ، ومشت في ركابهم صحافتهم واذاعتهم أن الحل بيد الدول المالكة للبترول ، فإذا قطعته عن الغرب ، أو هددت بتأميمه تخلت امريكا وبريطانيا وفرنسا عن مناصرة إسرائيل وحمايتها [1] .

وفات القائلين بهذا الحل ان الدول الغربية المساعدة لاسرائيل لن تتأثَّر بتأميم البترول العربي . وسوف تجد أوروبا حاجتها منه فى إنتاج أمريكا وأوروبا نفسها وفي روسيا ، ولن تمتنع روسيا عن بيع بترولها للغرب من أجل سواد عيون العرب .

والخاسر الوحيد في عملية التأميم هذه : هو الدولة العربية المنتجة للبترول ، والتى تعتمد عليه في حياتها ، ومشروعاتها الإنمائية ، وتطورها الاقتصادي والعمراني .

● وفي عام ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م طرح اقتراح بتكوين دولة فلسطينية كي تجمع شتات اللاجئين المبعثرين داخل بعض الدول العربية او على حدودها ، وتؤلف حكومتها من ابناء فلسطين ذاتها وتشترك الدول العربية والاسلامية في ميزانية هذه الدولة ، وتمدها بالمساعدات الاقتصادية والزراعية والفنية ، وبذلك يكون لأبناء فلسطين كيان رسمى يستقرون في ظلاله ،

---

(١) في مقدمة [illegible]

ويعدون العدة للكفاح العملي الموحد ، في سبيل استرداد ماغتصب من بلادهم .

ولكن هذه الفكرة عورضت بشدة ، وزعم المعارضون أنها نصف حل لا يمكن قبوله ، وهو في ذات الوقت اعترافٌ باسرائيل .

وقال بعضهم : بالانتظار حتى تقوم حرب عالمية ثالثة ، أو حتى تتقوى الجيوش العربية ، أو حتى يقضى على التخلّف في المجتمع العربي كله !

وذهب اخرون الى القول ان الحرب مع اسرائيل غير مستحبة ، وان لا بأس بالانتظار خمس سنوات أو عشراً أو أكثر من ذلك كما انتظر المسلمون في الحروب الصليبية [١].

وعندما نتذكر — وما أكثر ما ننسى ! — اعلان الدول الغربية الكبرى الثلاث بامريكا وبريطانيا وفرنسا : حمايتها لاسرائيل وضمان كيانها الدولي (الصادر عام ١٩٥٥ — ١٣٧٥ هـ) تتجلى استحالة الحل الحربي الرسمي الذى تتمنى تطبيقه الدول العربية تجاه اسرائيل ، ويبقى معقولا ومقبولا الحل القائل بإقامة دولة فلسطينية ، تتولّى مهمة الاشتباك والاعتراك مع اسرائيل .

ولن تستطيع الدول الغربية الكبرى او الصغرى ان تتدخل بينهما ، لأن حجة التدخل الوحيدة ، لمساعدة اسرائيل وحماية حدودها — وهي اجتماع الدول العربية على حربٍ دولة واحدة — تكون عندئذ باطلة .

---

(١) القائل بهذا الانتظار هو الرئيس المصري الراحل عبد الناصر نفسه .

وتتابعت بعد هذا الرأي ، أو هذا الحل المقترح لمشكلة فلسطين ــ آراء وحلول جديدة :

● ففي عام ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩ م ـأى بعد عامين من طرح ذلك الحل ــ دعا الوزير بيير الجميل اللبناني الى اقامة دولة فلسطينية ، ودعا الدعوة نفسها اللواء عبدالكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية يومذاك ، باسمٍ جديد هو إقامة «الجهورية الفلسطينية الخالدة» !

● وفي عام ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م دعت الجمهورية العربية المتحدة ــ مصر وسوريا ــ إلى انشاء الكيان الفلسطيني ومع هذا الاتفاق ــ بعد الاختلاف ــ في وجهات نظر بعض الساسة العرب ــ لم تضع الجامعة العربية مخططاً عملياً لحل المشكل الفلسطيني خلال السنوات الماضية ، الا مااتفقت عليه مؤخراً من تسليم القضية الى منظمة التحرير الفلسطينية !

وتتابعت الأحــداث :

وهناك ــ غير هذه الآراء والأقوال المثبطة للعزائم ، والمحيبة للآمال ــ بعض الأحداث والتصرفات التى أساءت الى القضية ، وعوَّقت مسيرها نحو الحل المستطاع ، أو العلاج الممكن .

فمن الملاحظ في السنوات الأخيرة التى عاشها عالمنا العربي أن الانقلابات العسكرية ، وماصاحبها او تبعها من مبادىء أو مذاهب اقتصادية قد اثرت تأثيراً عميق المدى ، وبعيد الأمد في المشاعر العربية والاهتمام. العربي بقضية فلسطين ، وبخطر اسرائيل على العالم العربي كله .

لقد التهى العرب عن اسرائيل بالانقلابات العسكرية — في سوريا ومصر والعراق وليبيا — وتبدل الحكام وتتابع الوزارات والحكومات ، وانشغل الراى العام العربي بالمذاهب الاقتصادية التى اعتنقتها بعض الدول العربية ، وبدأت تطبيقها ، ومرت ومازالت تمر بتجاربها وآثارها بين راضٍ وساخط ، وبين محبٍ ومنكر ، وبين اتهامات تلصق احيانا بالمؤيدين ، وأخرى تلقى على المعارضين .. في الشعب الواحد في البلد الواحد ، وبين عدد من الشعوب العربية المتجاورة .

ومن الملاحظ ، ايضا — في هذه الفترة من تأريخ السياسة العربية — ان بعض الساسة العرب وبعض الزعماء الفلسطينيين انفسهم زجُّوا بقضية فلسطين في معركة النزاع بين المعسكرين الشرقي والغربي ، ظناً منهم ان الشيوعية الحمراء او الصفراء ستقف الى جانب القضية ، ولكنهم اغضبوا الغرب ولم يرضوا الشرق الا بمقدار مارحَّبوا به من مبادئه وسياساته ، اما فلسطين فهي في نظر المعسكرين غير ذات موضوع .

ذلك ان المعسكر الغربي هو الذى صنع مشكلها ، وخلق مأساتها اما المعسكر الشرقي فهو — على الاقل ومع احسان الظن به — لم يأمر بها ولم تسوءه .. بل كان اول الدول المعترفة بدولة اسرائيل [1] .

وأخيراً سلمت الدول العربية ، او سلم ساستها وزعماؤها .. قضية فلسطين الى أهلها ، بعد فوات الأوان ، سلموها الى

---

(١) مازالت روسيا حتي اليوم تعوق أي حل بطرح للمشكل الفلسطيني بواسطة حلفائها من زعماء بعض الدول العربية التي تدور في فلك الاتحاد السوفيتي !

«منظمة التحرير» التى بدأت أعمالها بالحج الى بكين ، وبفتح مكاتب لها هنا وهناك في اقصى الشرق وأدناه ، واعلنت فى أحد مؤتمراتها اعتبار القضية الفلسطينة قضية عربية محضة ، لا شأن للعالم الاسلامي بها !

وفي الواقع ان الساسة العرب منذ قيام المشكل الفلسطيني حصروه عمليا في نطاق عربي بحث ، وكل مافعلته منظمة التحرير الآن هو إعلان هذا المبدأ في مؤتمر فلسطيني رسمي .

ولاندرى ماهو السر في التهرُّب من طلب اهتمام الدول الاسلامية بالمشكل الفلسطيني ، ومساندتها السياسية والمادية للقضية ، في حين ان الدول العربية من قبل ، ومنظمة التحرير من بعد شدَّت الرحال لالتماس التأييد المعنوى والسياسي من موسكو وبكين والدول التى تسمى نفسها «غير المنحازة» أو دول عدم الانحياز دون ان تظفر بالتأييد المطلوب .



سعادة السيد امين عطاس
الأمين العام المساعد للشؤون الادارية والمالية
لرابطة العالم الاسلامي

قضية فلسطين عربية أم إسلامية

واقع المجتمع العربي

لقد لقيت أكثر من زعيم اسلامي ، وحاكم مسلم .. في آسيا وأفريقيا ، وعندما يجرى الحديث عن قضية فلسطين يقولون : إنكم أبعدتمونا عن الميدان إبعاداً ، وحرمتم شعوبنا فضل الجهاد بأرواحها وأموالها في سبيل استنقاذ شعب فلسطين المسلم من اغتصاب اليهود .

ويعلق الاستاذ جبران شامية في مقال له بجريدة (الحياة) البيروتية على جعل قضية فلسطين عربية بحته ، بأنها فقدت ركناً اساسياً فى مخطط إنجاحها لا بديل عنه (وهو يعنى اشتراك العالم الاسلامي في الاهتمام بها ومعالجتها) .

ويقول القائد عبدالله التل فى كتابه : (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) : إن إيماني لا يتزعزع بأن قضية فلسطين دينية مقدسة في المقام الأول ، وإن أية معالجة لها لا تكون على أساس ديني جهادي مكتوب لها الاخفاق لا محالة ، وإيماني بذلك مبني على تجارب عسكرية عشتها وحقائق تأريخية لمستها !

ومما يذكر فيشكر أن رابطة العالم الاسلامي أصدرت قراراً في مؤتمرها المنعقد يوم ١٥ /١٢ /١٣٨٤ ــ باعتبار قضية فلسطين قضية اسلامية ، بل هى القضية الاولى في العالم الاسلام . وان انقاذ البلاد المقدسة التى تضم المسجد الاقصى المبارك ، القبلة الاولى ، ومكان الاسراء والمعراج ، ومثوى الصحابة والتابعين ، وشهداء المجاهدين ــ اصبح واجباً شرعياً

وإنسانياً على جميع المسلمين .

وتضمن قرار الرابطة أيضا : (أن الحركة الصهيونية حركة عدوانية استعمارية واغتصابها لفلسطين يعتبر حْرباً على المسلمين وعلى المبادىء الانسانية) .

وحمل المؤتمر : الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا المسؤولية في كارثة فلسطين) .

***

وبعد .. فينبغي الآن ان نركز الحديث في أمور ثلاثة :

- الامر الاول ــ ضرورة قيام دولة فلسطينية ، على النحو الذى سلف .
- الامر الثاني ــ ان لم تقم هذه الدولة لتحمى المنظمات الفلسطينية المتعددة وتجمع حول لوائها كل الشعب الفلسطيني ، وتكون مانعاً من تدخل الدول المناصرة لاسرائيل ، والامم المتحدة ذاتها ، لصالح اسرائيل وحدها فسوف تكون فلسطين «أندلساً اخرى» في تأريخ العرب والمسلمين .
- الامر الثالث ــ ان ضياع العالم العربي ، بعد ضياع فلسطين أو بسبب ضياعها ، على حد تعبير المثل المعروف : (انما اكلت يوم اكل الثور الابيض) لا نعني به استيلاء اسرائيل على الدول العربية عملياً او واقعياً ، كما تحلم به فيما تضعه من شعار ، او ترسمه من أمل : (من النيل الى الفرات) [1] .

(١) في حرب سنة ١٩٦٧ ــ استولت اسرائيل على الضفة الغربية والقدس والجولان وسيناء ــ واستردت مصر سيناء سنة ١٩٨٠ بعد معاهدة كامب ديفيد ..

من كلمات المعلّقين

١ ــ من تعليق الدكتور محمد فوزى البشبيشي ــ المدرس المصرى ــ : ان الفلسطينيين المقيمين في البلاد العربية ، الذين ارتبطوا فيها بمصالح تجارية ، وعملية لن يضحوا بهذه المصالح الثرية من اجل الدولة الفلسطينية المقترحة !

٢ ــ من تعقيب الاستاذ رشيد العبيدى ــ المدرس العراقي ــ : أنه لابد من وحدة إلاسلامية لمواجهة أخطار الصهيونية العالمية عامة ، وتحقيق هودة فلسطين ألى أهلها العرب بصفةٍ خاصة .

وقد علق الاستاذ أحمد ابراهيم الغزاوى ــ نائب رئيس مجلس الشورى ــ بكلمة ايد فيها وجهة نظر الاستاذ العبيدى .

٣ ــ اما الاستاذ محمد محمود الصواف ــ الداعية العراقي ــ فقد عارض الدكتور فوزى البشبيشى في رأيه ، كما عارض الفكرة القائلة بأن نصف حل ممكن خير من حل مستحيل ، وأيد من ناحية اخرى الرأي المنادي بجعل قضية فلسطين إسلامية .

٤ ــ وعقب الاستاذ عبدالله عريف ــ أمين العاصمة ــ : بأنه لابدَّ من إتباع طريقة الجزائريين في حربهم مع فرنسا ــ إذا أراد العرب استرداد فلسطين من اسرائيل ، واشار الى جهاد أهالى شكمير ، في سبيل تحرير بلادهم من الحكم الهندي ، وقال إنه جهاد إسلامى عميق المعنى واسع المفهوم ، ودعا

الفلسطينيين الى الاقتداء بهم [1] .



الشيخ ابو الحسن علي الندوي
عضو المجلس التأسيس لرابطة العالم الاسلامي

(١) قامت الآن — في سنة ١٤٠٨ — داخل فلسطين انتفاضة شعبية اشترك فيها الأطفال والنساء والشيوخ ، وهم يقاومون الأسلحة الاسرائيلية الفتاكة بالحجارة وقطع الزجاج والأخشاب .

المعركة بين العرب واليهود .. في القديم والحديث

في ندوة فكرية بأحد المراكز الأدبية في المدينة المنورة دعيت للكلام عن اليهود وعدائهم للعرب قديماً وحديثاً .. [1] .

• قلت : الدارس لتأريخ اليهود — في الكتب المقدسة وغيرها — يعلم ان عداءهم لغيرهم من الأمم — عربا كانوا او غير عرب ومسلمين او نصارى انما كان بناء على نظرتهم الى هذه الأمم بعين الاستعلاء والأفضلية ، وبناءا على ايمانهم بان موسى عليه السلام هو صاحب الشريعة ، به ابتدأت وبه تنتهي ! وانهم هم شعب الله المختار ، فلا نصرانية ولا اسلام وليست النصارى على شيء ولا المسلمون ..

ومن ثم قامت بين اليهود وغيرهم من الأمم منازعات دبنية ، كانت الهزيمة والتشريد فيها عاقبة اليهود ولا نعلم — في القديم — حربا ذات بال قامت بين اليهود والعرب لمحض العربية او لمحض اليهودية ، ولا نعلم خصومات اجتماعية واقتصادية كانت تتخلل فترات السلام الطويلة بينهما ، حيث كان العرب وهم وثنيون — يرون لليهود وهم اهل الكتاب فضلا عليهم في المعارف ، وكانوا يتقيلون بكثير من افعالهم ، كما يحدثنا ابن عباس رضي الله عنهما ..

---

(١) كان ذلك في سنة ١٣٩١هـ وقد بدأ الحوار بالحديث عن مواقف اليهود مع الرسول ﷺ عند مقدمه إلى المدينة المنورة ..

وتاريخ اليهود قبل اتصالهم بعرب الجزيرة ، تأريخ كاهله — مذبذب شريد — فبعد ان اتحدوا — في ملك داود وسليمان عليهما السلام حوالى سنة (١٠٠٠) ق.م — وامتدت دَولتهم من مصر جنوبا الى آشور شمالا ، لم يلبثوا بعد وفاة سليمان ان ضعفوا ووقعوا في سلطة الآشوريين ثم البابليين . وقد دمر الملك بخت نصر اورشليم ونقلهم الى بلبل ٥٨٦ ق.م ثم عادوا اليها تحت سلطة الفرس لما حكم الفرس بابل ، ثم حكمهم البطالمة . ومنذ سقطت اورشليم في يد الرومان ، واضطهدهم هؤلاء ودمروا اورشليم عليهم سنة ١٣٥ م لم تقم لهم قائمة اذ انتشروا في مصر والعراق واليونان وايطاليا ، واصبحت اليهودية عقيدة دينية ، لا جنسية وطنية ، وتهود كثير من غير بني اسرائيل .. كعرب اليمن ووثني اوروبا الآريين ، وتجنسوا بجنسيات البلاد التى يعيشون فيها .

***

وشاء الله ان يلتقى اليهود والعرب في المدينة (اولئك فروا من حكم الرومان والبيزنطيين في فلسطين ، وهؤلاء هاجروا من اليمن بعد ان حطم سيل العرم سد مارب ، ورضي العرب بادى الراي بحكم اليهود لما كان لهم يومئذ من ثروة وسلطان وكتاب) .

ولكن السِلْم بين العرب — الاوس والخزرج — لم تطل ، فمازالوا يقتتلون فيزيد اقتتالهم سلطان اليهود بقدر مايضعف سلطانهم هم انفسهم الى ان شاء الله ان يبدل العرب بعد هجرة

النبي صلى الله عليه وسلم ــ بفرقتهم وحدة ، وبضعفهم قوة بينما كان اليهود ــ للسبب نفسه ــ في اضمحلال وانحلال وبلاء ثم جلاء ...

أما تفصيل ذلك ، فهو أن اليهود في ــ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ــ كانوا اجناسا ثلاثة : بني قينقاع وهؤلاء كانوا يقيمون بين أهل المدينة ، وكان لهم فيها من سلطان المال ما لليهود اليوم حيث نزلوا من أقطار العالم . وبني النضير ، ومنازلهم في جنوب المدينة ، وبني قريظة ومنازلهم في شمالها . وقد واثقهم النبي صلى الله عليه وسلم بعهود في حسن الجوار ، نقضوها تباعا كما حكى القرآن الكريم عنهم ذلك ﴿**ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون**﴾ . وأوحى الله إلى نبيه أن يعاملهم .. كما يعاملونه على سواء : ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين**﴾ .

كان الفصل الاول من معركة العرب واليهود الكبرى يمثل مكر بنى قينقاع بالمسلمين وايذاءهم لهم ، ومعالنتهم بالخصومة بعد واقعة بدر حسدا منهم لانتصار المسلمين ، ويعرض لنا كيف طالب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ــ بادى الراى ــ ان يكفوا ألسنتهم وايديهم ... ثم انذرهم ان يوقع بهم ما أوقع بقريش ، فسخروا وقالوا : «انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة . انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس» .

وينتهى الفصل بحصار المسلمين لهم خمسة عشر يوما ، حتى لم يخرج منهم خارج ، ولم يدخل اليهم بطعام داخل ، فاضطروا الى التسليم والجلاء الى وادى القرى (العلا) ثم الى اذرعات على حدود الشام ..

***

ويبدا الفصل الثاني بائتمار (بني النضير) بالنبي ليقتلوه .. وذلك على اثر مقتل زعيمهم كعب بن الاشرف ويعرض كيف علم النبي بذلك ، فأرسل اليهم محمد بن مسلمة ان يخرجوا من بلاده ، لنقضهم العهد ، وان اجلهم عشرة ايام فمن رؤى منهم بعد ذلك ضربت عنقه ... ثم يمثل لنا دور راس المنافقين ابن سلول في تحريضهم على الرفض والبقاء . وينتهي الفصل بمحاصرتهم عشرين ليلة ، وقطع المسلمين لنخيلهم ، حتى يأسوا وسألوا النبي امانهم حتى يغادروا المدينة فغادروها تاركين خلفهم مغانم كثيرة .

ويصور لنا الفصل الثالث انضمام اليهود (بني قريظه) الى الاحزاب في واقعة الخندق ، مع أنهم ـــ أى اليهود ـــ حلفاء المسلمين وجيرانهم !! ثم يعرض تولي الاحزاب عن المدينة بعد ان خلع الاعصار خيامهم واحلامهم . وهنا ينقض المسلمون على اليهود ، ويحاصرونهم خمسا وعشرين ليلة ، حتى سلموا وحكموا سعد بن معاذ في مصيرهم ، فحكم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال والأموال ـــ وكذلك كان .

***

ويأتي الفصل الرابع ... فنشاهد فيه ظفر العرب على اليهود في واقعة خيبر ، حيث فتحوا حصونهم واحدا تلو الآخر ، وأسروا ابنة سيد بنى النضير حُيي بن اخطب ورجع النبي صلى الله عليه وسلم معرسا بها الى المدينة .. وهى السيدة صفية رضي الله عنها .

وهنا يتبين لنا جلياً ان اعظم معركة عربية يهودية هي هذه المعركة ذات الفصول الأربعة ، التي ينتهي كل فصل منها بإجلائهم ... حيث لم يبق منهم بعد ذلك الا القليل الذين اتم اخراجهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، حيث لم يرض ان يقوم في جزيرة العرب دينان ...

اما تاريخ المعارك العربية اليهودية ، اليوم فيبتدىء بوعد بلفور سنة ١٩١٧ وقيام الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٢٣ ومنذ تلك البداية المشؤومة حتى اليوم نجد ـــ خلال هذا التاريخ ثورات عربية ضد اليهود ، قامت احداها سنة ١٩٢٠ حين ثورة العراق على الانجليز ، وقامت الاخرى سنة ١٩٢٥ حين ثورة السوريين ضد فرنسا بيد ان بريطانيا كانت تقمع هذه الحركات العربية وتنصر اليهود .

ثم في سنة ١٩٣٦ قامت الثورة العربية الكبرى في فلسطين ضد اليهود وكان من أروع مظاهرها اضراب الفلسطينيين ستة شهور ، وقيام عصابات منهم للكر والفر يقودها رؤساء مدربون شجعان قد اتخذوا مقاعدهم في مكامن الجبال والوهاد ، وظلوا يواصلون غزواتهم غير مبالين بدبابات العدو وطائراته .

وكان من اثرها ان تتالت على قضية فلسطين اللجان

الانجليزية والامريكية للبحث والتحقيق ، ثم الحكم لليهود في فلسطين بحق يساوى حق العرب ، واحيانا اكثر من حق العرب !

وفي اثناء ذلك تجددت الاضطرابات في فلسطين ، واستأنف العرب ثوراتهم أشد مما كانت عليه الى سنة ١٩٣٨ حيث اصدرت حكومة بريطانيا قراراً بحل اللجنة العربية العليا والغاء وظيفة المفتى ، والقبض على بعض زعماء العرب ولكن المفتي وبعض رفاقه تمكنوا من الفرار الى لبنان ثم الى العراق . اما الزعماء الآخرين فقد نفاهم الانجليز الى سيشل بالمحيط الهندي ثم نقل بعضهم الى رودس بجنوب افريقيا ، في اثناء الحرب الاخيرة ، ولم يفرج عنهم الا بعد انتهائها . وقد اصبح لليهود ـــ بعد هذه الحرب ـــ جيش مدرب مسلح يعرف (بالهجاناه) اى الدفاع .

***

ان اليهود انما استقووا بمساعدة مؤيديهم في اوربا وامريكا وروسيا ولو خلى السبيل بيننا وبينهم لاعدناها عليهم محمدية تقصم ظهورهم ، وتخرب دورهم .. ولكن ! ولكن ماذا ؟ لكن العرب اليوم يقولون مالا يفعلون وقد كانوا من قبل اذا قالوا اسمعوا ، واذا ضربوا اوجعوا ..

وقد شئنا ان ناتى على تاريخ اليهود والعرب قديما وحديثا ،

بهذا التفصيل الموجز ليتمكن السائلان الفاضلان من تفهم تاريخهم مسلسلا ، والحكم بان تلك المعركة المحمدية ذات الفصول الأربعة ، التى اجلت اليهود من جزيرة العرب هى المعركة الكبرى التى نتمنى ان نعيدها عليهم جذعة .

مصداقا لنبوءة رسول الاسلام ﷺ : «**لتقاتلن اليهود حتى يقول الحجر والشجر : يامسلم : ياعبدالله هذا يهودى خلفي تعال فاقتله**» او كما قال ﷺ ..

ندوة حول الزواج

خلال الفترة التي كنت أقوم فيها بتدريس مادة الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز ــ بجدة ــ عقدت الجامعة ندوة فكرية ضمت بعض الأساتذة المدرسين ، وكنت أحدهم . وكان الحوار يدور حول الزواج واختيار الزوجة ، وتعدد الزوجات ..[1]

وبدأ الحوار بين المتحدثين . وجاء دوري في الحديث عن (الزواج) فقلت : إنه رابطة طبيعية بين الرجل والمرأة . بل إن الله عز وجل خلق الذكر والأنثى من أجل أن يتزوجا ليشتركا في عمارة الكون بالاخصاب والانجاب . وهذا الواقع البشري أو هذه العلاقة الطبيعية بين الجنسين : واضحة ومؤكدة في العديد من آيات القرآن الكريم ــ بقول الله تبارك وتعالى :

- **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**
- **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..﴾** .

فالزواج ــ أو الزوجية ــ أمر طبيعي تكويني حيوي ليس بالنسبة للانسان فحسب بل هو كذلك بالنسبة للحيوان أيضا ،

(١) كان ذلك سنة ١٣٩٧هـ واشترك في الندوة الدكتور عبد الله نصيف ، والدكتور عبد الله رشوان . والأستاذ عبد المجيد شبكشي رئيس تحرير جريدة «البلاد»

بل هو كذلك لكل المخلوقات والكائنات بما فيها النبات والجماد . وهذه الحقيقة أو هذا الواقع يؤكده القرآن الكريم في قول الله عز وجل ــ وهو الخالق المدبر : **﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾** .

وما يثار في المجتمعات الانسانية من أزمات أو مشكلات حول الزواج ــ إنما هو بفعل الناس ، وانحرافهم عن الطريق السوي تفكيرا أو تدبيرا ..

ــ الناس هم المعسِّرون لأمر الزواج بين الرجل والمرأة بما ألزموا به أنفسهم من تكاليف ونفقات ثقال ، لا موجب لها ولا داعي إليها .

ــ وهم الذين كدروا صفو الحياة الزوجية بما أحدثوا من أنظمة ومناهج أخرجت المرأة عن طبيعتها ، وأبعدتها عن شريعتها . فلم تعد (زوجة) بالمعنى الذي خلقت عليه من أجل موافقة طبيعة الرجل والمساهمة معه في عمارة الكون وتنظيم الحياة وإسعاد الانسان ..

وهم الذين ضللوا عقول النساء والرجال بما افتروا من تساو بينهما في الحقوق والواجبات ، مع أن طبيعة كل من الجنسين مختلفة عن الأخرى لأنها تؤدي عملا مختلفا عن عمل الجنس الآخر .

ولن تعود المجتمعات الانسانية إلى استقرارها وهنائها .. حتى تعود الرابطة الطبيعية بين الزوجين إلى حقيقتها الأولى والأصيلة كما خلقها الله ، وكما أرادها الله ، وكما حكم الله في قوله تبارك وتعالى : **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾** .

أما اختيار (الزوجة) فقد عرفنا طريق الاختيار بما أرشدنا إليه المنهج الاسلامي في تنظيم الأسرة وبما أوضح لنا معلمنا الأول ﷺ من أهداف متعددة يهدف إليها الرجل ــ عادة بحكم ميوله ورغباته وشهواته البشرية عندما يريد أن يصطفي زوجة له من بين النساء .

يقول ﷺ **(تنكح المرأة لأربع ــ لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ولدينها ــ فاظفر بذات الدين .. تربت يداك)** فهناك من الرجال من يصطفي زوجته طمعا في مال أبيها أو مالها هي إن كانت وارثة عن أبيها مالا جما ، ومنهم من يختارها لمجرد الجمال .. لا يبحث عن خلق ولا عن حب ولا عن دين . إنه يحب الجمال فقط ــ وهناك من الرجال من يهمه أن تكون زوجته من أسرة ذات جاه وسمعة وشرف ليعتز بأصهاره الكبار .

ولكن الرسول المعلم الأعظم الذي جاء كما أعلن ذلك عن نفسه وعن رسالته ليتمم مكارم الأخلاق في الفرد المسلم ، ثم في الأسرة المسلمة ، ثم في المجتمع الاسلامي كله ينصح عليه الصلاة والسلام : أن يصطفي الرجل زوجته من ذوات الدين : إيمانا وعفة ، وتقوى وصلاحا ، واستعدادا وتأهلا لحق الزوج والولد ..

ويخطىء من يظن أن المقصود «بذات الدين» في التوجيه النبوي إلى اختيار الزوجة : أن تكون صوامة قوامة منصرفة إلى العبادة وحدها . مع إهمالها لحق الزوج والولد .

ذلك أن حق الزوج والولد هو من صميم الدين ، والزوجة

التى لا ترعى حقوق زوجها وأولادها وبيتها وأسرتها ــ ليست بذات الدين . والدين ــ الذي هو الاسلام في مفهومنا ومنهاجنا التربوي ــ ليس هو العبادة وحدها ولا العقيدة وحدها .. وإنما هو العمل والسلوك مع العقيدة والعبادة .. هو نظام الحياة كلها للفرد والأسرة والمجتمع كافة .

وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد نصح في هذا الحديث باختيار «ذات الدين» ولفت أنظار الرجال وأفكارهم وعواطفهم ــ في حديث آخر ــ إلى «**أن الدنيا : متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة**» وحدد مجالات صلاح الزوجة بأنها إذا أمرها أطاعته ، وإذا نظر إليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه .

فقد زاد الأمر توضيحا في إجابته ﷺ لموفدة النساء التي جاءته تسأله عن مقام المرأة ومصيرها بإزاء مقام الرجل ومصيره .. لأنها والنساء اللاتي أوفدنها إلى الرسول رأين ــ كما تحدثت هي بصراحة ــ أن الرجال سبقوا النساء بصلاة الجمعة ، وصلاة الجماعة ، والجهاد مع الرسول وبالانفاق في سبيل الله من أموالهم ..

.. أما هن ــ النساء ــ فقواعد في البيت لا يحضرن جمعة ــ ولا جماعة ، ولا يجاهدن في سبيل الله بأموالهن وأنفسهن ، لأنهن مشغولات بخدمة الأزواج ، وحمل الأولاد ، ورعايتهم ، وشئون البيوت وواجباتها ؟ .

وقد عجب الرسول ﷺ كما ذكرنا ذلك في حديث سابق ــ من حسن مسألة هذه المرأة في أمر دينها لمعرفة

مقامها ومصيرها وعجب الصحابة الذين استمعوا إلى حديثها ،
وكان القول الفصل الذي منح المرأة المقام العدل .. قوله ﷺ
لها : «**اعلمي ــ يا هذه ــ واعلمي من خلفك من النساء
أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله**» أى أن الزوجة
إذا قامت بواجب زوجها وحق ولدها ورعاية بيتها كما ينبغي أن
تقوم أمانة وصدق واتقان ــ فهي والرجل سواء في المقام
والمصير وفي الأجر والثواب .

اختيار الزوجة الصالحة :

والذي نريد أن نركز عليه هنا ــ برواية هذه القصة ــ ليس
هو تساوي الرجال والنساء إذا أدى كل من الجنسين ما يجب
عليه وفقاً لطبيعته ومنهاج شريعته ــ وإنما مقصدنا هنا أن نركز
على موضوع اختيار «الزوجة» الصالحة .. فالصلاح في نظرنا
هو حسن (التبعل) كما جاء في الحديث النبوي ــ أى أن تقوم
بحق بعلها . أى زوجها مودة ووفاءً ، وصدقاً في المعاملة ،
وأمانة في الحضور والغياب ورعاية لحق الولد أيضا توجيها إلى
الخير ، وتقويما على البر والتقوى .

لقد تقدم بعض الحاضرين من الشباب والطلاب بورقة ــ
بعد ختام الندوة ــ يقول فيها : إنكم تحدثتم عن اختيار الزوجة
الصالحة ــ فهل تعرض الاسلام لكيفية اصطفاء الزوج
الصالح ؟ !

● فأجبت السائل : أن الاسلام منهج للحياة كالميزان
تتعادل كفتاه أبدا في مجال التشريع ، ومجال التربية ، ومجال

الأخلاق وكافة المجالات الأخرى سياسية واقتصادية وعسكرية .

فهو — أي المنهج الاسلامي الاجتماعي — كما وضع أوصاف الزوجة الصالحة وحث على اختيارها ، وفضلها على ذات المال ، وذات الجمال — كذلك وضع أوصاف الزوج الصالح ، وقال نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام في حديث جمع بين التوجيه والتنبيه : **(إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه وأمانته فزوجوه — الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)**[1] .

فكما وجه ﷺ — في هذا الحديث — إلى قبول الخاطب ذي الدين والخلق ، نبَّه إلى أن رفضه وعدم تزوجيه مفض إلى الفتنة والفساد الكبير لأن من حق الفتاة أن تختار الزوج الصالح ، كما أعطى هذا الحق للزوج نفسه . هذا من ناحية أولى ، ومن ناحية ثانية : لأن الرجل هو القوام على شئون الأسرة ، والاهتمام بصلاحه وأمانته وديانته ، هو اهتمام بالأسرة كلها ومن ناحية ثالثة : لأن الاسلام يهدف إلى إقامة مجتمع صالح ، ولن يتحقق هذا المجتمع إلا بخطوة سابقة هي تكوين الأسرة الصالحة ، وهي لا تتحقق أيضا إلا بوجود الزوجين الصالحين أولا ، والرجل هو القوام وهو الامام ، فإذا لم يكن صاحب دين وأمانة كانت الفتنة وكان الفلت أولا في الأسرة ، ثم في المجتمع .

وهكذا تتعادل كفتا المنهج التربوي الاسلامي في اختيار

---

(١) رواه ابن ماجة . باب الأكفاء من كتاب النكاح حديث رقم ١٩٦٧ ص ٦٣٢ .

الزوج الصالح والزوجة الصالحة ليقوم البناء على أساسين متعادلين قوةً وإتقانا .

التعدد ضرورة ومصلحة :

أما (تعدد الزوجات) فقد أثار هذه المسألة ، ودعا إلى الحديث عنها سؤال إحدى الطالبات ، لماذا أباح الاسلام تعدد الزوجات ولم يبح تعدد الأزواج ؟

وسؤال الطالبة هذا ليس من عند نفسها .. فقد قرأنا عنه كثيرا في مؤلفات المستشرقين وحدثنا كثير من طلابنا الذين يتمون دراستهم العليا في بعض جامعات أوروبا وأمريكا : إن أساتذتهم هناك يلقون عليهم السؤال نفسه : لماذا لا يبيح الاسلام تعدد الأزواج كما أباح تعدد الزوجات ؟

● قلت إجابةً على هذا السؤال : إن المسألة بسيطة جداً وواضحة غاية الوضوح ، والذين يثيرونها لا يريدون معرفة الجواب ، وإنما يريدون إغراء المرأة المسلمة وحثّها على المطالبة (بالمساواة) مجرد المساواة ولو كانت النتيجة خطيئة أو جريمةً أو فساداً كبيراً في الأرض .

لأن (تعدد الأزواج ..) معناه الزنا ومعناه اتخاذ المرأة سلعةً ومتعةً لعدد محدود أو غير محدود من الرجال . ومعناه : أن الأولاد الذين تنجبهم غير معروفي الآباء .

وقد كان هذا النوع من الزواج ــ أي تعدد الأزواج ــ قائماً ومعروفاً في الجاهلية قبل الاسلام ، فكانت المرأة تعاشر عدداً

من الرجال ، حتى إذا حملت ووضعت .. اختارت هي واحداً منهم ليكون أباً لمولودها فيلحق به . وينسب إليه ، ولو كان من غير صلبه — ومن غير نطفته — في حقيقة الأمر .

● إن المرأة — كما قلت في الندوة جواباً على سؤال الطالبة — ليست كالرجل ، لأنها «وعاء» لتكوين المولود ، يجب أن يبقى هذا الوعاء نظيفاً شريفاً عفيفاً خاصاً بماء رجل واحد لينسب إليه الوليد بعد ولادته . ويكون شرعياً من ظهر أبيه لا من ظهور رجال متعددين لا يعرف هو ولا تعرف أمه إلى أيهم ينتسب ، ومن أيهم لحقه يكتسب ؟ .

والرجل — من وجهة نظر أخرى — يستطيع أن ينجب في سنة واحدة من نساء متعددات مئة طفل يعرفون أباهم ... ولكن المرأة لا تنجب في السنة الواحدة إذا عاشرت مئة رجل إلا طفلاً واحداً لا يعرف أباه !

وهذا هو الفرق الواضح بين إباحة تعدد الزوجات الذي تصان فيه الأرحام ، وتحفظ الأنساب — وبين تحريم (تعدد الأزواج) الذي هو الزنا بكل ما يعنيه من ضياع الأرحام واختلاط الأنساب .

ثم كان حديثي عن ما يثار من شبهات وافتراءات حول إباحة الاسلام لتعدد الزوجات مختصراً في الفقرات التالية — لأني فصلت القول فيه في كتابي (مفتريات على الاسلام) و (محاضرات في الثقافة الاسلامية) ولا أريد أن أطيل هذا الكلام عنه :

● أولًا : إن الاسلام لم يبتدع تعدد الزوجات ، وإنما جاء

الاسلام فوجده مشروعاً ومباحاً في الأديان والمجتمعات السابقة بصورة لا تحدد عدده ، ولا تضبطه بنظام يحفظ حقوق الطرفين ، فضبط الاسلام نظامه بتحديد عدد الزوجات بأربع نسوة ، وألزم الزوج بالعدالة بين زوجاته في النفقة والمبيت ، وحذّره القرآن تحذيراً صريحاً : ﴿.. **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**﴾ .

● ثانيا : إن تعدد الزوجات هو : مصلحةٌ للمرأة نفسها إذا كانت كبيرة السن أو مريضة ، أو عقيمة ، فمنَ الخير ألا يطلِّقها زوجها وينبذها بعد عشرة طويلة ، وبعد الولد والذرية ، وقد أعطى الاسلام الحق لمثل هذه الزوجة إذا خافت أن يطلِّقها زوجها ليتزوج بأخرى : أن تعلنه بتنازلها عن حقها عليه في المبيت ، على أن تبقى في عصمته مصونة محترمة .

وحسبنا أسوةً وقدوةً ـــ في ذلك ـــ (أمُّ المؤمنين سودة بنت زمعة) رضي الله عنها فقد تنازلت بحقها في المبيت لعائشة رضي الله عنها عندما خشيت أن يطلِّقها الرسول ﷺ فقالت له : (يا رسول الله .. لقد كبرتْ سني ، ولم تعد لي رغبة في الرجال ، فوهبتُ ليلتي لعائشة ، وإني أحب أن أحشر مع نسائك) .

● ثالثاً : من حق المرأة أن تشترط على زوجها أن لا يتزوج عليها بأخرى في عقد نكاحها ، كما أن من حقها إذا تزوَّج بأخرى أن تخالعه إذا كرهت أن تبقى معه ..

وبذلك يتجلّى واضحاً موقف الاسلام العادل الفاضل حين أبقى نظام تعدد الزوجات ، وضبطه ونظَّمه لمصلحة الرجل

والمرأة معاً بما يحفظ لكل منهما حقه الطبيعي وحقه الشرعي على سواء.

ونحن أيضاً يجب أن نهاجر !!

بمناسبة العام الهجري ١٣٩٨ ـ دعا النشاط الثقافي الطلابي بجامعة الملك عبد العزيز ـ في جدة ـ إلى اجتماع بمسرح الجامعة واستماع إلى محاضرة مني حول الهجرة النبوية وأسبابها وأسرارها وذكرياتها .

وسألني الأخ سعيد باطرفي المسؤول عن تنظيم المحاضرات أسبوعيا بالجامعة :

ما هو العنوان المختار لمحاضرتكم ؟ فقلت .. أختار أن يكون هكذا (.. ونحن أيضا يجب أن نهاجر !!)

وجاء موعد المحاضرة .. مساء الأربعاء ١٢ /١ /١٣٩٨ ـ وكان حديثي موجزا ، كان مجرد إشارات قصيرة عن أحداث الهجرة ومقدماتها وعواقبها ، وتلوت في البداية قول الله عز وجل : **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**[1]

وقلت : إن هذه الآية الكريمة تذكّرنا بالمؤامرة الكبرى التى دبَّرها المشركون حين أدركوا أن رسول الله ﷺ سوف يغادرهم إلى المدينة ، وسيجد بها المأوى الرحيب ، والمنعه والنصر من أهلها ... الذين سبق أن وفد منها وفداً أسلموا وبايعوا الرسول

---

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

عليه الصلاة والسلام على إيوائه ونصرته ...

وعلم الرسول ﷺ بمكيدة المشركين .. وما بينو له حيث اجتمعوا في دار الندوة ولم يتخلف أحد منهم ، ليتشاوروا في أمره فأشار كل واحد منهم . برأي إلى أن قال أبو جهل أرى أن نأخذ من كل قبيلةٍ من قريش غلاما نَهْداً جَلْداً ثم نعطيه سيفاً صارما فيضربونه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك كيف تصنع ؟ واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من الباب ويرصدونه ، ويريدون بياته ، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها . فأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة و خرج ﷺ عليهم ، فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرُّها على رؤوسهم وهم لا يرونه ، وهو يتلو : ﴿**وجعلنا من بينهم سدا ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾[٢]

وأصبح المشركون يسألون عن النبي ﷺ إذ لم يجدوه نائماً في فراشه .. فركبوا خيلهم وإبلهم في كل وجه يطلبونه ، وجعلوا لمن يدلُّهم عليه جُعلا : حتى أتوا على (ثور)[٣] حيث اختبأ في غار به الرسول وصاحبه أبو بكر ... وأشفق أبو بكر حين رأى القوم ينظرون داخل الغار ، فقال له ﷺ : «**لا تحزن إن الله معنا**» !!

وسجَّل القرآن هذا الموقف العصيب الرهيب في قول الله عز

---

(٢) سورة يس /٩ .

(٣) جبل في أعلى مكة .

وجل : ﴿**إلَّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيَّده بجنودٍ لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمةُ الله هي العليا والله عزيز حكيم**﴾[4] .

ومكثا في الغار ليالي ثلاثاً .. ثم خرجا في طريقهما إلى المدينة ، فجعل أبو بكر يمشي ساعةً بين يديه وساعةً خلفه ، وفطن الرسول ﷺ لما يفعله أبو بكر فسأله عن ذلك ، فقال أبو بكر يارسول الله ... أذكر الطلب فأمشي من خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك فقال الرسول : **يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني** ؟ قال أبو بكر : نعم والذي بعثك بالحق ..

وكان أبو بكر معروفاً في الناس .. فكان إذ رآه أحد يسأله : من هذا الذي معك ؟ فيجيب أبو بكر : هذا هادٍ يهديني !! يريد أبو بكر الهدى في الدين ، ويحسبه السائل هداية الطريق ...

اقترب الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر معه ونزل في بني عمرو بن عوف ، وظل فيهم بضع عشرة ليلة ، وأسس خلال هذه الأيام القلائل أول مسجد أسس على التقوى وصلى فيه .. ونزلت في ذلك الآية الكريمة : ﴿**لمسجد أُسِّس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجالٌ يحبون أن يتطَّهروا**

---

(٤) سورة التوبة ٤٠

والله يحب المطَّهرين﴾[٥]

ثم سار عليه الصلاة والسلام في ركب مستقبليه من الأنصار والمهاجرين حتى بلغت ناقته مربدا لغلامين يتيمين في المدينة فبركت عنده ، فقال ﷺ : **هذا إن شاء الله المنزل** ـ ثم دعا الغلامين ليشتري منها المربد ، فقالا يارسول الله بل نهبه لك ، فأبى إلا أن يبتاعه منهما . وأصبح موضع المربد مسجد رسول ﷺ ... حرما آمنا تشد إليه الرحال كما تشد الرحال إلى المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

* * *

هذه خلاصة الهجرة النبوية .. لم نذكر تفصيلا ولا تمثيلا لما صاحبها من أحداث وأحاديث ، لئلا نطيل الكلام . ويكفي أن نقول أنها كانت فاصلا بين العهد المكي والعهد المدني ...

العهد المكي من رسالة الاسلام كان إعداداً وتربيةً ودعوةً إلى سبيل الله ... وكان ﷺ .. يلقى قبائل العرب في مواسم الحج ـ في عكاظ ومجنة وذى المجاز ـ ليعرض هذه الدعوة المباركة عليهم ... وكان أيضا عهد الاعداد للهجرة الكبرى .. الهجرة إلى المدينة ، بعد هجرتين إلى الحبشة ...

والعهد المدني كان عهد التشريع وبيان الأحكام والحدود والآداب .. التي ينبغي أن يلتزم بها المسلمون لاقامة المجتمع

---

(٥) سورة التوبة /١٠٨ .

الاسلامي الفاضل العادل .

أما هجرتا المسلمين إلى الحبشة .. فقد كانت الهجرة الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة لبعثة الرسول ﷺ ... وكان عدد الصحابة الذين هاجروا هذه المرة اثنى عشر رجلا وأربع نسوة .. على رأسهم الصحابي الجليل ذو النورين عثمان ابن عفان رضي الله عنه ومعه زوجته رقية بنت الرسول ﷺ ...

وروي عن الرسول ﷺ أنه قال ؟ **إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام** .

ثم كانت الهجرة الثانية .. وندع ـــ احدى المهاجرات ـــ أم المؤمنين أم سلمه رضي الله عنها تقص قصتها قالت : لما ضاقت مكة بأصحاب رسول الله ﷺ حين أوذوا وفتنوا في دينهم وكان الرسول في منعة من قومه ومن عمه أبي طالب لا يصل إليه شيء مما ينال أصحابه ـــ قال لهم ﷺ : **(إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه)** .

قالت أم سلمة : فخرجنا إليها أرسالا .. حتى نزلنا بخير دار إلى خير جار . فلما رأت قريش أن قد أصبنا دارا وأمنا اجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي ليخرجونا من بلاده ، وليردنا عليهم ...

وجاء عمرو بن العاص على رأس بعثة قريش إلى النجاشي ، ومعه هدايا للنجاشي ولبطارقته ـــ فقالوا : أيها الملك : إن هؤلاء فتية سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك .. وقد بعثنا إليك فيهم آباؤهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم علينا ..

فكان جواب الملك الحبشي : لا لعمر الله .. لا أردهم عليهم حتى أدعوهم فانظر ما أمرهم ؟ إنهم قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جواري فإن كانوا كما تقولون رددتهم عليكم ، وإن كانوا غير ذلك منعتهم .

وجاء وفد المهاجرين ـــ وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ـــ فلما دخلوا على النجاشي سلموا ولم يسجدوا له . فقال لهم : أيها الرهط ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم ؟ قالوا : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ـــ قال : وماذاك ؟ قال جعفر : إن الله بعث إلينا رسولا أمرنا ألا نسجد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة ـــ فتدخل عمرو بن العاص ، وقال للنجاشي إنهم أيها الملك يخالفونك في عيسى بن مريم ـــ فقال النجاشي لجعفر : فماذا تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ فأجابه : كما قال الله هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول .

وجاء في خطاب جعفر بين يدي النجاشي قوله رضي الله عنه : (أيها الملك .. لقد كنا قوما أهل جاهلية .. نعبد الأصنام ونأكل الميته ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ـــ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ـــ وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ،

وقذف المحصنات ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ــ فصدقناه وآمنا به ... فعبدنا الله وحده ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحلسا ما أحل لنا ــ فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا .. ليردونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ــ فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا أن لا نظلم عندك) .

وبعد أن فرغ جعفر من خطبته البليغة التي صورت حقيقة الرسالة الاسلامية أحسن تصوير ــ قال النجاشي : هل معك مما جاء به محمد شيء ؟ قال جعفر : نعم ... وقرأ عليه صدر سورة مريم ... حتى بكى النجاشي وبكت أساقفته حين سمعوا ما تلا جعفر عليهم .

وصمت النجاشي لحظة ، ورفع عودا من الأرض ، ثم وجه حديثه إلى القسيسين والرهبان قائلا : والله ما يزيدون على الذي نقوله فيه . والتفت ثانيا إلى جعفر وأصحابه قائلا : مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ... أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجد في الانجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام ــ والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه !

وكان مرد عمرو بن العاص ورهطه سيئا من عند النجاشي ، فقد رد عليه هدايا قريش ، ورجعوا إلى مكة خائبين .

وهكذا كانت هجرتا بعض أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الحبشة نوعا من الاعداد والتربية والتضحية وتمهيداً

للهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة ... التي بدا معها العهد المدني ... عهد التشريع ، وتكوين الدولة الاسلامية والمجتمع المسلم .

* * *

وهناك بعض المواقف والذكريات لهجرة بعض الصحابة الأجلاء ...

كانت هناك هجرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ وهو لم يلاق من العنت والأذى شيئا في هجرته لأن المشركين كانوا يهابون قوته ــ وشجاعته ــ فقد تحدث على بن أبي طالب رضى الله عنه عن هجرة عمر فقال : (ما علمت أحدا هاجر إلا مختفيا .. إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه ــ أى ألقاها على منكبه ــ وانتضى في يده أسهما وأتى الكعبة ــ وأشراف قريش بفنائها ــ فطاف سبعا ــ ثم صلى عند المقام ركعتين ثم أتى حلقهم ــ أى ندواتهم ومجالسهم واحدة واحدة فقال : (شاهت الوجوه ... من أراد أن تثكله أمه ، وييتم ولده ، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي) فما تبعه منهم أحد .

ثم كانت هجرة صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه ، وادع صهيبا نفسه يقص قصة هجرته ــ قال رضي الله عنه كنت هممت بالخروج مع رسول الله ﷺ يوم هاجر هو وأبو بكر .. فصدني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد

فقالوا : شغله الله عنكم ببطنه ــ ولم أكن شاكيا ، فناموا ولحقني ناس منهم ليروني فانتثلت كنانتي ــ أي استخرجت ما فيها من سهام ــ وقلت لهم : لقد علمتم يا معشر قريش أني أرماكم رجلا بسهم ، وأيم الله لا تصلون إلى ، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وتخلوا سبيلي ؟ قالوا نعم !

ودلهم صهيب على موضع ماله ليأخذوه ، وخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول إلى المدينة فلما رآه قال : ربح البيع أبا يحيي ، قال صهيب : قلت يا رسول الله ما سبقني إليك أحد ، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام فأنزل الله على رسوله ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**﴾ . (١)

أما هجرة أم سلمة رضي الله عنها ... وما لقيته عند هجرتها من تفريق بينها وبين زوجها أبو سلمه وولدها ، وحبس أهلها إياها ، وانتزاع أهل زوجها لولدها منها فندعها هي تقص ذلك علينا :

لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره .. ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة في حجري .. ثم خرج بي يقود بعيره .. فلما رأته رجال بني المغيرة .. قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها .. أرأيت صاحبتك هذه . علام نتركك تسير بها في البلاد ــ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه ... وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ...

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧

رهط أبي سلمه .. فقالوا : (لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ــ قالت فتجاذبوا ابني (سلمة) بينهم حتى خلعوا يده ــ وانطلق به بنو عبد الأسد .. وحبسني بنو المغيرة عندهم .. وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة .. قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح .. فما أزال أبكي حتى أمسي .. سنة أو أقرب منها ــ حتى مر بي رجل من بني عمي فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسيكنة .. فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟!

فقالوا : ألحقي بزوجك إن شئت .. ورد بنو عبد الأسد عند ذلك ابني ..

قالت أم سلمة : (فارتحلت بعيري .. ثم أخذت ابني فوضعته في حجري .. ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة .. وما معي أحد من خلق الله ولقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فقال لي : إلى أين يابنت أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة .. فقال لي :

أو ما معك أحد ؟ قلت :

لا والله إلا الله .. وابني هذا ..

فقال عثمان : والله لا أتركك ..

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي .. فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط .. أرى أنه كان أكرم منه .. كان إذا بلغ المنزل أناخ بي .. ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استاخر ببعيري .. فحط عنه .. ثم قيده في الشجرة ..

ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله .. ثم استاخر عني وقال : (اركبي فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى دخلت القرية على زوجي ... ووالله ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمه ... وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ...)

وكان عثمان بن طلحة كافرا يوم صحبته لأم سلمه .. ومع ذلك لم يخطفها ولم يعتد عليها ، وكان له من كفره مندوحه لو أراد ، بيد أنه لم يفعل . وإذا فاته الايمان العاصم .. فلم تفته نخوة العروبة التى تعاف أسلوب الحيوان ... ثم أسلم عثمان في هدنة الحديبية .

ومن روائع الهجرة : حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها .. أو حوارها مع عمر بن الخطاب حول أصحاب الهجرة إلى الحبشة وأصحاب الهجرة إلى المدينة ــ أيهم أكبر درجات وأكبر تفضيلا ؟

دخلت أسماء بنت عميس بعد عودتها من الحبشة على أم المؤمنين حفصة بنت عمر فدخل عمر فقال حين رأى أسماء : من هذه . قالت حفصة : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ يعني العائدة من الحبشة عن طريق البحر ــ قالت أسماء : نعم ــ قال عمر سبقناكم بالهجرة ... فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم .

فردت أسماء على عمر : كلا والله .. كنتم مع رسول الله

ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار البُعَداء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ، وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ...

وجاء النبي ﷺ إلى بيت حفصة وأسماء عندها ، فقالت يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا .. فسألها الرسول : فما قلت له ؟ قالت قلت كذا وكذا فقال ﷺ : «**ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أصحاب السفينة هجرتان**» .

وبعد .. فإن موضوع المحاضرة الأساسي هو الاستفادة من ذكرى هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة — لنقوم نحن مسلمة اليوم بهجرة جديدة .. هجرة من ضعفنا ، من ذلنا ، من هزيمتنا ، من أسباب هذا الضعف والذل والهزيمة .. من مخالفاتنا وانحرافاتنا عن منهج قرآننا وسنة نبينا ﷺ .

نعم ... نحن مسلمة اليوم يجب أن نهاجر بأنفسنا — لا بأجسامنا ولا بأقدامنا إلى الله ورسوله ... إلى العقيدة السليمة والشريعة القويمة ، إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال في وظائفنا ومتاجرنا وأسواقنا ، وفي مدارسنا وجامعاتنا وفي بيوتنا وأسرنا ...

يقول صلوات الله عليه وسلم :

— **(المهاجر من هجر ما حرم الله ورسوله)**[1] .

---

(١) متفق عليه .

ــ (ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله .. فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها .. فهجرته إلى ما هاجر إليه)[2] .

ونحن مسلمو اليوم واقعون فيما حرم الله ... ويجب أن نهاجر إلى ما أحل الله ، وإلى ما شرع الله وإلى ما أمر الله ــ مع إخلاص النية : **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)**[3]

مسائل الحضور حول الهجرة :

بعد أن فرغت من محاضرتي بمسرح الجامعة تقدم الحضور ببعض المسائل والمشاكل يريدون الاجابة عليها .

لماذا هاجر الرسول خفية ؟

● سأل بعضهم : لماذا هاجر الرسول ﷺ خفية ؟ . في حين هاجر عمر بن الخطاب علنا كما ذكرت في محاضرتك .. وقد تحدى كبار القوم وهم حول الكعبة أن يتبعوه وراء الوادي فلم يتبعه أحد !

ــ فقلت للسائل : ليس معنىً هجرة عمر العلنية أن الرسول ﷺ عندما هاجر خفية أقل منه شجاعة وجراءة .. حاشا للرسول ﷺ ، فهو أشجع الناس جميعاً .. وقد كان يتصدر

---

(٢) رواه البخاري .

(٣) هذه هي بداية حديث [illegible]

الجنود في كل معركة خاضها المسلمون مع المشركين ، وكان الصحابة كما تحدث علي بن أبي طالب ـ إذا حمي وطيس الحرب ، وأحمرت الحدق يتقون به ـ ويتسترون خلفه ﷺ ..

ونكن الرسول بحكم شخصيته ورسالته ودعوته .. كان الهدف الأول والأكبر لأعداء الاسلام من المشركين ، والقضاءُ عليه قضاء على الدعوة الإسلامية كلها ، ولذلك رصدوا له عدداً من فتيان القبائل الأشداء ليقفوا له بباب بيته ويضربوه ضربة رجل واحد حتى يتفرَّق دمه في هذه القبائل المتعددة ، فيتعذَّر ويتَعسَّر على بني عبد مناف أن يطالبوا بدمه من هذه القبائل جميعاً ، ويرضوا بديته .

أما عمر .. فقد كان رجلا من رجال الدعوة الاسلامية حين ذاك وإن كان أشجَعهم وأجرأهم ، وهو الذي أخرجهم بعد أن أسلم ـ من عزلتهم في دار الأرقم ، إلا أن قريشا لا تفكِّر في قتله ، بل حتى لا تهتم بمنعه من الهجرة ، لأنه واحد من كثيرين غيره .. خرجوا إلى الحبشة وإلى المدينة .. وقتله ـ لو حدث ـ لا يفيد المشركين ، ولا يعوق حركة الدعوة الاسلامية ، ولذلك لا تهتم به قريش كاهتمامها بالرسول ﷺ .. فتركته يخرج سليماً معافى .

وقد سجَّل القرآن ـ كما أسلفنا في المحاضرة ـ مؤامرة المشركين الكبرى على الرسول ﷺ في قوله عز وجل : ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾[1] كما سجل

---

(1) سورة الأنفال / ٣٠ .

القرآن عبرة سابقة في تأريخ الرسل قبله في قصة نبي الله (صالح) عليه السلام في قوله تبارك وتعالى : ﴿**قالوا تقاسموا بالله لَنُبَيِّتَنَّه وأهله ثم لنقولنَّ لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون . ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون**﴾[1]

كما نلاحظ أن الله عز وجل ــ في قصص القرآن عن الأنبياء ــ يأمرهم أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم وبالمؤمنين من ديار قومهم المتآمرين عليهم ليلًا ــ أي خفية ، لينجوا من مكائد أعدائهم المتربصين بهم الدوائر .. وذلك في قوله عز وجل لموسى عليه السلام : ﴿**فأسر بعبادي ليلًا إنكم مُتَّبعُون**﴾[2] وفي أمره كذلك للوط عليه السلام : ﴿**فأسر بأهلك بقطع من الليل**﴾[3]

هجرة المسلمين المستضعفين اليوم ؟

● وتلقيت سؤالا من مستمع يقول فيه : في الحديث النبوي : (**لا هجرة بعد الفتح .. ولكن جهاد ونية**) فما هو المطلوب من المسلمين الموجودين في بلاد أو دول لا يستطيعون أن يقوموا فيها بواجباتهم الدينية في حرية وأمان ؟ . هل يجب عليهم أن يهاجروا إذا استطاعوا ؟

ــ قلت للأخ السائل : لاشك في أنه يجب على كل

---

(١) سورة النمل ٤٩ ــ ٥٠ .

(٢) سورة الدخان ٢٣

(٣) سورة هود ٨١ .

مُسْلِمٍ يقيم الآن في بلدةٍ أو دولةٍ غير إسلامية ، ولا يستطيع أن يؤدّي واجباته الدينية بحرية وأمان أن يتركها إلى دولة إسلامية أو أي بلد آخر يقيم فيه مسلمون يؤدون شعائر دينهم دون قيدٍ أو ضغطٍ من الدولة الحاكمة .

والملاحظ بل الملموس والمشاهد : أن دول العالم الاسلامي وغير الاسلامي أصبحت تتسع وترحب بالمقيمين فيها أو الوافدين عليها من غير أهلها .. وهناك مراكز إسلامية في أوربا وأمريكا تمارس نشاطها الاسلامي بحريةٍ وأمان ، ويجتمع المسلمون من العرب وغير العرب ، والمسلمون من الأوربيين والأمريكيين أنفسهم في هذه المراكز ولهم فيها مدارس ومساجد وأندية .. يمارسون خلالها الأنظمة والأعمال المختلفة .

كيف نهاجر من أوضاعنا الحاضرة ؟

● وسألني أحد الحضور قائلا : لقد دعوتنا إلى الهجرة من أوضاعنا الحاضرة .. التي تتمثَّل في مخالفاتنا وانحرافاتنا عن الاسلام .. فهل تشمل هذه الهجرة الجديدة (الشبهات) مع المحظورات الصريحة ؟

ــ فقلت للسائل : نعم هجرتنا الجديدة التى ندعو إليها تشمل كل مخالفة وكل انحراف عن سبيل الله وسبيل رسول ﷺ .. بما في ذلك الشبهات ، فالرسول ﷺ يقول لنا في حديثه الصحيح الصريح : (**الحلال بين والحرام بين .. وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس .. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في**

الشبهات وقع في الحرام)[٤] كما يقول لنا ﷺ **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**[٥]

وهناك في الفقه الاسلامي قاعدة : (سد الذريعة) أى وجوب الامتناع عما هو حلال ومباح إذا كان يؤدي إلى الحرام والمحظور .

متى أسلم نجاشي الحبشة ؟

• وهذا سائل يسأل : هل أسلم النجاشي بعد خطبة جعفر بن أبي طالب بين يديه ؟ وكيف كان ذلك ؟

ــ قلت للسائل : كتب الحديث والسيرة النبوية تروي ما يدل على إسلام النجاشي ، فقد روى ابن كثير ــ في البداية والنهاية ــ أن النجاشي بعد أن سمع كلام جعفر أخذ عوداً وقال : والله مازاد ابن مريم عليهما السلام على هذا وزن هذا العود ــ فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنَّك ؛ فقال : والله لا أقول في عيسى عليه السلام غير هذا أبدا ، إن الله ما أطاع الناس حين رد عليَّ ملكى أفأطيعُ الناس في دين الله ؟

وفي رواية الامام أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها : أن النجاشي قال لجعفر : هل معك مما جاء به محمد عن الله شيءٌ . قال : نعم .. ثم قرأ صدر سورة (مريم) فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا

---

(٤) متفق عليه

(٥) صححه الحاكم وابن حبان والترمذي .

مصاحفهم .. حين سمعوا ما تلا عليهم جعفر مِن القرآن .

ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة» .

وفي رواية أخرى للإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه ـــ وهو من المهاجرين إلى الحبشة في وفد جعفر بن أبي طالب ـــ أن النجاشي بعد أن سمع حَدِيثَ جعفر عن عيسى بن مريم كما جاء في القرآن الكريم ـــ قال لهم : مرحباً بكم ، وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجد في الانجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ـــ إنزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه) .

وفي رواية الطبراني : لأتيتُه حتى أقبِّل نعليْه) .

وهناك رواية ابن عساكر عن جعفر نفسه : أن النجاشي قال له عند سفره : أخبر صاحبك ـــ أي الرسول ﷺ بما صنعت إليكم ، وهذا صاحبي معكم .. أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لي» .

ثم يقول جعفر : فقام رسول الله ﷺ .. فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات : اللهم اغفر للنجاشي ، فقال المسلمون : آمين ـــ قال جعفر فقلت لرسول النجاشي : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله» .

وهكذا تتآزر كتب السيرة والحديث النبوي على تأكيد إسلام النجاشي واستغفار الرسول ﷺ له .

موقف النجاشي من المهاجرين ؟

● وبعث اليّ الأخ عبد الله الخشرمي بورقة يقول فيها : يرى بعض المفكرين أن موقف النجاشي من وفد المهاجرين إليه من المسلمين يعد أعظم تقارب بين المسيحية والاسلام ــ فما رأيكم في ذلك ؟

ــ قلت للأخ السائل : هذا صحيح بالنسبة للمسيحية الأصيلة .. التي لم تتبدل ولم تُحرَّف .. وهي التي عبَّر عنها النجاشي نفسه حين قال : إن عيسى عليه السلام لم يزد على هذا ــ أي الذي قاله جعفر عن الإسلام وكتابه ورسوله ــ وزن هذا العود ، وشهد بأنه رسول الله الذي بشَّر به عيسى نفسه في الانجيل .

ولكن المسيحية المحرَّفة .. التي يتبعها المسيحيون الآن لا تعترف بمحمد ﷺ ولا بالقرآن ، كما أنها تجعل من عيسى ثالث ثلاثة ، والقرآن يقول : **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ..﴾**(٧)

فأي تقارب يرتجى بين المسيحيين والمسلمين ؟ والفارق أو الفاصل بل الحاجز بين الطائفتين بعيد وعميق .. ليس في الشريعة وحدها ، ولكن فيما هو أهم وأخطر وأعظم .. في (العقيدة) حيث أن تأليه عيسى عند المسيحيين يعد شركاً وكفراً عند المسلمين كما قررت ذلك الآية السابقة والآية الأخرى التي تؤكد المعنى نفسه : **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو**

---

(٧) سورة المائدة ٧٣

المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ..﴾[8] .

هذا من ناحية العقيدة .. أما من ناحية الواقع والتأريخ الماضي والحاضر فإن مسلمي الحبشة أنفسهم يعانون اضطهاداً ظلماً وتقتيلاً من السلطات المسيحية في أثيوبيا منذ حكم هيلاسلاسي حتى اليوم ــ والأخبار الصحفية والاذاعية تفيض بذلك دائماً .. كما أن المسلمين في الفلبين وتايلاند وغيرهما من الدول النصرانية يقاسون مثل ذلك .

ماذا فعل المشركون بعلي بن أبي طالب ؟

ــ وسألني ــ في أعقاب المحاضرة ــ أخ كريم عما فعل المشركون الذين كانوا يتربصون بالرسول ﷺ ليقتلوه فلم يجدوه على فراشه ؟ ماذا فعلوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ وهل رأى الرسولَ وأبا بكرٍ وهما في الغار أحد من المشركين ؟

ــ قلت للسائل : لم يفعلوا شيئاً بعلي رضي الله عنه ، وإنما سألوه عن النبي ﷺ فأجابهم : لا علم لي به ، فعرفوا عند ذلك أنه خرج فركبوا في كل وجه يطلبونه ــ على النحو الذي تحدثنا به عن مخرجه وملاحقة قريش له ﷺ .

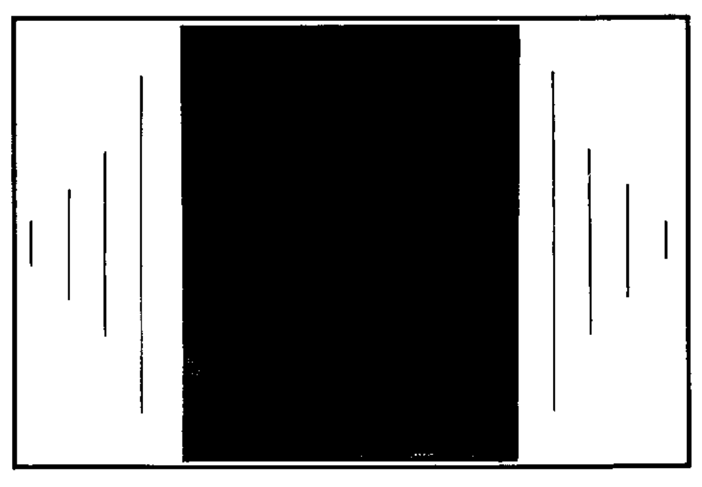
وتحدث عليّ عن هجرته بعد رسول الله ﷺ فقال : أمرني رسول الله أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس ، ولذا كان يسمَّى الأمين .

---

(8) سورة المائدة /72 .

أما عن رؤية أحد من المشركين للرسول وأبي بكر في الغار ــ فقد روت كتب السيرة والحديث : أن أبا بكر قال للرسول ﷺ حين رأى رجلا مُواجهاً للغار : يا رسول الله إنه يرانا : فقال ﷺ : «**كلا إن ملائكةً تسترنا بأجنحتها ..**»

وروت كتب السيرة والحديث أيضا : أن أبا بكر رضي الله عنه قال للرسول ﷺ : لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال : «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟**»



الشيخ محمد محمود الصواف
عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي

نحو علم نفس إسلامي

سعدت بدعوة كريمة من معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني مدير جامعة الملك فيصل ــ بالدمام ــ ثم سعادة وكيل الجامعة الدكتور محمد تركي التركي ــ إلى إلقاء محاضرة في موضوع «علم النفس الحديث مقارنا بعلم النفس الاسلامي» . وشاء الله فتم اللقاء بالاخوة الأحباء هناك يوم ١٠ / ١ / ١٤٠١هـ .

وتحدثت إليهم مباشرة ــ كعادتي ــ دون اعداد كتابي ، مكتفيا بالاستعداد الذهني ، وبما تثيره مسائل الحضور في أعقاب المحاضرة من هوامش وملاحق فيما يسميه علماء النفس «تداعي المعاني» .

قلت في بداية المحاضرة :

إن الانسان المسلم ــ في عصرنا الحاضر ــ تائه حيران لما يسمع أو يقرأ من نظريات وآراء غريبة عن النفس البشرية والدافع الأول أو المؤثر الاخوى في سلوكها مع رفاقها من الناس ، وتصرفاتها في الحياة مأكلا ومشرباً عملاً وزواجاً .

ولو أن هذا الانسان المسلم ــ وبخاصة المدرسين وطلابهم ــ يقرأون القرآن ، ويتأملون الحديث النبوي .. لأدركوا أن هذه النظريات الغربية في علم النفس غريبة عن طبيعتهم ، وبيئتهم ، وعقيدتهم ، ولعلموا علم اليقين : أنها لا تؤلف منهجاً علمياً حكيماً ، ولا ترسم طريقاً سليماً .. يستطيع الانسان أن

يسلك بهما ـــ في حياته ـــ سلوكا قويما .

ولكن القرآن ـــ مع الأسف الشديد ـــ مهمل عند أكثريتهم ، ومدرسة النبوة مهجورة منهم . وربما كانوا يقرأون القرآن بأفواههم ، ويستمعون الحديث النبوي بآذانهم .. دون تأمّل وتفكّرٍ بالعقول .

النظريات الغربية لعلم النفس :

● إن نظريات علم النفس الغربية : أشتات واخلاط وتناقضات فيما بينها ، يضرب بعضها بعضاً ، بالإضافة إلى كونها منبعثة من بيئة مختلفة عن البيئة الاسلامية ، فهي ـــ بالتالي ـــ حاكمة على تصرفات وأخلاق لا يمارسها المسلمون الحقيقيون ..

ونضرب المثل ـــ بإيجاز ـــ «فرويد» .. الذي يرى أن الانسان موجَّه بغريزته الجنسية منذ طفولته ـــ و «ماركس» الذي يرى أنه موجَّه ببطنه .. أي أن دافع الجوع فيه هو المؤثّر الأول في سلوكه ، ومن هنا جاءت دعوته إلى الشيوعية الاقتصادية والأخلاقية ـــ و «دور كايم» الذي يرى أن الانسان كالحيوان عضو في قطيع كبير ، فهو تابع لهذا القطيع ، خاضع لتوجيهه فيما يسمَّى «بالاستهواء الجماعي» • «دارون» الذي يرى في نظريته عن النشوء والارتقاء أن الانسان خَلْقٌ متطورٌ عن أصلٍ قردي ..

ويتفرع عن نظرية فرويد في «التحليل النفسي» قراره الحازم بأن تسعة أعشار تصرفات الانسان عن «اللاشعور» وعُشْراً

واحداً هو الذي يصدر عن «الشعور» أو فيما يسمُّونه «العقل الظاهر» و «العقل الباطن» وما يطلقون عليه أحياناً «الوعي» و «اللاوعي» .

وقد ترتب على نظرية فرويد عن اللاشعور أو اللاوعي المتحكِّم في سلوك الانسان بنسبة تسعة أعشار أن أنكر حرية الإرادة فيه .. أي أن الانسان يرتكب ما يرتكب من مخالفات أو انحرافات وحتى الجرائم الكبرى كالقتل والزنا ، بغير إرادته .. بوحي من «لاشعوره» أو دافع من «لاوعيه» .

● ويزعم فرويد — تعريفاً لهذا التخريف — أن اللاوَّعي قديم في النفس وثابت وأصيل . أما الوعي فهو حادث فيها وطارىء عليها .. أي أن الأصل في الانسان الجنون والخبط والتصرّف غير المسئول .

● ومن هنا نجد التسامح التشريعي أو القانوني سائداً في المجتمع الغربي — أو الأوروبي — المتأثر بنظرية فرويد مع المجرمين من قتله ولصوص وزناة — هؤلاء المروِّعون لأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم فلا قصاص عاد لا ينزل بهم ، ولا عقوبة رادعة تمنع جرائمهم ، وتعطي العظة الزاجرة لغيرهم .

ومن هنا أيضا — نجد اهتمام مؤلفي الكتب النفسية في الوسط المسيحي بالدافع الجنسي وحده ، وما ينجم عنه من مشكلات عند الأطفال والشباب .. اهتماما يرجع إلى أثر البيئة الأوروبية والأمريكية التي تمتاز بحرية العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى ، ووجود المراقص والمسابح العامة التي يختلط فيها الجنسان ، وتنكشف عبرها مفاتنهم ومواطن الشهوات

فيهم .. ويتبادلون القبل والعناق علنا دون استحياء من الآباء والأبناء والأمهات والبنات .

.. فيتساءل هؤلاء الأطفال عن أسباب هذه المشاهد الجنسية وحقائقها ونتائجها .. وتترتب عليها العقد النفسية لديهم ، ومركبات النقص ، والمشاعر المكبوتة .. الأمر الذي يدفع بمن يسمونهم «علماء النفس» عندهم إلى التركيز على أن «الجنس» هو كل شيء في سلوك الانسان كما زعم شيطانهم الأكبر «فرويد» .

على أن فرويد هذا ما سلم من معارضين لفكرته ، وناقضين لدعوته ، فهذا «إيدلر» يُنْكِر أن الغريزة الجنسية هي الدافع الأول والأقوى لسلوك الانسان ، كما لا يعترف بما قاله فرويد عن المشاعر المكبوتة (اللاشعور) كمؤثر قوي في تصرفاته وانحرافاته .

● ويذهب إيدلر مذهباً آخر فيؤكد أن (إرادة القوة) هي الدافع الأول لكل إنسان نحو ما يفعل وما لا يفعل ويحتج إيدلر لنظريته بأن كل إنسان يُحِبُّ أن يكون قوياً .. الشاب والشيخ والغني والفقير — حتى المرأة تريد أن تكون قوية إذ تحاول جاهدة أن تقلد الرجل في قوته مظهراً ولباساً وحديثاً .. وربما رأينا بعض الزوجات يحاولن أن يفرضن كلماتهن وآرائهن على أزواجهن ليظهرن كالرجال .

● في حين يرى «شوبنهور» أن إرادة الحياة «هي دافع الانسان الأقوى إلى العمل والاجتهاد والتفوق بحثاً عن الرزق والجاه والسعادة .

وهكذا نرى التناقض كما أسلفنا واضحاً والاختلاط بيِّناً بين هؤلاء الذين نسمِّيهم «علماء النفس» فيما ذهب إليه كل واحد منهم من رأي حول سلوك الانسان في حياته .. وبين إخوانه وجيرانه ومواطنيه .

وإذا أردنا تقويم هذه النظريات النفسية بميزان العقل الانساني ، وتجارب الواقع الاجتماعي وجدنا أن التعميم أو الشمول الذي زعمه كل واحد منهم لنظريته هو خطؤها البيِّن ، وعيبها الفاضح .

فقد يكون الدافع الجنسي ــ في إنسان ما ــ هو المؤثِّر الأقوى في سلوكه ، ويكون حب المال دافعاً أقوى لانسان آخر ، وتكون إرادة القوة باعثاً عنيفاً في سلوك إنسان ثالث ــ كما تكون إرادة الحياة عاملاً فعالاً في سلوك إنسان رابع ــ وهكذا تختلف المؤثِّرات باختلاف حاجات النفوس وطاقاتها وغاياتها ، وبيئاتها التي نشأت ونمت فيها .

فكل إنسان يسعى جهده ــ ويتكَّيف سلوكه في مسعاه ــ من أجل استكمال ما ينقصه ؛ فالجاهل يستزيد من العلم ، والفقير يستزيد من المال ، والضعيف ينشد كل ما يضفي على مظهره القوة والجاه ، والمريض يطلب أسباب الصحة والعافية . وبتعبير علماء النفس : هناك «عقدة» نقص عند كل إنسان .. ولكنها تختلف من فردٍ إلى فرد وبالتالي يختلف دافعه الأقوى وعامله الأول في تصرفاته ومسالكه .

.. ويؤكد ما ذهبنا إليه من تناقض نظريات علم النفس الحديث ، وخطأ أصحابها في تعميم كل واحد منهم لمذهبه

في جعل كل الناس خاضعين لنظريته ، ومشمولين بحكمه ، ملزمين بتوجيهه — يؤكد ذلك الزيغ أو الانحراف والتناقض التعرض أيضاً : ما ذهب إليه خبراء الإرشاد النفسي من أنه لا يوجد منهجٌ واحد أو طريقة واحدة لحل مشكلات الناس كلها .. تماماً كاختلاف الداء من مريض إلى مريض يقتضي اختلاف الدواء ، بلا جدال .

علماء الارشاد النفسي مختلفون أيضاً :

إن خبراء الارشاد النفسي هؤلاء افترقوا في مناهج معالجتهم لمرضى النفوس الذين تخصصوا في دراسة أدوائهم أو انحرفات سلوكهم النفسية . فمنهم من يرى أن الطريق الصحيح ، أو الأسلوب الناجح في شفاء مريضه النفسي ، هو التركيز على السمات والمعالم التي تحدِّد سلوك الانسان ، ثم تحليل المعلومات الخاصة به ، مما يعين على اكتشاف مزاياه وإمكانياته ، ومن هنا يسهل تقويمه وتوجيهه الوجهة الصالحة النافعة ..

وهذه النظرية — نظرية التركيز على السمات والمعالم — تؤكد لنا اختلاف فرد عن فرد في سماته ومعالمه .

● وهناك نظرية التركيز على (الذات) لا على المعالم والسمات كالسابقة — وهي تعلل اتجاهها بأن الذات هي أساس نموِّ الفرد وتختلف من إنسان إلى انسان .. وفقاً لثقافة كل منهما ، وتبعاً لخصائص وسطه الاجتماعي .

وهي تعني إعطاء الفرصة للمريض النفسي بأن يعبِّر بحرية

كاملة عن ذاته ، وعلى المرشد النفسي أن يهيِّىء الجو المناسب لمريضه من دفء وفهم وتقبل وترحيب ، دون نقد أو اعتراض وبذلك يتقدم المريض النفسي نحو التعلُّم والتكيّف الجديد بنجاح تام .

● ونظرية ثالثة تطالب بالاتجاه السلوكي ، وتهتم بملاحظة سلوك الفرد وتصرفاته ومعرفة أسبابها ودوافعها مع الاهتمام بالبيئة الخارجية .. لأنها ــ في رأي صاحب هذه النظرية ــ ذات أثر فعَّالٍ في تشكيل سلوك المريض .

● والنظرية الرابعة ، في الإرشاد النفسي ، تركز على الاتجاه الوجودي .. أي أنها تهتم بدراسة الانسان ككائن وموجود قابل للتطور ومستعد للتغير ، وهو بهذا الاعتبار يستطيع إصلاح سلوكه وتنمية إمكانياته . ومعرفة حقيقة نفسه ونفوس الآخرين .

وأنا لم أعيِّن أسماء أصحاب هذه النظريات .. اكتفاءً بالإحالة ــ في نهاية البحث ــ على المراجع . ورجاءً للإيجاز وعدم إملال المستمع أو القارىء .

ولكن سأذكر النظرية الخامسة باسم صاحبها ، لأنها معروفة به ، و هو معروف بها ، وهي نظرية التحليل النفسي «لفرويد» وتعني بالاهتمام أولًا وقبل كل شيء بمعرفة السنوات الأولى لحياة الانسان ودراسة (اللاشعور) أو (اللاوعي) في نفسيته ..

وهي نظرية معترض عليها ــ كما أسلفنا ــ لأنها ترد تسعة أعشار تصرفات الانسان إلى (اللاشعور) وتشمل أحكامها كافة البشر بلا تمييز ولا تفريق .

وهكذا نجد أن علماء الارشاد النفسي اختلفوا في مناهج

معالجتهم للأمراض النفسية اختلافا يؤكد أن هؤلاء المرضى لنفسيين تختلف عوامل انحرافاتهم النفسية ، والمؤثرات في سلوكهم الاجتماعي ودوافع تصرفاتهم ، وأنها لا تتفق على دافع واحد ، أو لاتتحد في مؤثر مشترك بينهم جميعاً .. كما زعم فرويد وإدلر وشوبنهور وغيرهم .

اختلاف آخر بين علماء النفس :

وهناك اختلاف آخر بين علماء النفس وخبراء التربية والتعليم ــ ويتركز هذا الخلاف على نظرية (فرويد) في التحليل النفسي واعتمادها على (اللاشعور) وحده في التشخيص والعلاج .

والقضية المختلف عليها : هي مقدرة الأطفال والفتيان على قبول بعض المواد الدراسية وهضمها جيداً وفهمها تماماً .. واختلاف هذه المقدرة من طفل إلى طفل ومن فتى إلى فتى .

فالقائلون بنظرية (فرويد) في التحليل النفسي يردون تخلف بعض الأطفال والفتيان في مادة الحساب ــ مثلا ــ أو الهندسة إلى شعورهم بالتسامي على هذه المادة . فهم يقاومون الإقبال عليها بالرفض .. الذي يؤدي إلى سوء الفهم .. تماماً كما يتسامي الرجل الفقير ــ بزعمهم ــ استكباراً على الأغنياء والوجهاء ، كتعويض عن مركب النقص فيه .

أما خبراء التربية والتعليم فيردون هذا الضعف أو العجز عند بعض الطلاب إلى اختلاف الكفاية العقلية وتباين الملكات الذهنية والاستعدادات الفطرية عنده .

ولاشك عندي أن تعليل هؤلاء المختصين بالدراسات التربوية والتعليمية ــ هو الحق والصواب ، والواقع فعلا في التكوين العقلي لدى الطلاب .

وهنا نقف قليلًا لنتأمَّل الحكم الاسلامي ــ في مدرسة علم النفس القرآني ــ في هذه القضية حيث يقول الله عز وجل ، وهو الخالق المدبِّر في آيات متعددات :

- **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ..﴾**[1]
- **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ..﴾**[2]
- **﴿إن سعيكم لشتى ..﴾**[3]

فلو استوى الناس في قدراتهم العقلية ، وانفعالاتهم العاطفية ، ورغباتهم النفسية ــ لما رأينا اختلافا في اتجاهاتهم العلمية .. بعضهم نحو الطب ، وآخرون نحو الهندسة ، وفريق ثالث نحو الآداب واللغات ، وفريق رابع نحو العلوم الأخرى ..

.. ولما وجدنا على سطح الأرض ــ وبين يدي الأنبياء والمصلحين : كفاراً ومؤمنين ، وفُساقا وطائعين ، وأوساطاً معتدلين ، وسابقين إلى الخيرات .. فائزين بأعلى الدرجات .

---

(١) سورة الزخرف /٣٢ .

(٢) سورة فاطر /٣٢ .

(٣) سورة الليل /٤ .

مسؤولية رجال التربية والتعليم :

وهنا نتحدث بإيجاز عن علم النفس الاسلامي ــ ونقول في البداية : إن اللوم الشديد يلقى على المشتغلين بوظائف التربية والتعليم في مدارسنا وجامعاتنا العربية والاسلامية عامةً لأنهم المسؤولون ــ بالدرجة الأولى ــ عن الانصراف عن دراسة النفس البشرية على ضوء القرآن والحديث النبوي ، وهم المسؤولون أيضا عن تعريف الشباب والطلاب بنتيجة دراستهم لمناهج علم النفس الاسلامي .. لكي تذهب عنهم حيرتهم أو غفلتهم ، ويخرجوا من التيه الذي يعيشون فيه .. مذبذبين بين نظرية فرويد الجنسية ، وماركس الاقتصادية وداروِن الحيوانية .

إن القرآن الكريم يتحدث عن النفس الانسانية ، وصفاء فطرتها ، واستعدادها لقبول التوجيه إلى الخير أو الشر ــ فيقول :

- **﴿ونفس وما سواها ۞ فألهمها فَجُورَها وتقواها﴾**[1]
- **﴿يا أيها الإنسان ۞ ما غرَّك بربك الكريم ۞ الذي خلقك فسوَّاك فعَدَلَك ۞ في أي صورةٍ ما شاء ركبك﴾**[2]
- **﴿ألم نجعل له عينيْن ۞ ولساناً وشفتيْن ۞ وهديناه النجديْن ..﴾**[3]

---

(١) سورة الشمس ٧ و ٨ .

(٢) سورة الانفطار ٦ و ٧ و ٨ .

(٣) سورة البلد ٨ و ٩ و ١٠ .

• **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾**(٤)

• **﴿بل الإنسان على نفسه بصيرةٌ .. ولو ألقَى معاذيره﴾**(٥)

• **﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا﴾**(٦)

وفي مدرسة النبوة عن حقيقة الانسان يقول ﷺ ؟

«كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ــ كما تولد البهيمة بهيمة عجماء هل ترون فيها من جدعاء ؟»(٧)

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : **«إني خلقتُ عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»**(٨)

فالنفس الانسانية ــ في النهج الاسلامي قرآنا وسنة ــ خلقت أساساً وابتداء معدولة سوية وصافية الفطرة ، نقية التكوين .. ولكنها قابلة ــ في الوقت نفسه ــ للانحراف والانكدار بما يؤثر به الآباء والأمهات عليها خلال طفولتها ، ثم بما تختار هي في مرحلة رشدها .. لأنها عندئذ تملك قوى

---

(٤) سورة النحل /٧٨ .

(٥) سورة القيامة /١٤ و ١٥ .

(٦) سورة الانسان /٢ و ٣ .

(٧) رواه البخاري .

(٨) رواه مسلم .

متعددة من سمع وبصر وعقل تستطيع بها التمييز بين الخير والشر ، وبين الطيب والخبيث ، وبين الحق والباطل ، وبين ما هو قبيح أو جميل : **﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾**[1]

أي أن الانسان مسؤول عما يتلقاه من عقائد ومعارف ، ومطلوب منه أن يستعمل سمعه وبصره وعقله في تفهُّم حقيقة ما يراه أو يسمعه ، وفي قبوله أوردِّه ، والاقتناع به أو رفضه ، فقد هداه الله النجديْن ، وألهمه فجوره وتقواه ، وهو على نفسه بصيرة .. فلا يحاول الانسلال بإلقاء المعاذير البواطل .

المسؤوليات الثلاث :

ونزيد القضية بيانا .. فنُلاحِظ (أولًا) : أن نظرية الاسلام النفسية ــ بالنسبة لمرحلة الطفولة التي لا يكون الانسان فيها مسؤولًا عن تصرفاته ــ تركز هذه (المسؤولية) على الأبويْن فهما اللذان يوجِّهان سلوكه نحو الخير والشر ، ويطبعان على نفسه بالحق أو الضلال ــ والحديث النبوي الذي أوردناه آنفا صريح صحيح في تقرير هذا الأثر الأقوى للأبوين في توجيه الأبناء ذكراناً وإناثاً .

ونلاحظ (ثانياً) أن النظرية الاسلامية بعد إثباتها صفاء الفطرة الانسانية ونقاءها أساساً وابتداءً . ثم قابليتها للاصطباغ بأي صبغة أو الانطباع بأي لون ــ نبَّهت إلى (مسؤولية) النفس

(١) سورة الإسراء ٣٦

الانسانية بعد بلوغها مرحلة الرشد .. مرحلة انتفاعها بقواها العقلية والبصرية والسمعية .

ثم لفتت الأنظار والأفكار — في مرحلة ثالثة — إلى أن هناك (مسؤولية) إلّهية عليا تفضَّل بها الرب الرحيم الكريم .. الذي يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، وهي — أي تلك المسؤولية الإلّهية العادلة الفاضلة — بَعْثُهُ تبارك وتعالى الرسل الأنبياء إلى المجتمعات البشرية ، وإنزالُه الكُتُب السماوية معهم لِيُخْرِجُوا الناس من الظلمات إلى النور .. إلى عقيدة التوحيد أولًا وإلى الشريعة السمحة ثانياً ، ثم إلى مكارم الأخلاق ثالثا :

- **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**[٢]
- **﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**[٣]
- **﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم﴾**[٤]

الاسلام يعترف بالغريزة الجنسية :

فماذا بعد ذلك ؟ بعد تقرير المسؤوليات الثلاث لسلوك الانسان . أو تصرفات النفس البشرية — وهي (مسؤوليات) يؤكدها واقع الانسان نفسه ، وتجارب المجتمعات الانسانية

---

(٢) سورة الإسراء /١٥ . (٤) سورة النساء /١٧٠ .

(٣) سورة النساء /١٦٥ .

في مدارسها وجامعاتها ، بل في بيوتها وبين أسَرِها ثم في محاكمها ومجالس تخاصمها !

ماذا بعد تقرير الله الخالق المدبِّر ، وتأكيد رسوله المعلِّم المربِّي عن خَلْق (النفس) الانسانية في أحسن تقويم ، وتصويرها في أحسن صورة ، وتفضيلها على كافة المخلوقات الأخرى : ﴿**ولقد كرمنا بني آدم ورزقناهم من الطيبات وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[1]

هل نصدق ما يقوله علماء النفس الغربيون ، ومفكرو العالم المسيحي ، ورجال الكنيسة : من أن الانسان مخلوق وضيع لا يملك أي فضيلة ، بل هو حيوان ساقط سافل ، حامل لآثار «الخطيئة الأولى» ؟

مع أن رجال الكنيسة افتروا ما افتروا على الله وعلى المسيح ليتاجروا بصكوك الغفران ، وليمارسوا السلطان الأكبر على الناس ، ويحلُّوا الحرام ، ويحرِّموا الحلال ، ويتظاهروا (بالرهبانية) المزيَّفة ... في حين يمارسون الزنا مع الراهبات المزعومات ، وقد ازدحمت جوانب كنائسهم بفضائح ولائدهن الذين يدفنون تحت أطباق ترابها المتعفِّن ..

كيف نصدق هؤلاء المنحرفين الذين نشأوا وعاشوا في بيئاتٍ تحكمت فيها الرهبانية المزيفة ، وسلطان الرهبان والأحبار المحرِّفين للتوراة والإنجيل المنصبِّين أنفسهم آلِهةً يملكون الحِرمان والغُفران ؟

---

(١) سورة الإسراء ٧٠

حتى إذا ضاقت بالناس هناك في تلك البيئات الظالمة الآثمة ـــ الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم .. تفجرت هذه الأنفس (المكبوتة) بأفكارٍ ونظرياتٍ تطعن في كرامة الإنسان ، وتردُّ سلوكه وتفكيره إلى فرجه مرةً وإلى بطنه مرةً أخرى ، وتعيد أصله إلى حيوانيةٍ سافلة مرةً ثالثةً .. لتجد له مبررا في الانفلات من ضوابط العقل ، والتحرر من التزامات الفضيلة الانسانية ، وتخفيض أحكام القانون عن اقترافه المآثم والجرائم .

إن الفرق بين نظرية (فرويد) في الجنس وبين النظرية الإسلامية ـــ أن فرويد يجعل الجنس في الإنسان هو العامل الأول والمؤثر الأقوى في تصرفاته وانحرافاته ..

في حين أن علم النفس الاسلامي لا ينكر حقيقة الدافع الجنسي بل يعترف بأثره القوي وبنشاطه المستمر ، ولا يمنع من الإستجابة له .. استجابةً منظَّمة مقوَّمة !

ولكن علم النفس الاسلامي ينكر أن يكون العامل الجنسي هو العامل الوحيد ، أو المؤثِّر الأقوى في سلوك الانسان ـــ لأن هناك قوىً وطاقات ورغبات وأهواء متمكنة من النفس البشرية ، مؤثِّرة في سلوكها .. على اختلافها قوةً وضعفاً بين نفس ونفس . بل اختلافها وجوداً وعَدَماً أيضاً .

ونجد القرآن الكريم الذي هو تقرير خالِق الانسان ، ومسيِّره ومصرِّف سلوكه ، وعالم أسراره ـــ يقول صريحاً فصيحاً :

﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام**

والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[1]

وتقديم (النساء) في أول الشهوات في الآية القرآنية لا يعني أن الجنس هو الأهم أو الأقوى دافعاً وأثراً ، لأن واو العطف ــ في اللغة العربية ــ لا تستلزم ترتيب الأهم على المهمّ . والأمثلة على ذلك في القرآن نفسه كثيرة .

إن علم النفس الاسلامي هنا يعدِّد شهوات النفس البشرية وغرائزها وميولها وأهوائها : من النساء ــ والأولاد ــ والأموال ــ والخيل اقتناءً وازدهاءً ــ والحرث والزرع استجاباً واكتساباً .

ونجد القرآن يؤكِّد حب الإنسان للمال جَمْعاً ومنعاً بما يؤكِّد به حبه للنساء ــ وذلك في قول الله عز وجل :

- **﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾**[2]
- **﴿وتحبون المال حبا جما * وتأكلون التراث أكْلًا لمًّا﴾**[3]
- **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾**[4]

ويذكر القرآن ــ مع ذلك ــ اعتذار المنافقين للرسول عليه الصلاة والسلام عن القتال معه بقولهم : **﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا ..﴾**[1] ويحذِّر المؤمنين ــ في الوقت نفسه ــ :

(١) سورة آل عمران ١٤

(٢) سورة العاديات ٨ .

(٣) سورة الفجر ١٩ و ٢٠ .

(٤) سورة الكهف ٤٦ .

(١) سورة الفتح ١١ .

﴿يآ أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ..﴾[2] ويؤكِّد هذا التحذير : ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾[3]

وواقع الانسان ـــ في كافة المجتمعات البشرية ، وفي كل العصور المتتابعة يكشف هذه الحقيقة ـــ حقيقة أن هناك من الناس من يُؤْثِر المال على النساء بل على الولد ، أو يفضِّل الولد على النساء ، وما أكثر ما شهدنا رجالًا ينشغلون بأموالهم ، وينصرفون إلى تجارتهم ليلًا ونهاراً .. حتى ضاقت بهم نساؤهم ذرعاً ، ولم يطقن صبرا ، وطالبن بالطلاق .

كما رأينا رجالًا غلبهم اهتمامهم بأولادهم عن زوجاتهم أمهات هؤلاء الأولاد ، وذهب بهم تدليلهم إياهم مذهباً أوجد الشقاق والنزاع بين الآباء والأمهات .

الضوابط الاسلامية للغريزة الجنسية :

إن الاسلام ـــ كما أسلفنا ـــ يعترف بالغريزة الجنسية ، ويجعلها الأساس في عمارة الكون ، وسعادة الحياة الانسانية .. لأنها السبب والوسيلة إلى التناسل البشري ، ومن أجل ذلك نهى عن (الرهبانية) التي ابتدعها النصارى : ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾[1]

---

(٢) سورة المنافقون /٩ .

(٣) سورة التغابن /١٥ .

(١) سورة الحديد /٢٧ .

ولكنه يقوِّم سلوكها ، وينظِّم حياة الانسان بها عن طريق الزواج ، وتكوين الأسرة الرشيدة ، وإقامة البيت السعيد ، وإنجاب البنين الذين يعترف القرآن بأنهم زينة الحياة الدنيا .

وقبل الزواج — لأنه قد يتأخَّر عن موعده المناسب لأسباب اجتماعية أو اقتصادية أو تعليمية — يضع علم النفس الاسلامي منهجا لاجتناب ارتكاب الخطأ أو الفاحشة بتعبير القرآن الكريم : ﴿**ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا**﴾[2] .

ولا نطيل في تفصيل هذا المنهج فهو معروف لكل مسلم يقرأ القرآن ، ويدرس سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام — فالقرآن مثلًا يوجِّه المؤمنين والمؤمنات هذا التوجيه النفسي الكريم :

- ﴿**قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ..**﴾[3]
- ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾[4] إلى آخر الآية حيث بيان المزيد من التوجيه إلى الحفاظ على المرأة من نظرات الأجانب عنها وشهواتهم .

والحديث النبوي — مثلًا — ينبِّه المؤمنين والمؤمنات أيضاً هذا التنبيه النفسي الحكيم :

---

(٢) سورة الاسراء ٣٢ .

(٣) سورة النور ٣٠ .

(٤) سورة النور ٣١

ـ ﴿ما خلي رجل بامرةٍ لا تحل له إلا كان الشيطانُ ثالثهما﴾[5] .

ـ «النظر سهمٌ مسموم من سهام إبليس من تركه ابتغاء مرضاة الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته»[6]

ـ ومنع الرسول عليه الصلاة والسلام من سفر المرأة إلا مع ذي محرم ، وقرر بعض الفقهاء بناء على هذا الأمر النبوي أن فريضة الحج التي هي ركن من أركان الاسلام لا تجب عليها إذا لم تجد مَحْرَماً يسافر معها لأداء الفريضة .

وقد فصلّنا القول وأوردنا الكثير من الأدلة والأمثلة عن حجاب المرأة وتحريم اختلاطها بالرجال الأجانب ، وكلمة التشريع الاسلامي في ذلك ـ في كتابنا (مكانك تحمدي) وكتابنا : (محاضرات في الثقافة الاسلامية) وكتابنا (دين ودولة) وغيرها ـ فلا نطيل هنا بالتفصيل والتمثيل .

والمهم ـ في حديثنا عن علم النفس الاسلامي ـ أنه يعترف بالعامل الجنسي في المرأة والرجل على سواء ، وأثره في سلوك النفس البشرية ـ ولكنه يضع له المنهج السليم الحكيم لضبط انفعاله ، وحفظ توازنه ، وتحقيق هدفه الانساني النبيل الجليل .

ولمقاومة ما يتأتّى كنتيجة (لكبْتِ) هذا العامل الجنسي في الانسان من عقد نفسية أو انفجار جنسي ـ ينصح القرآن

---

(٥) رواه الترمذي .

(٦) رواه الحاكم .

والحديث النبوي بالمسارعة إلى الزواج .. لأنه حقّ وحاجةٌ ضرورة للذكر والأنثى على سواء ، وحسبنا آية واحدة يقول الله تبارك وتعالى فيها : ﴿**وأنكِحُوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ..**﴾[1] وحديث نبوي واحد يقول ﷺ فيه : (**تزوجوا الودود الولود .. فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**)[2]

وفي حال الانتظار لأسباب اقتصادية ينصح القرآن بالاستعفاف ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**﴾[3] كما ينصح بعدم الانتظار الطويل طمعا في زوجة أفضل : ﴿**ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات**﴾[4]

بيئة فرويد معذورة ؟

إن بيئة (فرويد) التي انطلق فيها بنظريته الجنسية ، وما زعمه تمهيداً لها من (كبت) وما قدَّمه بين يدي هذا الكبت المزعوم من (تحليل نفسي) الخ معذورة إذا تقبلت أو استجابت إلى دعوة فرويد نحو إشباع الغريزة الجنسية دون قيدٍ أو شرط ديني أو أخلاقي واجتماعي .

---

(١) سورة النور /٣٢ .

(٢) صححه الحاكم وابن حيان .

(٣) سورة النور /٣٣ .

(٤) سورة النساء /٢٥ .

فإبتداع (الرهبانية) أولًا ــ مما سبب نظر الرجل المتدين المسيحي إلى المرأة نظرة احتقار واستقذار ــ ثم تسلط القساوسة والرهبان على الجماعات المسيحية باحتكار صكوك الغفران والحرمان لأنفسهم ثانيا ــ مع افتقاد أي تشريع إلٓهي محفوظ غير محرَّف يعلن كرامة الانسان ، وينظِّم علاقته بإخوانه ومجتمعه وخاصة بالجنس الآخر ثالثاً ــ كل ذلك كان السبب المباشر في أوهام (فرويد) وأمثاله من (كبْتٍ ــ تحليل ــ ولا وعي أو لا شعور) ودعوته أخيراً إلى التحلل الحتمي كعلاج لما يسببه الكبت المزعوم من انحرافاتٍ وأمراض نفسية .

أما البيئة الاسلامية : فبريئة من كل ذلك ، وغنيّة بقرآنها وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام عن نظريات فرويد وداروين ودوركايم وماركس وتلامذتهم من سفهاء اليهود والنصارى .



الدكتور معروف الدواليبي

الرد ... على شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم والسنة النبوية

في الموسم الثقافي لرابطة العالم الاسلامي سنة ١٤٠١هـ نعقدت ندوة فكرية برئاسة الدكتور معروف الدواليبي وعضوية كل من الأساتذة الشاذلي نيفر من تونس، والدكتور أحمد إسماعيل من يوغسلافيا. والدكتور عبد الصبور مرزوق من مصر ... وكنت شريكا لهم في هذه الندوة، وكان اجتماع الندوة يوم ٣ /١٢ /١٤٠١هـ .

ومما تحدثت به في الندوة وحاورت حوله الزملاء الأفاضل ؟

● إن المستشرقين ثلاثة طوائف : منصفون، ومخطئون، ومرجفون :

في كتابي «دين ودولة» تحدثت عن المنصفين منهم (إدوار حببون) و (ريتشارد وود) والدكتورة (لوريان ليري) الذين أثنوا على القرآن والرسول ﷺ .

● ونعني بالمرجفين الذين تعمدوا الافتراء على الاسلام وكتابه ورسوله مثل (قولد زيهر) في كتابه : المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن) وكتابه الآخر : (العقيدة والشريعة في الاسلام) وقد عقَّبت على الأول في (دين ودولة) وعلى الثاني في : (مفتريات على الاسلام) .

● من مزاعم قولد زيهر أن ابن عباس متأثِّر باليهود في

تفسيره ، أي أن آراءه تصطبغ باللون اليهودي !

● جاك أوستروي في كتابه : (الاقتصاد الاسلامي) عقّبت عليه في كتابي (مفتريات على الاسلام) .

● جوستاف لوبون ـــ على إنصافه الملحوظ في تأريخه لحضارة العرب ـــ لم يخل كتابه هذا من آراء خواطىء .. كذهابه إلى أن القرآن لم يكن مرتباً ترتيباً علمياً لأن الرسول ﷺ كان أمياً ! وكنقله عن دائرة المعارف البريطانية أن أسلوب التكرار في القرآن لا لزوم له ... وزعمه أن تخلف العرب كان نتيجة لأن أحكام القرآن ثابتة لا تتبدل ، ولا تتطور مع الزمن وحاجاته ..

● يعترف لومون وجيب وبرنارد لويس بآثار التعصُّب الديني في كتاباتهم ضد الإسلام ، وبالدراسة السطحية ، والمحاولات التقليدية .

● خطأ بعض المستشرقين يرجع إلى أنهم قرأوا أو درسوا القرآن والحديث النبوي مترجماً إلى غير العربية . والترجمة غير الأصل ، وبخاصة في القرآن والحديث حيث النسخ ، وأسباب النزول ، والحذف ، وتعدد المعاني للكلمة الواحدة ..

أو إلى أنهم اعتمدوا على مراجع عربية أو إسلامية منحرفة كتبها مؤلفون ينتمون إلى بعض الطوائف المخالفة أو الضالة .

● حقد المرجفين منهم يرجع إلى أنهم ملتزمون بتوراتهم وإنجيلهم المُحَرَّفين .. لذلك زعموا أن محمداً ﷺ استمد معارفه في تأليف القرآن من هذيْن الكتابين قصصاً وأخباراً وأحكاماً .

• من المنصفين : محمد أسد (ليوبولد فايس) وعبد الرشيد الأنصاري (رويرت ولزلي) وناصر الدين (رينيه) ومريم جميلة (مارجريت ماركوس) والأستاذ عبد الكريم جرمانوس ـــ رحمه الله .

وقد طرح ـــ في الندوة ـــ من بعض الحضور سؤال عن تاريخ الاستشراق فأجبت السائل : إن تاريخ الاستشراق يبدأ من القرن العاشر الميلادي نتيجة للصراع الصليبي بين الفرنجة والمسلمين ، وما سبق من الفتوح والانتصارات الاسلامية التي دخل بسببها كثير من الممالك المسيحية في الاسلام . وكان من بواعث العداء الصليبي للاسلام إنكاره عقيدة التثليث والصلب والفداء .

وقد انبعثت فكرة الاستشراق من أجل خدمة الاستعمار الصليبي ، ولمعرفة حقائق الاسلام وأوضاع المسلمين ومن أجل التنصير أيضا . كما أنشئت كليات ومعاهد خاصة في لندن وباريس للدراسات الاسلامية لغة وعقيدة ـــ استغلها الساسة المستعمرون لأغراض الاستعمار .

ومما يذكر أن الأستاذ عباس محمود العقاد ـــ المفكر الاسلامي المعروف يسمى المستشرقين «الخصوم المحترفين» .

وكان لي تعليق خلال الحوار في الندوة ـــ حول «المستغربين» من المسلمين .. فهم ـــ من وجهة نظري ـــ أهم وأخطر في تأثرهم بالحضارة الغربية ومحاولاتهم لنقلها بخيرها وشرها ، وما يُحَبّ منها وما يكره .. على حد تعبير الدكتور طه حسين ! ولأنهم من جلدتنا ويتكلمون بلغتنا .. أما

المستشرقين فهم معروفون بأجنبيتهم عنا .

هذه خلاصة لما ساهمت به من أفكار ومعلومات عن الاستشراق في هذه الندوة ، التي عقدتها رابطة العالم الاسلامي في موسم الحج سنة ١٤٠١هـ .

مسئولية ضباط الأمن العام
في المجتمع الاسلامي

• أعد هذا البحث بناء على دعوة من المركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض ، ويرأسه الدكتور فاروق عبد الرحمن مراد — لإلقائه في الدورة التي عقدت خلال جمادي الثانية من عام ١٤٠٣هـ ونبدأ البحث بالحديث عن «قواعد الأمن العام في المجتمع الاسلامي» .

نسأل أولا : لمن الأمن ؟ لنجد الجواب الفصل على مائدة القرآن الكريم السخية الشهية في قوله عز وجل :

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ وتفصيل معنى هذه الآية أن «الأمن» نتيجة لمقدمتين الأولى : الايمان بالله ربا قديرا خبيرا .. قديرا على كل شيء وخبيرا بكل شيء . وهذه المقدمة تمنح شطر النتيجة الأول وهو الأمن الداخلي : أمن العقل والوجدان من الوساوس والريوب التي تزلزل الأنفس الحائرة الخابطة في ظلمات العقائد الفاسدة الزائفة .

أما المقدمة الثانية فهي تجريد «الايمان من الظلم» هي العمل الجاد المخلص على مقاومة ما عسى أن يغشى نوره من ظلام وتحطيم ما عسى أن يقف إمداده ويعوق استعداده من سدود الذنوب وقيودها .

ومع أن التفسير المأثور لكلمة «الظلم» الواردة في الآية الكريمة هو الشرك إلا أننا نرى والله ورسوله أعلم بالمعنى الأصوب ان الظلم جامع لكل ما يعد اعتداء على حقوق الغير ولكل ما يحسب تجاوزا للحدود والمعالم .

روى الامام أحمد لما نزلت ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم**﴾ شق ذلك على الصحابة فقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه ؟ قال : إنه ليس الذي تعنون . ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿**يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾ «إنما هو الشرك» .

فالانسان عندما يشرك بربه غيره من مخلوقات يكون قد تجاوز الحق إلى الباطل وتجاوز النور إلى الظلمة وتجاوز الأدلة والبراهين المشرقة في السماوات والأرض بحقيقة «الله» سبحانه الى ظلام دامس حيث لا نور يكتشف ما فيه ولا سبيل يخرج منه !

وبذلك يكون الانسان ظالما لنفسه ظلما كبيرا ومن هنا جاء في القرآن الكريم على لسان لقمان : ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ وهو المستند في تفسير الآية الأولى لأن القرآن كما في أصول التفسير يفسر بعضه بعضا .

وهو عندما يأخذ ما ليس له أو يعطيه لغيره أو يتهم أخاه بما ليس فيه ، أو يمدحه بما ليس من خلقه أو بما لم يكن من عمله أو يمنع إنسانا حقه . أو يؤذي جاره في منزله أو متجره ، أو زميله في عمله أو يسلب أحد حياته أو ماله أو عرضه — يكون بذلك قد اعتدى على حقوق الناس وتجاوز الحدود

المرسومة له في معاملتهم وسبب في مجتمعه أسبابا للشكوى وعدم الاستقرار .

- وبذلك يكون الانسان ظالما لنفسه ولغيره معا !

ومن أجل هذا جاءت الأديان تحد من ظلم الانسان وجاء «القرآن» خير كتاب سماوي يحمل خير دين إلهي وينظم قواعد «الأمن العام» بين الناس قواعد محكمة إن قامت قام السلام معها وإن لم تقم لم يسلم المجتمع من انهيار بنيانه . وتصدع أركانه وانتشار فوضاه .

القاعدة الأولى للأمن العام :

- **﴿قد أفلح من تزكى﴾**[1]
- **﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾**[2]
- **﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾**[3]

وكيف يقي المرء نفسه وأهله نار الآخرة إن لم يبعدها ويبعدهم من موجبات المسئولية والمؤاخذة في الدنيا من إيذاء الغير والاعتداء عليه ؟

وإذا فعلى الأمة الاسلامية إذا أرادت «أمنا عاما» أن تربي أفرادها على الخلق القويم وعلى معرفة الحقوق والواجبات وأدائها صحيحة كاملة فلا يبغي أحد على أحد ولا يفخر غني على

---

(١) سورة الأعلى /١٤ .

(٢) سورة فاطر /١٨ .

(٣) سورة التحريم /٦ .

محروم ولا يحقر نسيب وضيعا ولا يضطر أحد أحدا إلى حصامه أو قتاله بإيذاء له أو اعتداء على حقه وبعبارة موجزة : الايمان والعمل بأن «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**» كما هو لفظ حديث نبوي معروف(٤)

* * *

القاعدة الثانية للأمن العام :

هي الضمان الاحتماعي أن لا يبيت أحد شبعان وجاره جائع أو يلبس أطفاله الجميل الغالي من الثياب وأطفال قريبه أو صديقه يلبسون الأسمال البالية . هي أن تكرم الشيوخ والأرامل والأيتام فلا نضطرهم إلى أن يشقوا في مسألة الناس على الأبواب وعند الأعتاب أو نضطرهم إلى سرقة أقواتهم من البيوت والجيوب . وهنا يجب أن نعلم أن في مال الأغنياء حقا غير الزكاة نعم ﴿**والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**﴾ أي سائل وأي محروم ! وإذا تجاهل الأغنياء إخوانهم من هؤلاء المحرومين وتغافلوا عن مآسيهم وكروبهم .. وجب على الدولة الاسلامية أن تتدخل لأخذ فضول أموال الأغنياء وردها على الفقراء لتقيم مجتمعا متكافلا متحابا متعاونا قويا أمام أعداء المسلمين .

ويترتب على قاعدة التربية الصالحة وقاعدة الضمان

(٤) رواه مسلم

الاجتماعي أن تتطهر النفس من أدران التحاسد والتباغض والتنازع والتدابر والكبرياء والغرور والاثرة .. هذه الأدران التي تطمس ضمير الانسان وعقله ، فينقلب مجرما يؤذي بلسانه هذا ويبسط يده بالسوء إلى ذاك .

* * *

القاعدة الثالثة للأمن العام :

هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآيتها من القرآن :

- **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** [٥]

ولنتأمل ما تقرره الآية من ترتب «الفلاح» في الفرد والجماعة على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لنتأمل ذلك جيدا ولنقرأ بعد ذلك الحديث النبوي الذي يقرر مراضي الله سبحانه وتعالى في قوله **(لقد رضي الله لكم ثلاثة : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم)** .

وغير ذلك من آيات القرآن وأحاديث رسوله التي توصي بقول الحق والتناصح بالصبر والرحمة والأخذ على يد الظالم تحقيقا «للأمن العام» في المجتمع الاسلامي .

---

(٥) سورة آل عمران /١٠٤

القاعدة الرابعة للأمن العام :

هي إقامة الحدود على المذنبين .. وإنما حرصت على أن أجعلها القاعدة الأخيرة لأن ما قبلها من قواعد الأمن يجب أن نبدأ به .. يجب أن نبدأ بالتربية الصالحة ليعرف الفرد ماله وما عليه ثم بالضمان الاجتماعي ليجد الفرد ما يحتاجه في معاشه ثم بمراقبته أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وأخيرا نقيم عليه حدود الله إذا لم يكن من البلد الطيب الذي يخرج نباته باذن ربه وكان من البلد الذي خبث فلا يخرج إلا نكدا .

على أنه يجب أن نلاحظ بعين الاعتبار واليقظة إلى جانب ما يفرضه القرآن من مؤاخذة العصاة بجرائمهم ما ينبهنا إليه القرآن نفسه عن أن هذه الجرائم إنما ترشحها أو تنضحها أدواء نفسية وعصبية في نفوس المجرمين .

لنستمع إلى القرآن الكريم وهو يصف النفاق وهو أم الكثير من الرذائل والخبائث بأنه «مرض» ويصف الشهوة الجنسية الحرام — وهي سبب هتك الأعراض وسفك الدماء وإضاعة الحياء — بأنها «مرض» ويصف الخور والخوف وما يتبعهما من اعتذار مكذوب في مواقف الجهاد والدفاع عن الحمى — بأنهما «مرض» يقول تبارك تعالى :

- **﴿إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾**[1]

---

(١) سورة الأحزاب ٣٢ .

- **﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾[2]**
- **﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم﴾[3]**
- **﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾[4]**

* * *

وإذن فكما نحرص ألا تأخذنا رأفة في إقامة الحدود على العصاة يجب أن لا تأخذنا غفلة عن رعاية نفوسهم وتعهدها بما يشفي أمراضها ويهذب أغراضها ويكفيهم والناس شرور ما يقاسون من علل وأدواء .

وهنا يجب أن نتصدى لما يزعمه الزاعمون من أعداء الاسلام من قسوة العقوبات التي يعالج بها القرآن المذنبين من مستبيحي الدماء والأعراض والأموال الحرام ، لكي يقيم مجتمعا آمنا لا خوف على أهله ولا هم يحزنون .

أنهم يقولون وكذبوا — إن الاسلام دين قسوة وجبروت وطغيان ونقول نحن وما افترينا إنه دين الرحمة السابغة والحكمة البالغة .

(٢) سورة الأحزاب /١٢ .
(٣) سورة محمد /٢٩ .
(٤) سورة المائدة /٥٢ .

إن هؤلاء الخراصين يطلبون الرحمة الخاصة بالفرد الواحد والقرآن بأحكامه العادلة يهب الرحمة العامة للمجتمع كله فهو يقسو في عقوبة زان واحد أو لص واحد أو قاتل واحد ليرحم الجماعة كلها من «الخوف العام» على أموالها وأعراضها وأرواحها أن تصبح حلالا للمجرمين يعبثون فيها فسادا وبغيا بغير حق وبلا استحياء .

لقد جيء بسكير إلى النبي ليؤدبه على معصيته فقال بعض الجلوس : «لعنة الله عليك : ما أكثر ما يجاء بك» فكان أسف النبي لذلك شديدا وقال لأصحابه يعلمهم واجب الاخوة الاسلامية من الرحمة والمحبة : «**لا تلعنوه .. ولكن قولوا اللهم ارحمه اللهم تب عليه**» .

ونحن نسأل هؤلاء المتباكين على أفراد من المجرمين : أى عقل سليم ودعونا من كلمة الدين مؤقتا ـــ يفضل أمن فرد أو أفراد قلائل على أمن جماعة أو أمة بأسرها .

وأي نفس كريمة ـــ ودعونا من كلمة الدين أيضا ـــ ترحم مجرما واحدا وتنسى ضحاياه من أعراض وأنفس وأموال فتعطي بعدم الاقتصاص منه ، القدوة الواضحة الجريئة لكل من توسوس له نفسه بإجرام .

بل أى منطق حكيم يقول برحمة المعتدي الباغي وإهمال المعتدى عليهم يعانون وحدهم أثر عدوانه وطغواه وهو في مكانه وبين إخوانه سليم معافي .

إن هذه «الرحمة الخاصة» التي يتنادى بها المتحللون من حدود الله بل المتفسخون من مكارم الأخلاق التي توجهها

كرامة الانسان ـــ تشبه شبها كاملا الرحمة التي يزعمها أهل المريض عندما يشفقون عليه من استئصال علته بعملية قاسية أو شراب مرير فيدعونه بهذه الرحمة المزعومة يخطو إلى الإزمان الأقسى والأمر أو إلى الموت الزؤام بخطوات فساح .

وصدق الله تبارك وتعالى إذ أنزل :

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾(٥)

ومن أعلم منه وهو الرب الخبير البصير بما يصلح مربوباته في الأولى والآخرة ؟(٦)

التعاون على تنفيذ القانون

بين المواطن ورجل الأمن :

إن «الأمن العام» أمر مهم في المجتمع الانساني ، وتحقيقه رسالة سامية ووظيفة كبيرة وخطيرة ، وهي من أول واجبات الدولة تجاه مواطنيها .

إن «الأمن» هو الطمأنينة أو السكينة التي يشعر بها المواطنون في غدوهم ورواحهم ، وخلال عملهم وحين يرجعون إلى بيوتهم ويعيشون مع أولادهم وأزواجهم .

وضباط الأمن العام من رؤساء وجنود ـــ على اختلاف ألقابهم ومراتبهم ومهماتهم المنوطة بهم هم المحققون لطمأنينة

(٥) سورة البقرة /١٧٩ .

(٦) راجع القواعد لعز بن عبد السلام ـ والموافقات للشاطبي ـــ وإعلام الموقعين لابن القيم ..

المواطنين وسكينتهم . وهم ملجأ الشعب في حالة حدوث ما يكدر صفو «الأمن العام» في المجتمع ، أو يزلزل بنيانه أو يقتحم حماه .

يقول الدكتور أحمد مسلم : (إن الأمن العام هو الظرف الضروري لنمو الحياة الاجتماعية ، وإطراد تقدمها ، فكل نشاط تجاري أو صناعي ، وكل تقدم صناعي ــ لابد له من الأمن العام كشرط أساسي ..)

ثم يضيف : (إن رجال الأمن العام ــ الدين يتسلطون على حريات الناس وأموالهم ينبغي لهم : أن يلتزموا (بالقانون) الذي هو ذلك (الميزان) الضابط بين مقتضيات الأمن العام وضمانات الأمان الخاص ، أى أن القانون كما أنه سلاح الحاكم .. فهو كذلك أمان المحكوم ، وبعبارة أخرى : إن القانون هو الوسيلة الأولى لتحقيق الأمن العام ــ والأمن العام هو الغاية الأولى للقانون» .

ويدعو الدكتور أحمد مسلم في ختام مقاله إلى أن يكون هناك في أجهزة الأمن العام (علماء) لئلا تكون هذه الأجهزة الأمنية مجرد نشاط وظيفي ، بل لتكون رسالة علمية وعملية[1] .

* * *

ونستأنس ــ في هذا الفصل من بحثنا في مسؤولية رجال

(١) مجلة الأمن العام مصر العدد ١٥ سنة ١٣٨١

الأمن في المجتمع الاسلامي ــ بوجهة نظر بعض الخبراء العصريين في هذا المجال .. فقد رأينا أنها تلتقي بوجهة النظر الاسلامية في دعوتها إلى التعاون بين رجال الأمن أو ضباط الشرطة وبين الجمهور على أساس (مكارم الأخلاق) في التعامل بين الفريقين ، وصدق الرسول الكريم : (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) .

في نظر بعض خبراء الأمن العام : أنه لا يمكن بأي حال أن تختص جهة واحدة أو طرف واحد بمنع الجرائم في المجتمع ، إذ على أفراد هذا المجتمع أن يتعاونوا مع رجال الأمن ضباطا وجنودا حتى يتحقق مبدأ : (الشرطة في خدمة الشعب والشعب في خدمة وطنه) .

ويقول (أ.و. ويلسون) في كتابه (العلاقات العامة بين الشعب والبوليس) ما خلاصته : إن لضابط العلاقات العامة مهمة كسب تأييد الشعب للسياسة التي يتبعها البوليس ، والفوز بتعاون المواطن وديا لتنفيذ هذه السياسة وإجراءاتها حتى يتيسر اتمام واجبات رجال الأمن العام .

ويوجب ويلسون ــ في فصل طويل من كتابه ــ على رجل العلاقات العامة في دائرة الأمن العام : أن تتلاءم شخصيته مظهرا «وسلوكا» مع مهمته الوظيفية ، وأن يكون سلوكه مطمئنا بحيث يؤدي إلى قيام صداقة تمتاز بحسن النية مع المواطنين ...

وإلى جانب هذا الواجب الشخصي لرجل البوليس هناك جانب آخر ، مهم أيضا ، وهو أن يكون نشيط التحرك إداريا

من أجل تحقيق صلة خاصة ووثيقة بمؤسسات الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز .. لاستخدامها في تعريف الرأى العام بالمعلومات والتقارير الرسمية الصادرة من دائرة البوليس ، ليكون الجمهور على علم دائم بنشاطات البوليس وقوانينه وتوجيهاته ، والتعاون معه على الانتفاع بها ، ذلك لأن تعاون الجمهور مع البوليس أمر ضروري جدا لضمان النجاح في تحقيق أغراضه الأمنية : من القبض على المجرمين ، أو تقديم الأدلة التي تثبت ادانتهم ، وهو أمر لا يمكن أن يتحقق بدون تعاون الجمهور مع البوليس .

ويضيف — (ويلسون) : أن البوليس الذي يفتقد تأييد الجمهور وتعاونه الودي سيىء الحظ ، لأن الجمهور المعادي للبوليس يجعل أعمال البوليس أكثر صعوبة ، وظروف أدائها أكثر كراهية ، كما أن هذه العلاقة السيئة تحمل الجمهور على اتهام البوليس بالظلم والقسوة ، وهنا يضطر البوليس لاتخاذ موقف عدائي نحو الجمهور فتزداد العلاقات العامة سوءاً على سوء !

ومن الضروري جدا : أن يهتم رجل الأمن بتعبيرات وجهه وأعماله وهيئته وصوته ، فإن تقطيبه وكلامه الجاف يثير احساسا بالعداء في نفس المواطن في الوقت الذي يجب عليه أن يعمل لكسب مودته من أجل التعاون معه !

ويبدو (ويلسون) أكثر صوابا وحكمة عندما ينصح رجال الأمن بأن يتجنبوا القسوة والتظاهر بها ، ولكن عليهم أن يتصفوا بالحزم الذي يحقق لهم احترام الجمهور .

وعليهم أيضا : أن يخلقوا المواقف التي تتصف بالمودة دون انحياز أو ممالاة لأحد الطرفين .. وعليهم أن يكونوا أرقاء مهذبين في كافة المواقف التي لا تقتضي الشدة ، وأن يتجردوا من الأغراض الخاصة في جميع المناسبات التي تدعو إلى التنظيم والسيطرة .

وعلى رجال الأمن أن يدركوا تمام الادراك أن المقصد الأول لمهمتهم الأمنية : هو منع الاجتراء على القانون وأن يميزوا الخط الذي يفصل بين اختصاصاتهم واختصاصات القضاة ، ويرسم «ويلسون» صورة رائعة وجذابه لرجل الأمن في مواجهته للجمهور .. فهو الذي لا يتكلم بصوت عال ، ولا ينقر بأصابعه على مكتبه ، ولايضرب بقدمه على الأرض ، ولا يتحرك أية حركة تدل على قلقه وضيقه مما يثير المستمع إليه أو الناظر نحوه .

وعليه ألا ينسى أبدا أنه في خدمة الجمهور ، وأن يبدو ودودا معلنا بذلك عن استعداده للخدمة !

وبالنسبة لسلوك رجل الأمن في حياته الخاصة : يجب عليه أن يلتزم مكارم الأخلاق .. لتكون حياته نموذجا وقدوة للجمهور الذي يتوقع من رجل الأمن أن يطبق هو قبل الناس ما ينادي به من احترام القانون العام واجتناب المخالفات ، وإطاعة التعليمات المفروضة على الآخرين .

إن عليه أن يهتم كثيرا بسمعته وطهارته ، لأن الجمهور رقيب منتقد ، ولذلك ينبغي ألا يكون له زملاء سوء ، وأن صداقته مقصورة على الفضلاء الأخيار .

وهناك (خدمات) أخرى لرجال الأمن ينبغي أداؤها للجمهور غير المحافظة على «القانون» منها على سبيل المثال : مساعدة راكبي السيارات التي تصاب بخلل بمرافقتهم إلى أقرب نقطة لخدمة السيارات ـــ وإزالة شظايا الزجاج ـــ وتغطية بقع الدم بالرمل في مواضع الحوادث واستخدام الأضواء الكاشفة ليلا ـــ والذهاب إلى المستشفى للاطمئنان على المصابين ـــ وإبلاغ أقاربهم عند وقوع الحادث ـــ والبحث الجدي عن الأمتعة المفقودة ـــ والاهتمام بكل المشكلات التي تنشأ عن حوادث السيارات أو الخصومات الناشبة بين طائفتين من الجمهور نفسه .

وبالنسبة لقطاع آخر من الجمهور يحتاج إلى تعاون رجال الأمن معه .. ذلك هو قطاع التجارة والصناعة ، فهؤلاء التجار والصناع يجب على رجال الأمن أن يقدموا إليهم التحذيرات اللازمة من الغشاشين والمزيفين والنشالين وغيرهم من الخطرين على الأمن العام .. مع صور هؤلاء المجرمين وأوصافهم ووسائل ارتكابهم للجريمة . ومطالبة أصحاب المتاجر والمصانع بالمسارعة إلى ابلاغ أقسام البوليس هاتفيا إذا ظهر أحد هؤلاء المشتبه فيهم بمتجر أحدهم أو مصنعه .

كما ينصح «ويلسون» رجال الأمن بالعطف والمودة تجاه (الأطفال) لكسب صداقتهم ، وإبعاد الخوف والنفور من نفوسهم نحو رجال البوليس ، فهذه الصداقة بينهم وبين الأطفال من شأنها أن تغرس اتجاها سلوكيا حسنا في أنفسهم ، وسوف يكون لها أثر طيب في مستقبلهم عندما يصبحون (رجالا) .

ويضيف ويلسون أن كثيرا من إدارات البوليس في بعض المدن تقيم حفلات خاصة للأطفال كجزء من برنامج مكافحة الجريمة ، وخلق حسن النية في نفوسهم ، كما يقوم رجال البوليس بإعداد التنظيم المطلوب لمسابقات الأطفال وألعابهم حماية لهم من المخاطر .

أخلاقيات رجال الأمن :

والمتأمل في تاريخ الادارة العباسية يجد أن الخلفاء في ذلك العهد كانوا يختارون لأعمال (الشرطة) ذوى الأخلاق الرفيعة إلى جانب توفر الكفاية العسكرية والانضباط الاداري ، كما كان الخلفاء العباسيون — في العصر الذهبي — يكلفون أصحاب ديوان البريد بأن يحملوا إليهم أخبار أصحاب الشرطة في الولايات النائية ليطمئنوا على مدى التزامهم بالعدالة والرفق في معاملة الرعية .

وقد روي عن الخليفة أبي جعفر المنصور أنه كان يقول : (ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر — لا يكون على بابي أعف منهم ، هم أركان الدولة لا يصلح الملك إلا بهم ، أما أحدهم : فقاض .. لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية ، والرابع صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة)[٢] .

---

(٢) الادارة الاسلامية في عز العرب /للأستاذ محمد كرد على

ويروي تاريخ الشرطة الاسلامية : أن مهمة الحفاظ على الأمن العام كانت تسند في العهد الأندلسي إلى من عرفوا بالحزم والاستقامة من رجال الدولة .. كما كانوا على جانب كبير من العلم والثقافة ، وكان بعضهم من الأدباء والعلماء : كعبد الله بن عاصم صاحب شرطة الخليفة إبن عبد الرحمن الأوسط ٢٣٨ /٢٧٣هـ وأبو بكر الزبيدي صاحب شرطة قرطبة على عهد الحكم بن عبد الرحمن (٣٥٠ /٣٦٦هـ) وقد أسند إليه تربية ابنه هشام . وعندما تولى هشام الخلافة أسند إليه القضاء مع الشرطة ، وكان من أفذاذ العلماء في النحو واللغة والأدب ..

ومنهم أيضا أحمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو من معاصري الزبيدي وقد ولي الشرطة بعده وله عدة كتب .

وفي عهد الدولة الطولونية ــ كان أحمد بن طولون أول ملوكهم ينصح صاحب الشرطة بالنسبة لعتاة المجرمين بمثل قوله : (تشدد عليهم ، وأرهبهم منك ، ولا تدن لهم ، وأغلظ عليهم ــ فإني أسير في محالهم فلا أسمع إلا غناء .. ولا أرى إلا سكران أو معربدا قد أخرجته عربدته إلى الوثوب والكفر) .

وفي الوقت نفسه يوصي أصحاب الشرطة بالنسبة للمواطنين الصالحين بقوله : (أرفقوا بالرعية .. وانشروا العدل بينهم واقضوا حوائجهم ، واظهروا اكرامهم ولينوا لهم ، وتفقدوا مصالحهم .. ووفروا دعاءهم لنا ، وامنعوا دعاءهم علينا) .

الشرطة والبوليس

لغةً وتاريخاً :

كلمة (البوليس) وهي كلمة لاتينية (POLISE) بدأ استعمالها في البلاد العربية في منتصف القرن التاسع عشر مع بداية التدخل — أو الاستعمار الأوروبي — وانحسار ظل سلطان الامبراطورية العثمانية الاسلامية .

أما كلمة (الشرطة) فتتفق معاجم اللغة العربية على أنها أطلقت على رجال الأمن والنظام الاجتماعي لأنهم يتميزون (بشرط) أي علامات ظاهرة في ثيابهم ومجالسهم ، وكان يقال لأحدهم (شرطيا) أو (شرطيا) على اختلاف بين اللغويين .

والكلمة عربية الأصل ، لكنها لم تعرف في لغة العرب إلا بعد الاسلام[١] .

وأول تشريع لنظام الشرطة كان في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. عندما أعد حراسة ليلية للمدينة المنورة وخصص لها رجالا يتناوبونها في دوريات منظمة وأطلق عليها اسم (العسس) وكان الصحابي المعروف أبو هريرة رضي الله عنه يقوم بوظيفة الشرطة في البحرين[٢] .

ولكن أول استعمال لكلمة (الشرطة) كان في عهد الخليفة الراشد الرابع على بن أبي طالب رضي الله عنه .. حيث وضع لها نظاما جديدا واختار له رجالا من ذوي العصبية ممن عرفوا

(١) دراسة حاصة عن الشرطة سقيب براهيم الصحاه — مجلة الأمن العام المصرية ، العدد ١١ . سنة ١٣٨٠هـ .

(٢) نظام الحكم بمصر للدكتورة عطية مشرفه .

بالتقوى والصلاح ، وكان يطلق عليهم (رؤساء الشرطة) أو (صاحب الشرطة) .

وكان منصب صاحب الشرطة في مصر من أجل مناصب الدولة إذ كان يعد نائبا للوالي ، وكانت تسند إليه عند سفره أو مرضه كافة سلطاته وكان خارجه بن حذافة صاحب شرطة مصر يؤم الناس للصلاة عندما مرض عمرو بن العاص حاكم مصر رضي الله عنه ، كما كان يحل محله في كافة أعباء الحكم[3] .

ومن مظاهر التجديد والتطور لنظام (الشرطة) في العهود الاسلامية المتتابعة بعد الخلفاء الراشدين .

● أولا — ما أحدث في بداية الخلافة الأموية على عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .. حيث أعد في دمشق نظام لمراقبة المشتبه في سلوكهم ، فقد نظمت لمراقبتهم اجراءات خاصة للحد من نشاطهم الاجرامي وأسند الاشراف على ذلك إلى زياد بن قيس[4] .

● ثانيا — نظام البطاقات الشخصية .. الذي طبق في مصر .. حيث كلف الناس بحمل بطاقات تتضمن أسماءهم ومواطنهم الأصلية وبيانات أخرى تتعلق بهم ، وألزموا بحملها حيثما ذهبوا وكان لا يسمح لأحدهم بركوب سفينته أو مغادرتها ، أو الانتقال من بلدة إلا بعد الاطلاع عليها ،

---

(٣) مصر في فجر الاسلام سيدة إسماعيل كاشف

(٤) المصدر السابق ، إبراهيم الفحام ، مجلة الأمن العام .

وكانت تسمى (السجل) وفي حالة عدم وجودها لديه يودع السجن .

- ثالثا — في العهد نفسه استبدل اسم (صاحب الشرطة) باسم (صاحب الأحداث) وقوي طابعها العسكري وكلف صاحبها باستعمال الشدة عند الضرورة لتثبيت سلطان الدولة وإخماد الفتن ، وإرهاب المجرمين ، وقمع الثورات .
- رابعا : في العهد العباسي أعيد لقب (صاحب الشرطة) بديلا عن (صاحب الأحداث) الذي ابتدعه الأمويون ، وأضيف إلى عمل صاحب الشرطة العباسي حراسة الخليفة وأسرته ، وكان يختار من كبار القواد العسكريين ، ويتمتع بسلطات واسعة .

* * *

وكان من اختصاص الشرطة في هذا العهد حراسة أحياء المدينة وأسواقها ، وقمع أهل الشر فيها ، كما كانوا يكلفون بعض الاختصاصات الحربية مثل حراسة أسوار المدينة وأبوابها أحيانا ويسند إليهم كذلك النظر في جرائم العامة وإقامة الحدود عليهم أو تعزيرهم .

وكانت سياسة الخلفاء العباسيين تقضي أن لا يحتفظ أصحاب الشرطة أو رجال الأمن العام كما نطلق عليهم في دراستنا هذه بمناصبهم فترة طويلة !

ويقول النقيب إبراهيم الفحام : (إن الخليفة المأمون كان يطلق في بغداد مئات النسوة العجائز اللاتي كن يأتينه كل

مساء بأخبار اللصوص والفساق وناقدي سياسته وكان لا يذهب إلى دار الخلافة حتى يأتينه جميعا بتلك الأخبار ولعل ذلك أقدم تطبيق عربي لنظام المباحث ، كما يبدو أنه أقدم تطبيق لفكرة استخدام المرأة في أعمال الشرطة ![5] .

* * *

وكان هناك — خلال العهد العباسي — نظام الحسبة قائما إلى جانب نظام الأمن العام يتعاون معه في أداء رسالة واحدة تستهدف حفظ الأمن في المجتمع الاسلامي .

ومن واجبات هؤلاء المحتسبين : المرور بالطرقات والأسواق ، وحضور الاجتماعات العامة .. لمنع الناس من ارتكاب الجرائم والمخالفات ، ومحاربة المجون والخلاعة والتفتيش على الموازين والمكاييل ووحدات العملة للتأكد من سلامتها وانضباطها ، ومنع أصحاب المواشي من القسوة في معاملتها أو استخدامها فوق قدرتها ومنع أصحاب السفن — أيضا — من تحميلها أكثر مما تتسع له ، أو تسييرها عند اشتداد الريح ، وأمرهم بأن يفصلوا بين النساء والرجال من ركابها .

كذلك من وظائف رجال الحسبة : أن يمنعوا أصحاب المتاجر والدور من عرض سلعهم أو أمتعتهم في الطرقات

(٥) مجلة الأمن العام (العدد ١٢) سنة ١٣٨٠هـ .

العامة — لئلا يضيقوا على المارة — وإرشاد الناس على الآداب العامة للمرور ، ومنعهم من انتهاكها ، ومراقبة الفنادق ودور التسلية وأسعار السلع والمواد الغذائية لكي لا يتغالى بها التجار .

ونلاحظ أن أعمال المحتسبين في العهود الاسلامية الغابرة كانت تشمل ما تقوم به عدة مؤسسات حكومية اليوم : كمباحث حماية الآداب ومباحث التموين — ومكافحة التزييف — وشرطة المرور — والبلديات !

كما كان هؤلاء المحتسبون ينصحون القضاة بإحسان التعامل مع المتقاضين ، والحرص على حل قضاياهم ، وانصاف المظلومين منهم .

● خامسا — من تطورات أعمال رجال الأمن في العهد العباسي أنه انشئت في مصر دار للشرطة سميت (الشرطة العليا) وذلك لسعة اختصاصاتها وقوة نفوذ القائمين بأمرها .

وبعد إخماد الثورة التي نشبت في مصر على عهد المأمون لوحظ أن ضباط الأمن اشتد ضربهم على أيدي اللصوص .. حتى شاعت السكينة ، وعم الاستقرار والأمان ، فكانت المتاجر تفتح على مصاريعها ليلا . وقد منع النساء من التبرج ودخول الحمامات العامة وزيارة المقابر ، وضرب على أيدي المخنثين ، وندابات الجنائز[٦] .

● ساداسا — في العصر الاسلامي بالأندلس كان هناك

---

(٦) مصر في فجر الاسلام (للدكتورة سيدة الكاشف) .

شرطتان :

(الأولى) : صغرى تختص بعامة الناس ، و (الثانية) كبرى بقضايا الخاصة وأصحاب المناصب الرفيعة ، ثم في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـــ ٣٥٠هـ) ابتدع نظام ثالث من أنظمة الشرطة سمي (الشرطة الوسطى) وكان عملها مصروفا إلى الطبقة المتوسطة طبقة المثقفين والتجار والصناع والمدرسين والمهندسين والأطباء . ولكل من هذه المؤسسات الثلاث رئيس خاص ونظام مستقل ، ولا تربط بينها رابطة مركزية .

واستخدمت ـــ في هذا العهد ـــ لأول مرة الكلاب يصحبها الجنود الطوافون بالليل لمطاردة اللصوص وإرهابهم . وهنا يعلق النقيب ابراهيم الفحام بأن هذا أقدم ما يسجله لنا التاريخ عن استخدام الكلاب في أغراض الشرطة العربية[1] .

وكان نظام الاحتساب ـــ في هذا العهد ـــ قائما إلى جانب نظام الشرطة بأعماله المعروفة فى مراقبة الأخلاق وأسعار السلع ، وتحديدها في زمن الغلاء ، ومعاقبة الباعة الجشعين والمطففين بضربهم علنا في الأسواق ، وفي حالة عودتهم إلى المخالفة يمنعون من العمل التجاري ويبعدون عن السوق .

وقد كان هؤلاء المحتسبون يلجأون إلى بعض الحيل في مراقبة الأسعار للتأكد من التزام التجار بالأسعار المحددة ، فيبعثون صبيا أو جارية لشراء سلعة من أحدهم ، ثم ينظرون بأى سعر بيعت ، كما يتأكدون من سلامة وزنها أو كيلها .

---

(١) مجلة الأمن العام عدد ١٣ سنة ١٣٨٠هـ .

ووجد أيضا في العهد الأندلسي الاسلامي نظام المباحث أو الاستخبارات ، وفي خلافة هشام بن عبد الرحمن (١٧١ — ١٨١) كان الجهاز السري يأتيه بأخبار موظفيه في المدن البعيدة عن العاصمة . وأنشأ الحكم بن هشام (من سنة ١٨١ إلى ٢٠٦) جهازا سريا آخر لاستقصاء أخبار الرعية ومعرفة نشاطهم الاجتماعي والسياسي غير المشروع — وكان بعض الخلفاء يجوس خلال الأسواق بنفسه لاستطلاع أحوال الناس[٨] .

● سابعا — من أعجب تطورات نظام الأمن عبر التاريخ الاسلامي أن (جهور بن محمد بن جهور) الذي آل إليه الحكم في الأندلس بعد سقوط دولة بني أمية (سنة ٤٢٢هـ) حفف من أعباء رجال الشرطة ، وقلل من عددهم ، وخطا خطوة جريئة إذ وزّع السلاح على التجار في الأسواق ليحمي كل مواطن نفسه وماله ، وقد استتب الأمن في قرطبة طوال عهد جهور الذي توفي (سنة ٤٣٥هـ) وقد اتبع ابنه الوليد نهج أبيه حتى توفي (سنة ٤٤٣هـ)[٩].

● ثامنا — من أسوأ التطورات التاريخية لنظام الأمن في العهد الأندلسي بعد انحدار مجده : لجوء بعض ملوكه المتصارعين إلى الاستعانة بالمجرمين وقطاع الطرق لتحقيق مطامحهم الذاتية فقد استعان المأمون صاحب طليطلة باللص القاتل (ابن

---

(٨) نفح الطيب — لأحمد المقري .

(٩) تاريخ الأندلس (المُعجب في أخبار المغرب) لعبد الواحد المركشي .

عكاشة) في مهاجمة مدينة قرطبة على رأس جماعة من عصابته وأخذ البيعة له إلا أنه وقع آخر الأمر تحت سطوة ذلك الشقي [2] .

وعين المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية قاطع الطريق (البازي السنجابي) رئيسا لشرطته لاعجابه بجرأته وسعة حيلته .

● تاسعا — خلال العهود الطولونية ، فالاخشدية ، فالفاطمية ، فالأيوبية في مصر (٢٥٤ — ٦٤٨هـ) مرت الشرطة العربية بأحداث وتطورات بالغة الأثر .. وفقد صاحب الشرطة كثيرا من نفوذه وكان يطلق على القائمين بمهماتها (العسس) ، (الطوّاف) و (الدرك) كما سمى رئيسها (الوالي) .

ومنذ قدوم أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤هـ وجد اضطرابا في نظام الأمن العام ، مما سبب له مشكلات ومخاوف .. ومن هنا كان اهتمامه بتكوين جهاز للشرطة السرية لتزويده بأخبار المجرمين ومعارضي سياسته أيضا ، وكان هو شخصيا يقوم متنكرا ليتعرّف على أحوال رعيّته ، وتحرّكات المجرمين والمعتدين .

وقد اكتشف فعلا أحد الحمّالين يحمل على ظهره حملا ثقيلا ، ولاحظ عليه اضطرابا وخوفا .. فأمره بإنزال حمله فإذا بداخله جثة فتاة مقطّعة الأوصال ، ولم يستطع الحمّال إلا أن يعترف بالحادثة ، فأرشد إلى أربعة رجال هم الذين أعطوه مبلغا من المال ليخفي هذه الجثة . فقبض عليهم الخليفة وأعدمهم

---

(٢) ملوك الطوائف — دوزي

من فورهم ، وجلد الحمّال مائتي سوط جزاء فعلته[٣] .

وفي العهد الطولوني عرفت مصر والشام نظام جوازات السفر ، وقد كان هذا النظام معروفا — على نحو ما — لدى العرب في الجاهلية كما يروي الهمداني في (الاكليل) أن اليمن استعملت نوعا من الجوازات كان يطلق عليه (الاذن بدخول السد) وربما عرف هذا النظام في بعض أنحاء الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتصم بالله ، كما عرفت جوازات السفر في عصر المماليك بمصر باسم (أوامر الطريق) كما يحكي ذلك القلقشندي في (صبح الأعشى)[٤] .

● عاشرا — من تطورات نظام الأمن في العهد الفاطمي : أن تعذيب المتهمين والخصوم السياسيين لاستخلاص اعترافاتهم ، كان من أعمال الشرطة ، ومن أمثلته المفزعة ما حدث في عهد الآمر بأحكام الله عندما غضب على (ابن أبي نجاح) مستوفي خراج الدولة .. فدفع به إلى دار الشرطة حيث بولغ في تعذيبه فقتل ضربا بالنعال ، ثم جُرت جثته إلى النيل ، وسمّرت على لوح من خشب ثم طرحت فيه[٥] .

كما كان أصحاب الشرطة في هذا العهد يصدرون أحكام الاعدام على المجرمين دون انتظار لأحكام القضاء .

وأجبر أصحاب المتاجر بوضع قناديل على أبواب متاجرهم ليلا لتسهيل مراقبة الشرطة من بعيد ، ووضع الخليفة الآمر بالله

(٣) سيرة أحمد بن طولون — للبلوي .

(٤) مجلة الأمن العام / ع ١٤ سنة ١٣٨١ .

(٥) اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا — للمقريزي .

(سنة ١٧هـ) نظاما للاستعانة بالسقائيين والعمال في إطفاء الحرائق ، وكانت هناك فرقة خاصة من الرجال تبيت بأدواتها في دار الشرطة استعدادا للقيام بهذه المهمة .

إلى جانب ما أمر به أصحاب الحوانيت من اعداد «زير» مملوء بالماء للاستعانة به في اطفاء الحريق إذا شب في منزل أو حانوت قريب .

وقد كان هذا النظام ـــ نظام المطافيء ـــ متبعا في عصر بني أمية على عهد عبد العزيز بن مروان إذ كان يرابط بجزيرة الروضة في مصر عدد من الرجال المدربين على إطفاء الحريق ، ولكن ذلك لم يستمر حتى جاء الفاطميون فأعادوا العمل به[٦] .

واستخدم النساء العجائز ـــ في هذا العهد ـــ كمرشدات في نظام الشرطة السرية الذي نجح نجاحا رائعا حتى بلغ استتباب الأمن ان اختفت جرائم السرقة تماما[٧] .

* * *

● حادي عشر ـــ من طرائف تاريخ الشرطة العربية : أن صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية كان في مستهل شبابه قائدا لقوات الأمن في دمشق وهو في الثامنة عشرة من عمره ـــ كما كان أبوه نجم الدين وعمه أسد الدين مثله في بغداد من قبل .

(٦) مجلة الأمن العام ـــ العدد ١٩ سنة ١٣٨١هـ

(٧) تاريخ مصر ـــ لابن اياس .

وقد عني السلاطين الأيوبيون بصفة خاصة بمحاربة الجرائم الخلقية كالميسر والخمر والرشوة والخلاعة والمجون ، وطاردوا أصحاب المذاهب المخالفة كالرافضة والقدرية وغيرهم ... وقد نجح أصحاب الشرطة والمحتسبين في تطهير المجتمع الاسلامي من هؤلاء جميعا .

● ثاني عشر ــ في عصر المماليك كانت أعمال الشرطة أو مهمة الحفاظ على (الأمن العام) ملقاة على عاتق المحتسبين الذين كانت لهم واجباتهم في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والمحافظة على مكارم الأخلاق .

وكان هؤلاء «الولاة» كثيرا ما يضطرون إلى الاستعانة بالمواطنين في أداء بعض أعمالهم فيعلنون عن منح مكافأة مالية لمن يرشدهم إلى بعض المذنبين أو المخالفين الذين تعين أسماؤهم وتحدّد أوصافهم في الاعلان .

ويذكر ــ من أحداث هذه الفترة ــ أن أحد الولاة ، وهو (علاء الدين الطبرسي) كان معروفا ومشهورا في عهد ولايته بالتضييق على النساء ومنعهن من التبرج والخروج إلى الأسواق ... وكان يخرج بنفسه إلى المقابر لمنع زيارتهن والتنكيل بمن يجده منهن فيها ... حتي امتنعن من الخروج في عهده إلا لحاجة قصوى[٨] .

وقد بلغ من استتاب الأمن في عصر السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ ــ ٦٧٦هـ) أن استطاعت المرأة المصرية

---

(١٠) النجوم الزاهرة ــ لابن تغري بردي ..

أن تسافر وحدها في أرجاء البلاد دون أن تخشى أي عدوان على عرضها أو مالها .

وفي فترة تالية صدرتِ أوامر إلى المواطنين بإشعال القناديل على أبواب الحوانيت لمساعدة رجال الشرطة على مراقبة المخالفين ، كما كانت تصدر أحيانا تعليمات إلى الجمهور بعدم الخروج بعد صلاة المغرب ، أو صلاة العشاء ، وتحريم حمل السلاح ــ وكان السلطان يرأس دوريات الشرطة بنفسه ليتأكد من اشعال القناديل على أبواب الدور والمتاجر .

كما كان والي الشرطة يجلس كل ليلة بعد صلاة العشاء بمحطة (المطافيء) وينصب أمامه مشعلا يضاء طوال الليل وحوله أعوانه وعدد من السائقين والنجارين وغيرهم ــ وكان لا يكتفي بإطفاء الحرائق .. بل يتحرى ويتحقق من أسبابها عما إذا كانت ناتجة عن إهمال أم بفعل فاعل .

ولقيت رعاية الآداب من ولاة الشرطة في هذا العصر اهتماما خاصا .. ونافسوا المحتسبين في مكافحة الرذائل ، والقضاء على مظاهر الخلاعة والمجون ، ومنع الخمور وتحطيم أوعيتها وكؤوسها ، والتنكيل بمتعاطيها ، وقد صلب رجال الشرطة ذات مرة رجلا ضبط سكرانا ، وعلقوا في عنقه جرة الخمر والقدح الذي كان يشرب منه[٩] .

---

(٩) تاريخ مصر ــ لاس اياس .

السبق الاسلامي في مجال الأمن العام :

مما تقدم يتبين للدارس أو الباحث في التاريخ الاسلامي لأنظمة الأمن العام أن المسلمين سبقوا إلى نظام المطافىء — ونظام الاستخبارات — واستخدام النساء العجائز في التجسس على المجرمين والمخالفين والخطرين على الأمن العام ونظام البطاقات الشخصية والجوازات ونظام الطوارىء .. ألخ .

وقد تأثر الغربيون بنظام الشرطة الاسلامي كثيرا — يقول النقيب ابراهيم الفحام : إن الاسبان تأثروا بنظام الشرطة العربي والدليل على ذلك أنهم استخدموا عبارة (الشرطة) في لغتهم : (SAHBASEURTA) .

ويضيف أيضا : إن كثيرا من تقاليد الحياة العربية انتقل إلى العالم الأوروبي خلال الحروب الصليبية ومن ذلك إعجاب الأوروبيين بنظام الشرطة ونظام الحسبة ، في المملكة الصليبية في بيت المقدس وأشير إلى وظيفة المحتسب في كتب النظام القضائية في بيت المقدس : MOTHCCSEP وكان الصليبيون يسندون هذه الوظيفة إلى مواطنيهم من المسلمين .

الشرطة النسائية في العصر الحديث :

أشرنا — فيما سبق — إلى أن الخليفة العباسي المأمون عين بعض العجائز من النساء ليأتين له بأخبار المجرمين والناقدين لسياسته .

ونضيف هنا : أن استخدام النساء في أعمال الأمن العام بدأ في العصر الحديث في إيطاليا سنة ١٩٥٩ — وقد صدر بذلك

قانون خاص يحدد مؤهلاتهن وأعمارهن وواجباتهن ، وأشير بصفة خاصة ــ في هذا القانون ــ إلى أنهن مسئولات عن منع الجرائم المنافية للأخلاق العامة التي تهدد كيان الأسرة ، أو تهدد الصحة العامة ، وكذلك الجرائم التي تقع على النساء العاملات والأحداث العاملين .

كذلك من واجبات الشرطة النسائية التحري في الجرائم التي تقع من النساء والأطفال والتي تقع عليهم ــ إلى جانب مراقبة النساء والأحداث ومساعدتهم في حالة استدعاء إدارات الأمن العام لهم ــ إلى جانب مساعدة النساء والأطفال المحجوزين لأسباب أخلاقية أو اجتماعية إذا طلب منهن ذلك[١٠] .

وعندما أنشىء قسم لحماية الأحداث في نيويورك بأمريكا سنة ١٩٥٧ كان هناك شرطيات يؤدين بعض أعمال الحراسة لهذا القسم ، كما يناط بهن القبض على النساء والأحداث الفارين ، ورعاية الأحداث المارقين[١١] .

* * *

ولابد في ختام هذا الفصل من تعقيب وجيز على ظاهرتين :

• **الأولى** : استخدام النساء في المباحث الجنائية والسياسية ــ أن الحكومات الاسلامية التي فعلت ذلك لجأت

---

(١٠) مجلة الأمن العام ــ العدد ١٢ سنة ١٣٨٠هـ .

(١١) المرجع السابق .

إلى (العجائز) منهن حيث لا مطمع فيهن للرغبات الجنسية المحرمة .

• **الثانية** : ما أثبتناه ــ وما لم نثبته ــ من أعمال التعذيب المنكر للمتهمين أو المذنبين على أيدي رجال الشرطة في بعض العهود الاسلامية الغابرة .. لا نقره ولا نرضاه ونبرىء الاسلام منه ، ونرى أنه لا بأس بالتضييق الخفيف على المتهم كي يعترف بجريمته إن كان مجرما ، أما المذنب فعلا فلا يعاقب إلا بمقدار ما شرعه الاسلام من حدود أو تعزيرات نصت عليها آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ، وأقوال الصحابة والتابعين ومذاهب الفقهاء .

مباحث الكتاب

الموضوعات	صفحة

صدر من هذه السلسلة

العنوان	المؤلف
١ ـ تأملات في سورة الفاتحة	الدكتور حسن باجودة
٢ ـ الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣ ـ الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين	الأستاذ نذير حمدان
٤ ـ الاسلام الفاتح	الدكتور حسين مؤنس
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكري	الدكتور حسان محمد مرزوق
٦ ـ السيرة النبوية في القرآن	الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧ ـ التخطيط للدعوة الاسلامية	الدكتور محمد علي جريشة
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية	الدكتور أحمد السيد دراج
٩ ـ التوعية الشاملة في الحج	الأستاذ عبد الله بوقس
١٠ـ الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره	الدكتور عباس حسن محمد
١١ـ لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢ـ السنة في مواجهة الأباطيل	الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣ـ مولود على الفطرة	الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤ـ دور المسجد في الاسلام	الأستاذ محمد علي مختار
١٥ـ تاريخ القرآن الكريم	الدكتور محمد سالم محيسن
١٦ـ البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام	الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧ـ حقوق المرأة في الاسلام	الدكتور محمد الصادق عفيفي
١٨ـ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩ـ القراءات أحكامها ومصادرها	الدكتور شعبان محمد اسماعيل
٢٠ـ المعاملات في الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الستار السعيد
٢١ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	الدكتور علي محمد العماري
٢٢ـ حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم	الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣ـ الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥ـ الاسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة